سلسلة تفسير القرآن الكريم (١٠)



مِنْ سورَةِ النَّحْلِ - نِهايَةِ سورَةِ الإسْراءِ

تأليف

الأستاذ الدكتور أحمد شكري

إشراف

الأستاذ عمر خليل يوسف

المراجعة العلمية

الأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر



دار المنهل ناشرون وموزعون

هاتف: 5698308 - فاكس: 5639185 ص.ب 926428 - عمان 11190 الأردن

http:\www.dmanhal.com

حقوق الطبع محفوظة ©

لايجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تصويره أو تخزينه أو تسجيله بأي وسيلة دون موافقة خطية .

الطبعة الأولى

2005

رقم الإجازة : 2313 / 9 / 2005

رقم الإيداع : 2303 / 9 / 2005

التصنيف الدولي : 9957-08-438-0

مؤلّفو السلسلة

- الأستاذ الدكتور فضل عباس
- الدكتور أحمد نوفل
- الدكتور صلاح الخالدي
- الأستاذ الدكتور أحمد شكري
- الدكتور جمال أبو حسّان


بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، وَالصّلاةُ والسّلامُ على نبيّنا محمّدٍ خاتمِ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ ، وعلى آلهِ وصَحْبهِ ومن سارَ على دَرْبهِ إلى يومِ الدّينِ ، وبعدُ ،

فإنَّ القرآنَ الكريمَ هُوَ كلامُ اللهِ المُعجزُ ، أنزلَهُ على نَبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ ؛ ليُخْرِجَ به الناسَ من الظُّلُماتِ إلى النّور ، ويَهديَهُم به إلى كلِّ خيرٍ ورشادٍ ، كما قالَ سبحانَهُ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (ابراهيم : ١) ، وقالَ تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة : ١٥-١٦) .

وقد وردَ في عَدَدٍ مِنَ الأَحاديثِ الحثُّ على تعلُّمِ القرآنِ ومُدارَسَتِهِ ، ومِنْ ذَلكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : خيْرُكُمْ مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ[1] ، وَقولُهُ : « وما اجتمعَ قومٌ في بَيتٍ من بُيوتِ اللهِ يَتْلونَ كتابَ اللهِ وَيتدارَسونَهُ بينَهُم إلاَّ نَزلتْ عَلَيْهم السَّكينَةُ ، وغَشيَتْهُم الرَّحمةُ ، وحفَّتْهُم الملائكةُ ، وذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[2] .

وقد بَذلَ المُسْلِمونَ على مرِّ العُصورِ جُهوداً كثيرةً مُتواليَةً في خِدْمةِ هذا الكِتابِ العزيزِ ، ومِنْ بينِ هذه الجهودِ ما يتعَلّقُ بتبيينِ مَعاني الآياتِ وتَفْسيرِها ، وكان لكلِّ تفسيرٍ ميزَتُهُ وخَصائِصُهُ .

ومِيزةُ هذا التَّفسيرِ أنَّه أُعِدَّ ليكونَ مِنْهاجاً للتَّدْريسِ في المَدارسِ التي تلتزمُ في مِنْهاجِها تدريسَ الطلبةِ تفسيرَ القرآنِ الكريمِ كاملاً ، والتزمَ مُؤَلِّفوهُ السَّيْرَ على نَمَطٍ مُتقارَبٍ مُتدرِّجٍ ، وفيما يلي أَهمُّ النِّقاطِ التي تمَّ الالتزامُ بها :

* اختيارُ العبارةِ السَّهْلَةِ الواضحَةِ بمايتناسبُ مَعَ أَعمارِ الطَّلَبَةِ ومستوياتِهم .
* بَدْءُ كلِّ درسٍ بتبيينِ مَعاني المفرداتِ والتراكيبِ التي يحتاجُ الطلبةُ إلى معرفَتِها .
* التَّعْريفُ بالسُّورَةِ بإيجازٍ قبلَ الشروعِ في تفسيرِها .

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، رقم الحديث (٤٦٣٩) .
(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم الحديث (٤٨٦٧) .

* تفسيرُ الآياتِ بصورةٍ معتدلةٍ وبعبارةٍ قريبةٍ مباشرةٍ .

* الرَّبْطُ بينَ آياتِ الدَّرْسِ السَّابقِ والتَّالي .

* اختيارُ القولِ الرَّاجحِ في معنى الآيةِ ، وعدمُ إشغالِ الطلبةِ بالأقوالِ المتعدِّدةِ أو الضعيفةِ .

* الالتزامُ بمنهَجِ السَّلَفِ في تَفسيرِ آياتِ الصِّفاتِ .

* إغْناءُ كُلِّ درسٍ بعدَدٍ مِنَ الأنشطةِ المناسبةِ ذاتِ الصِّلَةِ بالآياتِ لِحَفْزِ الطالبِ على البحثِ والتفكيرِ وترسيخِ المعلومةِ في ذهنهِ ، ولذا فالمأمولُ من السَّادَةِ المدرسينَ ، ومِنَ الطلبةِ ، الاعتناءُ بهذهِ الأنشطةِ وعدمُ إهمالِها ، ومُناقشةُ ما يتمُّ التوصُّلُ إليهِ في الفصلِ أَو طابورِ الصباحِ أو تعليقُهُ في مجلَّةِ المدرسةِ .

* إتْباعُ كلِّ دَرْسٍ بعدَدٍ من العِبَرِ والدروسِ المُستنْبَطَةِ مِنَ الآياتِ الكريمةِ ، والمأمولُ من المدرِّسِ والطالبِ قراءةُ هذه العِبَرِ والرَّبْطُ بينها وبينَ الآيةِ التي استُنْبِطَتْ منها ، والحرصُ على الإفادةِ منها في تقويمِ السُّلوكِ وتنميةِ التفكيرِ وترسيخِ القِيَمِ الإسلاميةِ التي تضمَّنَتْها .

* خَتْمُ كُلِّ دَرْسٍ بعددٍ من الأسئلةِ المتنوِّعةِ التي تهدِفُ إلى تقويمِ الطالبِ وتبيينِ مقدارِ استيعابهِ للدَّرسِ وحَفزِهِ على البحثِ عن الإجابةِ لِلأَسئلَةِ في مظانِّها .

* تذييلُ بعضِ الدُّروسِ بفائدةٍ أو روايةٍ أو حادثةٍ أو حديثٍ له صلةٌ بموضوعِ الدَّرْسِ بهدَفِ إمْتاعِ القارىءِ وإفادتِهِ بهذه المَعْلومةِ .

* تخَريجُ الأحاديثِ النَّبَويَّةِ ورواياتِ أَسْبابِ النُّزولِ ، والحرصُ على الاقتصارِ على الصَّحيحِ من رواياتِ الأحاديثِ .

واللهَ تعالى نَسأَلُ أن يَجْعلَ هذا العملَ خالصاً لِوَجْههِ الكريمِ ، وأَنْ يَنْفعَ به ، وأَنْ يتقَّبلَهُ بقَبُولٍ حَسَنٍ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

* * *

الدَّرْسُ الأَوَّلُ

سورَةُ النَّحْلِ - القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورَةُ النَّحْلِ مَكيَّةٌ . وسُمِّيتَ بِهذا الاسْمِ لِذكْرِها النَّحْلَ وما تُنْتِجهُ مِنْ عَسَلٍ ، وما في ذَلِكَ مِنَ العِبْرَةِ والدَّلالَةِ على الخالِقِ العَظيمِ ، وتُسَمَّى : سُورةَ النِّعَمِ لِتَذْكيرها بالعَديدِ مِنَ النِّعَمِ المُحيطةِ بالإنْسانِ .

وفي السُّورَةِ مَوْضوعاتٌ مُتعدِّدَةٌ مِنْها : تَكْذيبُ المُشْركينَ بالسَّاعَةِ وَبالوَحْي واسْتِعْجالُهُمْ نُزولَ العَذابِ ، وتَقْريرُ وَحْدانِيّةِ اللهِ تَعالى مِنْ خِلالِ لَفْتِ النَّظَرِ إلى ما في الكَوْنِ مِنْ مَظاهِرِ قُدْرَتِهِ ، والتَّذْكيرِ بِعاقِبَةِ الكُفْرِ وَعَدَمِ شُكْرِ اللهِ تَعالى ، والأَمْرُ بالدَّعْوَةِ إلى اللهِ بالحِكْمَةِ والصَّبْرِ على أذى المُشْرِكينَ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

تَعالى	تَعاظَمَ بِذاتِهِ وَصِفاتِهِ الجليلةِ .
بِالرُّوح	بالوَحْيِ .
أَنْذِروا	حَذِّروا وخَوِّفوا .
خَصيمٌ	شَديدُ المُخاصَمَةِ بِالباطلِ .
الأنعام	الإبلِ والبَقَرِ والغَنَمِ .
دفءٌ	ما تَتَدفَّأُونَ بهِ مِنَ البَرْدِ .
تُريحونَ	تُرْجِعونَها مِنَ المَراعِي إلى الحَظائِرِ آخِرَ النَّهارِ .
تَسْرَحونَ	تَذْهبونَ بها إلى المَراعي أوّلَ النَّهارِ .
أَثْقالَكُم	أَمْتِعَتَكُمُ الثّقيلَةَ .
بِشِقِّ الأَنْفُسِ	بِمَشَقَّةٍ وَتَعَبٍ .

التَّفْسيرُ :

كانَ المُشْرِكونَ كَثيراً ما يَسْتَعْجلونَ العَذابَ الَّذي يُخَوِّفُهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ إيّاهُ ، تَكْذيباً لَهُ واسْتِبْعاداً لِنُزولِهِ ، فافْتُتِحَتْ هذهِ السُّورَةُ بالإخْبارِ عَنْ حُصولِ العذابِ الَّذي سَيَنْزِلُ بِهِمْ قَطْعاً . وَذُكِرَ العَذابُ بِصيغَةِ الماضي تَأْكيداً لِوُقوعِهِ وكأَنَّهُ قَدْ حَصَلَ فِعْلاً . قالَ اللهُ تَعالى :

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١﴾

أيْ نَزَلَ قَضاءُ اللهِ تَعالى وَأَمْرُهُ بِنَصْرِ المُؤْمنينَ وَتَعْذيبِ الكافِرينَ ، والمَقْصودُ أنهُ سَيَأْتي قَريباً في الوَقْتِ الّذي يُريدُهُ اللهُ ، وذَلِكَ حينَ تَقومُ السَّاعَةُ ، فلا داعيَ لأنْ يَسْتَعْجِلَهُ أَحَدٌ فإنّهُ حاصِلٌ قَطْعاً ، تَنَزَّهَ اللهُ تَعالى وتَعاظَمَ بِذاتِهِ وَصِفاتِهِ عمَّا يَقولُهُ المُشْرِكونَ وَيَفْتَرونَهُ مِنْ زَعْمِ الشَّريكِ لَهُ .

وفي هَذهِ الآيةِ الكَريمةِ تَهْويلُ أَمْرِ الحِسابِ وَتَفْخيمُهُ ، بِالتَّعبيرِ عنهُ بالماضي تَأْكيداً لِحُصولِهِ ، وإضافَتِهِ إلى اللهِ الّذي لا يُعْجِزُهُ شَيءٌ ، ونَهْيُ المُشْرِكينَ عَنِ اسْتِعْجالِهِ فإنّهُ لا جَدْوى مِنَ الاسْتِعْجالِ لِحُصولِهِ قَطْعاً .

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ .

المُرادُ بالرُّوحِ الّتي يُنزِلُ اللهُ الملائِكَةَ بِها على المُخْتارينَ مِنَ البَشَرِ وَهُمُ الرُّسُلُ والأَنْبياءُ ، هُوَ الوَحْيُ ، سُمِّيَ رُوحاً لأنَّهُ يُحْيي القُلوبَ ، كما قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى : ٥٢] .

وَيَتضَمَّنُ الوَحْيُ إلى الأَنْبياءِ تَحذيرَ النَّاسِ مِنَ الشِّرْكِ وتَبْيينَ وَحْدانِيَّةِ اللهِ تَعالى وَعَظَمَتِهِ والدَّعْوَةِ إلى عِبادَتِهِ والخَوْفِ مِنْ عِقابِهِ ، فَعَلَيْكُم أَيُّها الكافِرونَ أَنْ تَكُفُّوا عَنْ كُفْرِكُمْ وأَنْ تَخافوا عَذابَ رَبِّكُمْ وأَنْ تُؤْمِنوا بِهِ ، فَقَدْ أقامَ لَكُمْ كَثيراً مِنَ الآياتِ الدَّالَّةِ على عَظَمَتِهِ ومِنْها أَنَّهُ :

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ ﴾

أيْ أَنَّهُ سُبْحانَهُ خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ بالحَقِّ الثَّابتِ خَلْقاً مُحْكَماً لِحِكْمَةٍ عَظيمةٍ ، ولَمْ يَخْلُقْهُما عَبَثاً ولَهْواً ، تَعاظَمَ اللهُ تَعالى بِذاتِهِ وَصِفاتِهِ عَمَّا يَقولُ المُشْرِكونَ الَّذينَ يَجْعَلونَ للهِ أَنْداداً ، وَهَذهِ الحِكْمَةُ هِيَ أَنْ تَكونَ مُعَبَّداً للهِ ، يُطاعُ فيهِ وَيُقَدَّسُ وَيُعَظَّمُ .

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ ﴾

أَخْبَرَ اللهُ تَعالى أَنَّهُ خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ ماءٍ مَهينٍ وهُوَ المَنِيُّ فإذا بِهِ بَعْدَ تَكامُلِهِ بَشَراً وامْتِلاكِهِ القُوَّةَ الجِسْمِيَّةَ يَنْسى ضَعْفَهُ ويُخاصِمُ خالِقَهُ ، وَيُكابِرُ ويُعانِدُ بَدَلاً مِنْ أنْ يَعْبُدَ اللهَ ويَشْكُرَهُ على نِعَمِهِ .

﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ ﴾

وَخَلَقَ اللهُ تَعالى الأَنْعامَ وَهِيَ الإبِلُ والغَنَمُ والبَقَرُ لِيَنْتَفِعَ مِنْها الإنْسانُ . ومِنْ أَوْجُهِ الانْتِفاعِ بِها : أَنَّكُمْ تَتَدَفَّأُونَ مِنَ البَرْدِ بما تَتَّخِذونَهُ مِنْ أَصْوافِها وَأَوْبارِها مَلابِسَ وأَغْطِيَةً ، وتَسْتَعْمِلونَ الإِبِلَ للرُّكوبِ والارْتِحالِ ، والبَقَرَ لِلْحَرْثِ ، وتَشْرَبونَ مِنْ أَلْبانِها وتَأْكلونَ لُحومَها وتَنْتَفِعونَ مِنْ نَسْلِها .

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ ﴾

وَلَكُمْ في هَذهِ الأَنْعامِ جَمالٌ وَزينَةٌ ، وَقْتَ رُجوعِها إلى مَأْواها مَساءً ، وَوَقْتَ خُروجِها إلى المَرْعى صَباحاً . وَتَخْصيصُ هَذَيْنِ الوَقْتَينِ بالذِّكْرِ لِظُهورِ الأَنْعامِ واجْتِماعِها فيهِما أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِما ، وقُدِّمَتْ الإراحَةُ على التَّسْريحِ لأَنَّ جَمالَ الأَنْعامِ فيها أَظْهَرُ وَمَنْظَرَها أَبْهَجُ ، لأَنَّها في هَذهِ الحالِ تَكونُ قَدِ امْتَلأَتْ بُطونُها وسَمُنَتْ وحَفَلَتْ ضُروعُها ، وازْدانَتْ مِشْيَتُها ، وعَظُمَ أَصْحابُها في أَعْيُنِ النَّاظِرينَ إليْها .

﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧﴾ .

وَتَحْمِلُ الأَنْعامُ ـ والمُرادُ بها هُنا الإِبلُ خاصَّةَ ـ أَمْتِعَتَكُمُ الثَّقيلَةَ إلى بَلَدٍ لم تكونوا لِتَصلوا إليْهِ مِنْ دُونِها إلاَّ بِتَعَبٍ وَمَشقَّةٍ . إنَّ رَبَّكُمْ لَرؤوفٌ رَحيمٌ بِكُمْ ، حَيْثُ خَلَقَ لَكُمْ هَذهِ الأَنْعامَ وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ تَحْمِلونَ هَذهِ الأَثْقالَ بِأَنْفُسِكُمْ وَتَقْطَعونَ المَسافاتِ الطَّويلةِ على أَرْجُلِكُمْ فَأَوْجَدَ هذهِ الأَنعامَ لِخِدْمَتِكُمْ وَراحَتِكُمْ .

﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾

وخَلَقَ اللهُ تعالى لَكُمْ أَصْنافاً أُخْرى مِنَ الدَّوابِّ هِيَ الخَيْلُ والبِغالُ والحَميرُ لِتَسْتَعْمِلوها في الرُّكوبِ عَلَيْها والانْتِقالِ مِنْ مَكانٍ إلى آخَرَ ، وفيها زينَةٌ لَكُمْ تَتمتَّعونَ بِمَنْظَرِها وَجَمالِها بِخاصَّةٍ الخيلُ الّتي سُمِّيتْ بِذلكَ لاخْتِيالِها في المَشْي ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعالى عَنْ أَمْرٍ غَيْبيٍّ تَحقَّقَ في زَمانِنا ، فَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحانَهُ أَنَّهُ سَيَخْلُقُ ما لا يَعْلَمُهُ النَّاسُ مِمَّا يُؤَدِّي دَوْرَ الإِبِلِ والخَيْلِ والبغالِ والحمير ، لِنَسْتَعْمِلَهُ في الرُّكوبِ وَحَمْلِ الأَثْقالِ ، ويَكونُ زينَةً في نَفْسِهِ أَيْضاً ، وقَدِ ابْتَكَرَ النَّاسُ اليَوْمَ السَّيارات والطَّائراتِ والسُّفُنَ والغَوَّاصاتِ والبَرْمائِيّاتِ وَصَواريخَ الفَضاءِ ، وَغَيْرَها مِمَّا سَيَتَوصَّلُ الإِنْسانُ لاخْتِراعِهِ واسْتِعْمالِهِ لِلرُّكوبِ وَلِلزّينَةِ .

وفي هذا الإِخبارِ دَليلٌ على إعْجازِ القُرْآنِ وأَنَّ مُنَزِّلَهُ يَعْلَمُ ما سَيكون . وَقَدْ جَمَعَتْ هذه العِبارَةُ جَميعَ وَسائِلِ النَّقْلِ الحَديثَةِ الّتي وُجِدَتْ أَوْ سَتوجَدُ مُسْتَقْبَلاً بِعبارةٍ مُوجَزَةٍ بَليغَةٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الإِخْبارُ عَنِ الأَمْرِ المُسْتَقْبَلِ بِصيغَةِ الماضي لِتأْكيدِ حصُولِهِ كأَنَّهُ حَصَلَ فِعْلاً .

٢ـ قُرْبُ يَوْمِ القِيامَةِ وَحَتْمِيَّةُ وُقوعِهِ بلا رَيْبٍ ولا شَكٍّ .

٣ـ تَسْمِيَةُ الوَحْيِ رُوحاً لأَنَّ فيهِ حَياةَ القُلوبِ .

٤ـ كَثْرَةُ الآياتِ الدَّالَّةِ على عَظَمَةِ اللهِ تَعالى وَقُدْرَتِهِ .

٥ـ تَنَوُّعُ أَشْكالِ انْتِفاعِ الإِنْسانِ مِنَ الأَنْعامِ والدَّوابِّ واسْتِمتاعِهِ بِجَمالِها .

٦ـ إِخْبارُ القُرْآنِ عَنْ أُمورٍ لَمْ تَكُنْ مَوْجودَةً وَقْتَ نُزولِ القُرْآنِ بِعباراتٍ مُوجَزَةٍ تُفْهَمُ في كُلِّ عَصْرٍ بِما يُناسِبُهُ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذْكُرْ ما تَضَمَّنَتْه الآيةُ الأُولى مِنْ وَسائِلِ تَهْويلِ أَمْرِ يَوْمِ القِيامَةِ .

٢ـ لِماذا كانَ المُشْرِكونَ يَسْتَعْجِلونَ نُزولَ العَذابِ بِهِمْ ؟

٣ـ عَدِّدْ ما ذَكَرَتْهُ الآياتُ الكَريمَةُ مِنْ أَدِلَّةِ عَظَمَةِ اللهِ وَوَحْدانِيَّتِهِ .

٤ـ عَدِّدْ فَوائِدَ الأَنْعامِ والدَّوابِّ للإِنْسانِ .

٥ـ ما سَبَبُ تَقديمِ ذِكْرِ إِراحَةِ الأَنْعامِ على تَسْريحِها ؟

٦ـ ما المَعاني الَّتي يَتَضَمَّنُها قَوْلُه تَعالى : ﴿ويَخْلُقُ ما لا تَعْلَمونَ﴾ ؟

٧ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ على كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أ ـ قُرْبِ يَوْمِ القِيامَةِ .

ب ـ اسْتِعْجالِ المُشْرِكينَ نُزولَ العَذابِ بِهِمْ .

ج ـ تَنْزِلُ المَلائِكَةُ بالوَحْيِ على الرُّسُلِ .

د ـ مُهِمَّةُ الرُّسُلِ الدَّعْوَةُ إلى التَّوْحيدِ والطَّاعَةِ .

هـ ـ أَصْلُ الإِنْسانِ نُطْفَةٌ .

و ـ يَتَدَفَّأُ الإِنْسانُ بِصُوفِ الأَنْعامِ وَأَوْبارِها .

ز ـ مِنْ أَوْجُهِ انْتِفاعِ الإِنْسانِ بالأَنْعامِ : أَكْلُ لُحومِها .

ح ـ يَسْتَمْتِعُ الإِنْسانُ بِمَنْظَرِ الأَنْعامِ والدَّوابِّ .

ط ـ يَسْتَخْدِمُ الإِنْسانُ الدَّوابَّ والإِبِلَ لِنَقْلِ أَمْتِعَتِهِ والرُّكوبِ عَلَيْها .

ي ـ مِنْ نِعَمِ اللهِ على الإنسانِ تَمْكينُهُ مِنَ اخْتِراعِ وَسائِلِ المُواصَلاتِ الحَديثَةِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ اسْمَ المَلَكِ المُوَكَّلِ بِتَبْليغِ وَحْيِ اللهِ تَعالى إلى رُسُلِهِ الكِرامِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَةَ أُمورٍ أُخْرى يَنْتَفِعُ بها النَّاسُ مِنَ الأَنْعامِ .

٣ـ في سُورَةِ المَعارِجِ ، والأَنْفالِ ، والحَجِّ والشُّورى وَغَيْرِها آياتٌ تُبَيِّنُ اسْتِعْجالَ المُشْرِكينَ نُزولَ العَذابِ بِهِمْ . اجْمَعْ خَمْساً مِنْ هذهِ الآياتِ وَدَوِّنْها في دَفْتَرِكَ .

الدَّرْسُ الثَّاني

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الثّاني

وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **قَصْدُ السَّبيلِ** : بيانُ الطَّريقِ المُسْتَقِيمِ .
- **جائِرٌ** : مائِلٌ عَنِ الاسْتِقامَةِ .
- **تُسيمونَ** : تَرْعوْنَ دَوابَّكُمْ .
- **ذَرأَ** : خَلَقَ .

التَّفْسيرُ :

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تَعالى عَدَداً مِنَ النِّعَمِ الّتي أَنْعَمَ بِها على عِبادِهِ لِتَكونَ دَليلاً على وَحْدانِيَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ أَتْبَعَها بِبَيانِ أَنَّهُ سُبْحانَهُ كَفيلٌ بِإرْشادِ العِبادِ إلى الطَّريقِ المُسْتَقيمِ المُوصِلِ إلَيْهِ وإلى رِضْوانِهِ وَجَنّاتِهِ ، وبَيَّنَ مَزيداً مِنْ نِعَمِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾

أيْ : وَمِنْ فَضْلِ اللهِ تَعالى وَكَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ أَنْ يُبيِّنَ لَكُمُ الطَّريقَ المُسْتَقيمَ الَّذي يُوصِلُ إلى سَعادَةِ الدُّنْيا والآخِرَةِ وهُو الإسْلامُ ، وأنْ يُبيِّنَ لَكُمْ كَذلكَ أَنَّ مِنَ الطُّرُقِ ما هُوَ مائِلٌ عَنِ الاسْتِقامَةِ ، وهِيَ طُرُقُ أهْلِ الضَّلالِ والفَسادِ الَّتي يَنْبَغي اجْتِنابُها والبُعْدُ عَنْها ، وَلَوْ شاءَ اللهُ تَعالى لَهَدى النَّاسَ جَميعاً ، وَلأَلْزَمَهُمْ طَريقَ الهِدايَةِ ، ولكنِ اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أنْ يَتْرُكَ لِلنَّاسِ حَريَّةَ الاخْتيارِ ، لِيُجازِيَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ على أعْمالِهِمُ الّتي اخْتاروا فِعْلَها دونَ إلْزامٍ ولا إجْبارٍ .

ثُمَّ أَوْرَدَ اللهُ تَعالى مَزيداً مِنَ نِعَمِ اللهِ تَعالى الّتي أَنْعَمَ بها على خَلْقِهِ :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

أيْ أَنَّ اللهَ سُبْحانَهُ هُوَ الّذي أَنْزَلَ مِنَ السُّحُبِ المَطَرَ الّذي تَشْرَبونَ مِنْهُ ماءً عَذْباً فُراتاً وَتَسْقونَ الشَّجَرَ الّذي تَرْعى فيهِ أَنْعامُكُمْ .

ولَفْظُ الشَّجَرِ يُطْلَقُ على ما لَهُ ساقٌ صُلْبٌ مِنْ أَنْواعِ النَّباتِ ، ويُطْلَقُ على العُشْبِ والكَلأ ، وهُوَ المُرادُ هُنا لأَنَّهُ طَعامُ الأَنْعامِ .

﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

ويُنْبِتُ اللهُ تَعالى لَكُمْ بماءِ المَطَرِ أنْواعَ الزُّروعِ المُتعدِّدَةِ ، الّتي تَتَغَذّونَ بِها وتَأْكلونَ مِنْها كالقَمْحِ والذُّرَةِ ، ومِنَ الأشْجارِ المُثْمِرَةِ : الزَّيْتونُ ، والنَّخيلُ ، والأعْنابُ . بالإضافَةِ إلى أنْواعِ الثَّمَراتِ الأُخْرى المُخْتَلفَةِ في أَلوانِها وأَشْكالِها ومَذاقِها وَرائِحَتِها . إنَّ في إنْباتِ هذه الثِّمارِ المُتَنوِّعَةِ الَّتي تُسْقى بِماءٍ واحِدٍ ، وَتَنْمو في أَرْضٍ واحِدَةٍ وتَخْتَلِفُ هَذا الاخْتلافَ البيِّنَ ، لآيةً بَيِّنَةً واضِحَةً لِمَنْ يَتفكَّرُ ويَتأمَّلُ في ذَلِكَ ، فَيَقودُهُ التَفَكُّرُ إلى الإيمانِ باللهِ العَظيمِ .

وَفي تَخْصيصِ الزيْتونِ والنَّخيلِ والأَعْنابِ بالذِّكْرِ دُونَ سائِرِ الثِّمارِ إشارةٌ إلى أهميَّةِ هذهِ الأَنْواعِ ، وتَعدُّدِ فَوائِدِها وكَثْرَةِ وُجوهِ الانْتِفاعِ بها .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

وَمِنْ نِعَمِ اللهِ تَعالى على خَلْقِهِ أنّهُ سَخَّرَ لَهُمُ اللَّيلَ والنَّهارَ يَتعاقَبانِ بِصورَةٍ دائِمَةٍ مُنْتَظِمَةٍ ، يَتِمُّ بها نِظامُ حياةِ الإنْسانِ ، الَّذي يَرْتاحُ في اللَّيْلِ مِنْ عَناءِ النَّهارِ ، وَيَغْتَنِمُ النَّهارَ لِقَضاءِ مَصالِحِهِ وأُمورِ

مَعاشِهِ ، وسَخَّرَ الشَّمْسَ لِتَمُدَّ الأَرْضَ بالنّورِ والحَرارَةِ في أثناءِ النَّهارِ ، وسَخَّرَ القَمَرَ لِيَمُدَّ البَشَرَ بالضّوءِ لَيْلاً ، وَجَعَلَهُما دَليلَيْنِ على الأوْقاتِ والشُّهورِ والأعْوامِ ، وتُعْلَمَ بِهِما مواقيتُ العِباداتِ المُتَعدِّدَةِ ، وسَخَّرَ النُّجومَ لِيَهْتَدِيَ بها المُسافِرونَ في الظُّلُماتِ ، وَيَسْتدِلّونَ مِنْ خِلالِها على طُرُقِ سَيْرِهِم بَرّاً وبَحْراً ، لِيَتأمّلوا في أَشْكالِها وأَحْجامِها ومَواقِعِها وإنارَتِها مُسْتَدِلّينَ بها على عَظَمَةِ اللهِ وَرَوْعَةِ خَلْقِهِ سُبْحانَهُ ، إنَّ في تَسْخيرِ اللّيلِ والنَّهارِ والشَّمْسِ والقَمَرِ والنُّجومِ لآياتٍ ودلالاتٍ واضحةً لِمَنْ يُعْمِلُ عَقْلَهُ وَيَهْتَدي بها إلى الخالِقِ القَديرِ المُبْدِعِ .

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ .

ومِنْ نِعَمِ اللهِ تَعالى على خَلْقِهِ أَنَّهُ سَخَّرَ لَهُم ما أَوْجَدَهُ على الأَرْضِ مِنْ أَجْلِ مَنْفَعَتِهِم وقَضاءِ مصالِحِهِمْ ، مِنْ مَخلوقاتٍ مُتَنوِّعَةِ الفَوائِدِ ومُخْتَلِفَةِ الألوانِ والأَشْكالِ ، كالحيواناتِ والمَعادِنِ وما يُسْتَخْرَجُ مِنْ باطِنِ الأَرْضِ مِنْ ثَرَواتٍ كَثيرةٍ ، كُلُّها مُسَخَّرَةٌ لِلإنْسانِ وَمِنْ أَجْلِهِ ، إنَّ في ذلكَ التَّسْخيرِ والتَّنْويعِ في الأَصْنافِ والأَشْكالِ والألوانِ لآيةً عَظيمةً لِمَنْ يَتَذَكَّرُ وَيتدبَّرُ وَيتأَمَّلُ في نِعَمِ اللهِ المُتنوِّعَةِ فَيَشْكُرُهُ عَلَيْها ويَخْلُصُ في عِبادَتِهِ لَهُ .

وَقَدْ خُتِمَتْ هذهِ الآياتُ الثّلاثُ بقولِه تَعالى : ﴿إنَّ في ذلكَ لآيةً لِقَوْمٍ يتفكّرونَ﴾ ﴿إنَّ في ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلونَ﴾ ﴿إنَّ في ذَلِكَ لآيةً لِقَوْمٍ يَذَّكَرونَ﴾ فَأُفْرِدَ لفظُ (آيةً) في المَوْضِعِ الأَوّلِ والثالثِ وجُمِعَ في الثّاني ، لأَنَّهما أي الآيتانِ الأُولى والثالثةُ تَتحدَّثانِ عَنْ مَخلوقاتٍ مَوْجودةٍ في الأرْضِ فَكَأَنَّهَا آيةٌ واحِدَةٌ لِتَبعيّتِها للأَرْضِ ، أَمّا الآيةُ الثّانِيةُ فَتتحدَّثُ عَنِ الشَّمْسِ والقَمَرِ والنُّجومِ ، ولِكُلٍّ مِنْها نِظامُهُ وكُلٌّ مِنْها بِمَنْزِلَةِ الآيةِ المُسْتَقِلَّةِ .

وخُتِمَتِ الآيةُ الأُولى بِلَفْظِ ﴿يَتفكَّرونَ﴾ والثانِيةُ بِلَفْظِ ﴿يَعْقِلونَ﴾ والثالثةُ بلفظِ ﴿يَذَّكرونَ﴾ لِمُراعاةِ اخْتِلافِ شِدَّةِ الحاجَةِ إلى قُوَّةِ التّأمُّلِ في الآياتِ المَذْكورَةِ ، ولِلإشارَةِ إلى ضَرورةِ التَّرَقّي في حالِ الإنْسانِ عِنْدَ تَأمُّلِهِ في مَخْلوقاتِ اللهِ ، فإنَّ التَّفَكُّرَ فيها يَقودُ إلى التَعقُّلِ ، وكِلاهُما يَقودُ إلى التَّذَكُّرِ ، فَسُبْحانَ مَنْ أَحْكَمَ كلامَهُ وجَعَلَهُ على أَحْسَنِ نِظامٍ وأَدَقِّ بيانٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَفَضُّلُ اللهِ على خَلْقِهِ بِإرْشادِهِمْ إلى الطَّريقِ المُسْتَقيمِ كَرَماً مِنْهُ وَرَحْمَةً .

٢ـ حِكْمَةُ اللهِ تَعالى بإعْطاءِ الإنْسانِ حُرِيَّةَ الاخْتِيارِ لِيَسْلُكَ السَّبيلَ الّذي يَشاءُ .

٣ـ تَنَوُّعُ النِّعَمِ المُحيطَةِ بالإنْسانِ ، وكُلُّها تَدُلُّ على خالِقٍ واحِدٍ مُبْدِعٍ عَظيمٍ .

٤ـ كُلُّ ما في هذا الكَوْنِ مِنْ مَخْلوقاتٍ مُسَخَّرٌ للإنْسانِ ، فَعَلَيْهِ شُكْرُ نِعَمِ اللهِ المُتَعَدِّدَةِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما أنواعُ السُّبُلِ الّتي بَيَّنَتْها الآيةُ رَقْم (٩) ؟

٢ـ ما الحِكْمَةُ في عَدَمِ إلْزامِ النّاسِ جَميعاً بالهِدايَةِ ؟

٣ـ عَدِّدْ فَوائِدَ المَطَرِ .

٤ـ ما المُرادُ بِتَسْخيرِ اللّيْلِ والنّهارِ والشَّمْسِ والقَمَرِ والنُّجوم ؟

٥ـ ما سَبَبُ تَخْصيصِ الزَّيْتونِ والنَّخيلِ والأَعنابِ بالذِّكْرِ بَيْنَ أنواعِ الزَّرْعِ ؟

٦ـ ما سَبَبُ إفْرادِ لَفْظِ (آية) في الآيَتَيْنِ الأُولى (١١) والثّالِثَةِ (١٣) وجَمْعِهِ في الآيَةِ الثّانِيَةِ (١٢) مِنْ آياتِ الدّرْسِ ؟

٧ـ أ ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ الألفاظِ : يَتفكَّرونَ ، يَعْقِلونَ ، يَذَّكَّرونَ ، الّتي اخْتُتِمَتْ بها الآياتُ الثّلاثُ ؟

ب ـ ما حِكْمَةُ إيرادِها على هذا التّرْتيبِ في الآياتِ ؟

٨ـ بَيِّن مَعنى ما يَلي :

أ ـ ومِنْها جائِرٌ .

ب ـ فيهِ تُسيمونَ .

ج ـ والنّجومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ .

د ـ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً يُبَيِّنُ أنّ طريقَ الحَقِّ واحِدٌ ، وطُرُقَ الشَّيْطانِ كَثيرةٌ .

٢ـ اكْتُبْ ثَلاثَ فوائِدَ لِكُلٍّ مِنَ : الزَّيتونِ والنَّخيلِ والأعْنابِ ، وقارِنْ ما تَذْكُرُهُ مَعَ ما يَذْكُرُهُ زُمَلاؤُكَ .

٣ـ أَقْسَمَ اللهُ تَعالى في سُورَةِ الواقِعَةِ بِمَواقعِ النُّجومِ ، اكْتُبِ الآيةَ الّتي فيها هذا القَسَمُ .

٤ـ عَدِّدْ عَشَرَةَ أَنْواعٍ مِنَ الحيواناتِ الأَليفَةِ ، وعَشَرَةَ أَنْواعٍ مِنَ الحيواناتِ المُفْتَرِسَةِ ، وعَشَرَةَ أنواعٍ مِنَ الطُّيورِ المُتَنَوِّعَةِ ، وَعَشَرَةَ مَعادِنَ مُسْتَخْرَجَةً مِنَ الأَرْضِ يَنْتَفِعُ بِها النَّاسُ ، لِيَظْهَرَ لَكَ كَثْرَةُ التنوُّعِ في المَخْلوقاتِ المُسَخَّرَةِ للإِنْسانِ .

* * *

الدَّرسُ الثّالِثُ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ

وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **حِلْيَةً** : ما يَتحلَّى الإنْسانُ بِهِ كاللُّؤْلؤِ والمَرْجانِ .
- **الفُلْكِ** : السُفُنِ .
- **مواخِرَ فيهِ** : تَشُقُّ الماءَ وتَجْري في البَحْرِ .
- **رَواسِيَ** : جِبالاً ثوابِتَ .
- **تَميدَ** : تتحرَّكَ وتَضْطَرِبَ .
- **سُبُلاً** : طُرُقاً .
- **لا تُحْصوها** : لا تُطيقوا حَصْرَها .
- **أيّانَ** : مَتى .



التَّفْسيرُ :

بَعْدَ أنْ ذَكَرَ سُبْحانَهُ بِعَدَدٍ مِنْ نِعَمِهِ على الإنْسانِ في البَرِّ والسَّماءِ ، أَتْبَعها بالتَّذْكيرِ بِعَدَدٍ مِنْ نِعَمِهِ في البَحْرِ ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

أيْ أَنَّ اللهَ تَعالى هُوَ الّذي ذَلَّلَ لَنا البَحْرَ ، ومَكَّننا مِنَ الانْتِفاعِ بِهِ ، فَمِنْهُ نَصْطادُ الأسْماكَ ذاتَ اللَّحْمِ الطَّرِيِّ الشَّهِيِّ ، وذاتَ الأصْنافِ المُتَنَوِّعَةِ والأحْجامِ المُتَعَدِّدَةِ والطُّعومِ المُخْتَلِفَةِ . ومِنَ البَحْرِ نَسْتَخْرِجُ أنْواعَ اللُّؤلُؤِ والمَرْجانِ الّتي نَتَّخِذُ مِنْها حُلِيّاً تَتَحلّى بِهِ النّساءُ وتَلْبَسُهُ لِلزّينةِ والتَّجمُّلِ ، وفي البَحْرِ تَسيرُ السُّفُنُ تَشُقُّ مِياهَهُ ، حامِلَةً الناسَ والبَضائِعَ ، كلُّ ذلكَ مُسَخَّرٌ لَنا لِيَسْهُلَ عَلَيْنا السَّفَرُ طَلَباً لِلرِّزْقِ ، وَلِنَتَمكَّنَ مِنَ الصَّيْدِ والغَوْصِ لاسْتِخراجِ اللُّؤلؤِ والمَرْجانِ ، كُلُّ ذَلِكَ كَيْ نَشْكُرَ اللهَ تَعالى على ما سَخَّرَ لَنا وَهيَّأَ مِنْ وَسائِلِ الانْتِفاعِ والارْتِزاقِ .

﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

واللهُ تَعالى هُوَ الَّذي جَعَلَ في الأرْضِ جِبالاً ثابِتَةً كَيْ تَحْفَظَ تَوازُنَ الأرْضِ فلا تَضْطَرِبُ في سَيْرِها ولا تَنْحَرِفُ عَنْ مسارِها ، وجَعَلَ في الأرْضِ أنْهاراً ذاتَ مِياهٍ عَذْبَةٍ تَجْري مِنْ مَنابِعِها إلى مَصابِّها ، لِيَنْتَفِعَ النَّاسُ بها شُرْباً لَهُمْ ولأَنْعامِهِمْ وَسُقيا لِزَرْعِهِمْ واصْطيادِهِمْ ، وانْتِقالاً مِنْ مكانٍ لآخَرَ، ومَنْظَراً بَهيجاً يَسُرُّ النَّاظِرينَ ، وجَعَلَ في الأرْضِ طُرُقاً كَثيرةً يَنْتَقِلُ عَبْرَها النَّاسُ مِنْ مَكانٍ لآخَرَ وَيَهْتَدونَ إلى غايَتِهِمْ بِسُلوكِها .

﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

واللهُ تَعالى جَعَلَ في الأَرْضِ مَعالِمَ وأماراتٍ يَهْتَدي بِها المُسافِرونَ في أسْفارِهِمْ وَتُعينُهُمْ على الوُصولِ إلى غايَتِهِمْ ، ومِنْ هذهِ المَعالِمِ : الجِبالُ ذاتُ الأَشْكالِ المُتَميِّزةِ ، والوِدْيانُ ذاتُ العلاماتِ الفارِقَةِ ، والآكامُ والسُّهولُ ونَحْوُها ، وجَعَلَ اللهُ تَعالى النُّجومَ الّتي في السَّماءِ علاماتٍ يَهْتَدي بِها المُسافِرونَ في البَحْرِ والبَرِّ ويَعْرِفونَ مِنْ خِلالِها اتّجاهاتِهِمْ ومكانَ وُجودِهِمْ .

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

بَعْدَ هذ البَيانِ الإلَهِيِّ لِهذهِ النِّعَمِ الكَثيرةِ جاءَ هذ السُّؤالُ والاسْتِفْهامُ للإنْكارِ والتَّوْبيخِ لِمَنْ عَبَدَ

غَيْرَ اللهِ ، أيْ أفَمَنْ يَخْلُقُ هذهِ الأشياءَ البَديعةَ المُتْقَنَةَ في صُنْعِها وإحْكامِها كَمَنْ لا يَخْلُق شَيْئاً مِثْلَها بَلْ هُوَ مَخْلوقٌ ضَعيفٌ لا يَمْلِكُ القُدْرَةَ على الخَلْقِ والإيجادِ ، فَكَيْفَ تُساوونَ أيُها المُشْركونَ بَيْنَ مَنْ يَخْلُقُ ومَنْ لا يَخْلُقُ ، وأيْنَ عُقولُكُمْ لِتُبيِّنَ لَكُمْ خَطأَ فِعْلِكُمْ ، أفلا تتذكَّرونَ فَتَعْرِفونَ خَطأَ ما أنْتُم عليْهِ مِنْ عِبادَةِ غَيْرِ اللهِ .

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ ﴾

ثُمَّ يُبيِّنُ اللهُ تعالى أنَّ نِعَمَهُ الّتي جعَلَها لِعبادِهِ لا تُحْصى ، فإذا حاوَلْتُم أنْ تَعُدّوا نِعَمَ اللهِ الّتي أنْعَم بها عَليْكُمْ فَلَنْ تَسْتَطيعوا الإحاطَةَ بِها أوْ حَصْرَها ، وهِيَ أكْبَرُ وأكْثَرُ مِنْ قُدْرَتِكُمْ على إحْصائِها فَضْلاً عَنِ القِيامِ بِحَقِّ شُكْرِها ، وإنَّ النِّعْمَةَ الواحِدَةَ لَتَنْطَوي على نِعَمٍ كَثيرةٍ في ثَناياها ، وكَمْ مِنْ نِعَمٍ خافيَةٍ غائِبَةٍ عَنِ الأعْيُنِ والأذهانِ ، ﴿إنَّ اللهَ لَغفورٌ رَحيمٌ﴾ وهذهِ واحِدَةٌ مِنْ أعْظَمِ النِّعَمِ ، فاللهُ تَعالى غَفورٌ لِعبادِهِ يَعفو عَنْ سَيِّئاتِهِمْ ، رَحيمٌ بِهِم حَيْثُ يُنْعِمُ عَلَيْهِم مَعَ تَقْصيرِهِمْ .

﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩ ﴾

واللهُ تَعالى وَحْدَهُ يَعْلَمُ ما تُسِرّونَهُ مِنْ أقْوالٍ وأفْعالٍ ، ويَعْلَمُ ما تُظْهِرونَهُ مِنْها ، فَهُوَ سُبْحانَهُ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْ أعمالِكُمْ أقوالِكُمْ ولا مِمّا تُخْفونَهُ في نُفوسِكُمْ .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ ﴾ .

أَمّا هذه الآلِهَةُ الّتي يَعْبُدُها المُشْركونَ مِنْ دُونِ اللهِ فإنَّها لا تَخْلُقُ شَيْئاً مَهْما كانَ صَغيراً أوْ حَقيراً ، لأَنَّها مَخْلوقةٌ ، بَلْ مِنْها ما هُوَ مَصْنوع بِأيْديكُمْ كَبَعْضِ الأصْنامِ ، فَمَنْ كانَ هذهِ حالُهُ كَيْفَ يُعْبَدُ ويُعَظَّمُ ؟

﴿ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٢١ ﴾

وهذهِ الآلِهَةُ المَزْعومةُ مُجرَّدُ أمواتٍ لا أثَرَ لِلحياةِ فِيهِمْ . فلا هُمْ يَسْمَعونَ كلاماً ولا يُبْصِرونَ عابِداً ولا يَتَحرَّكونَ مِنْ أماكِنِهم ولا يَمْلِكونَ لأنْفُسِهم ولا لِغَيْرِهِمْ ضَرّاً ولا نَفْعاً ، وهِيَ مُجَرَّدُ جَماداتٍ وحِجارةٍ لا يَشْعرونَ ولا يَدْرونَ مَتى يُبْعَثُ عابِدوهُمْ ولا مَتى يُبْعَثونَ هُمْ ، وهذا تَهكُّمٌ بِهذهِ الآلِهَةِ وبِمَنْ يَعْبُدُها وهُو يَرى حالَها وعَجْزَها عنِ الإدراكِ ، ومَعَ ذَلِكَ يُصِرُّ على عِبادَتِها وتَعْظيمِها ، وقَدْ تَكونُ هذه الآلِهَةُ مِنَ البَشَرِ الأحْياءِ أوِ الأمْواتِ . وَجَميعُ ما ذُكِرَ في هاتَيْنِ الآيَتيْنِ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِم فَهُمْ مَخْلوقونَ ، لا يَسْتَطيعونَ خَلْقَ شَيْءٍ ، وهُمْ إمّا أمواتٌ وإمّا أحْياءٌ مآلُهُم إلى المَوْتِ قَريباً ، ولا أحَدَ مِنْهُم يَعْلَمُ مَوْعِدَ بَعْثِهِ وعِقابِهِ إنْ كانَ راضِياً بِعبادَتِهِ مِنْ دونِ اللهِ ، وإنْ لَمْ يَكُنْ راضِياً بِذلكَ مِثْلَ عِيسى علَيْهِ السلامُ فإنَّهُ سَيتبرَّأُ مِمَّنْ عَبَدَهُ وعَظَّمَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرَةٍ ، منها :

١ـ كَثْرَةُ مَنافِعِ البِحارِ والأَنْهارِ وَتَنَوُّعِها ، مِمَّا يَقْتَضي شُكْرَ المُنْعِمِ بِها ، والمُحافَظَةَ عَلَيْها والاعْتِناءَ بِها .

٢ـ في البِحارِ كثيرٌ مِنَ الأَسْرارِ والمَنافِعِ الَّتي تُوجِبُ عَلَيْنا المَزيدَ مِنَ البَحْثِ عَنْها .

٣ـ الحَثُّ على طَلَبِ الرِّزْقِ والسَّعْيِ في البَحْثِ عَنْهُ .

٤ـ جوازُ المُقارَنَةِ بَيْنَ مَظاهِرِ قُوَّةِ الخَلْقِ وَضَعْفِ المَخْلوقِ لِتَقْريرِ بُطلانِ عِبادَةِ غَيْرِ اللهِ .

٥ـ عَجْزُ الإنْسانِ عَنْ إحصاءِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ ، يَقْتَضي مِنْهُ شُكْرُهُ عَلَيْها .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّدْ أَرْبَعَةً مِنَ الفوائِدِ الَّتي تَحْصُلُ للإنْسانِ مِنَ البَحْرِ .

٢ـ ما فائِدَةُ وُجودِ الجِبالِ على الأَرْضِ ؟

٣ـ ما أَوْجُهُ الانْتِفاعِ مِنَ الأَنْهارِ ، والسُّبُلِ ، والعلاماتِ ، والنُّجومِ ؟

٤ـ أ ـ لِماذا يَعْجَزُ الإنْسانُ عَنْ إحصاءِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ ؟

ب ـ وَعَلى ماذا يَدُلُّ ذَلِكَ ؟

٥ـ ما الأَثَرُ الّذي يُحْدِثُهُ عِلْمُ اللهِ بِما نُسِرُّ وَبِما نُعْلِنُ ؟

٦ـ في الآياتِ الكَريمَةِ مُقارَنَةٌ بَيْنَ مَظاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى الخالِقِ ، وَبَيْنَ ضَعْفِ المَعْبوداتِ الأُخْرى المَخْلوقَةِ ، اذْكُرْ أَوْجُهَ المُقارَنَةِ ، وما نَتيجَتُها .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ مِنْ سُورَةِ الصَّافّاتِ الَّتي تُبَيِّنُ أَنَّ المُشْرِكينَ كانوا يَنْحِتونَ الأَصْنامَ الَّتي يَعْبدونَها .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ نَوْعاً آخَرَ مِنَ المَخْلوقاتِ عُبِدَتْ مِنْ دُونِ اللهِ دُونَ إرادَتِها وَرِضاها .

٣ـ نَظِّمْ على لَوْحَةٍ كَرْتونِيَّةٍ نِعَمَ اللهِ تَعالى الّتي ذَكَرَتْها الآياتُ حَسَبَ المجالاتِ الآتيةِ ، وضَعْها في مَكْتَبَةِ المَدْرَسَةِ :

أ ـ الجَوُّ والسَّماءُ .

ب ـ الأرضُ اليابِسَةُ .

ج ـ البِحارُ والأَنْهارُ .

د ـ الحيواناتُ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ

سُورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **لا جَرَمَ** : حَقّاً .
- **أساطيرُ الأَوّلينَ** : أَباطيلُ وَخُرافاتٌ سَطَّرَها الأَقْدَمونَ .
- **أوزارَهُمْ** : ذُنوبَهُمْ .
- **القواعِدَ** : الدَّعائِمَ والأُسُسَ .
- **يَخْزيهِمْ** : يُذِلّهُمْ وَيُهينُهُمْ .
- **تُشاقّونَ** : تُخاصِمونَ .

التَّفْسيرُ :

بَعْدَ أَنْ أَبْطَلَ اللهُ تَعالى في الآياتِ السّابقَةِ عِبادَةَ غَيْرِهِ وكَشَفَ زَيْفَ الآلهَةِ الَّتي تُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ ، أَتْبَعَ ذلكَ بِبَيانِ أَنّهُ لا مَعبودَ بحقٍّ إلاّ هُوَ ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

أيْ إلٰهُكُمُ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبادَةِ والطَّاعَةِ هُوَ إلهٌ واحِدٌ لا شَريكَ لَهُ ، فاعْبُدوهُ ، ولا تُشْركوا بهِ شَيْئاً ، لَكِنَّ المُشْرِكينَ لا تُقْنِعُهُمُ البَراهينُ والأدِلَّةُ ، فالَّذينَ لا يُصَدِّقونَ بالآخِرَةِ قُلوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ لِوَحْدانِيَّةِ اللهِ مَعَ كَثْرَةِ الأَدِلَّةِ عَلَيْها ، وَهُمْ مُسْتَكْبِرونَ عنْ سَماعِ الحَقِّ واتِّباعِهِ . ومَنِ اجْتَمَعتْ فيهِ هاتانِ الصِّفتانِ : الجُحودُ والاسْتِكْبارُ ، كانَ مِنْ أَهْلِ الخَسارةِ والبَوارِ .

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

أيْ : أَنَّ اللهَ تَعالى يَعْلَمُ جَميعَ أَحْوالِهِمْ ، ما يُسِرّونَهُ مِنْها وما يُعْلِنونَهُ وَسَيُجازيهِمْ عَلَيْها بما يَسْتَحِقّونَ مِنْ عُقوبةٍ ، واللهُ تَعالى لا يُحِبُّ المُسْتَكْبِرينَ ، لأنَّ المَخْلوقَ لا يَليقُ بهِ أن يَتَكَبَّرَ ، فالكِبْرياءُ مِنْ خَصائصِ الخالِقِ العَظيمِ ، وفي الحَديثِ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ ، قالَ اللهُ تَعالى : « الكِبْرياءُ رِدائِي ، والعَظَمَةُ إزاري ، فَمَنْ نازَعَني واحِداً مِنْهُما قَذَفْتُه في النّارِ »[1] ،

وقولُه تَعالى ﴿إنّه لا يُحِبُّ المُسْتَكْبرينَ﴾ وَعيدٌ عامٌّ في الكافِرينَ والمُؤْمِنينَ يَنالُ كُلاًّ مِنْهُم بِحَسَبِ دَرَجَةِ تكبُّرِه وتَعاليهِ ، فَمَنْ تَكبَّرَ أَبْغَضَهُ اللهُ وَلَمْ يُدْخِلْهُ في عِدادِ مَنْ يُحِبُّهُم .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

في هَذِه الآيةِ الكَريمَةِ تَبْيينُ بَعْضِ ما كانَ يَدورُ مِنْ حَديثٍ بَيْنَ المُشْرِكينَ وَماذا كانوا يُجيبونَ الحاضِرينَ إلى مَكَّةَ مِنَ النَّاسِ ، فإذا قالَ قائِلٌ لِهؤلاءِ الكّافِرينَ المُتَكَبِّرينَ : ما الَّذي أَنْزَلَهُ رَبُّكُم على نَبيِّهِ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ قالوا رَدّاً على هذا السُّؤالِ : إنَّ ما يَقولُهُ هذا الرَّجُلُ هُوَ مُجَرَّدُ أَباطيلَ وخُرافاتٍ سَطَّرَها القُدَماءُ في كُتُبِهم ، ويَزْعُمُ أَنَّها أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ، وهُمْ يَعْلَمونَ كَذِبَ مَقالَتِهِمْ هذهِ ، وَلِذا تَوَعَّدَهُمُ اللهُ تَعالى بِقَوْلِهِ :

﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

اللّامُ في ﴿لِيَحْمِلوا﴾ هي لامُ العاقِبَةِ ، أي عاقِبَةُ أَمْرِهِم يَوْمَ القيامةِ أَنْ يَحْمِلوا آثامَهُم كُلَّها تامَّةً غَيْرَ مَنْقوصَةٍ ، ومُضافاً إليْها مِنْ عِقابٍ أليمٍ ، ألا بِئْسَ ما يَحْمِلونَ مِنْ آثامٍ وَذُنوبٍ نَتيجةَ كُفْرِهِمْ وضَلالِهِمْ وإضْلالِهِمْ غَيْرَهُمْ .

---

(١) رواه أبو داود في كتاب اللباس ، رقم الحديث ٣٥٦٧ .

وتُصوِّرُ الآيةُ الكَريمةُ الأَوْزارَ على أنَّها أَثْقالٌ تُرْهِقُ النُّفوسَ وَتُتْعِبُ حامِليها ، وهِيَ صُورَةٌ مُنَفِّرَةٌ مِنَ الأوزارِ والآثامِ .

﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

هذهِ الآيةُ مَسوقَةٌ لِتَسْلِيةِ النَّبيِّ ﷺ ومَنْ اتَّبعهُ في مُقابلِ مَكْرِ الكافِرينَ بهم ، فَيُخْبِرُ سُبْحانَهُ أنَّهُ قَدْ سَبَقَ هؤلاءِ الكافِرينَ أقوامٌ آخَرونَ مَكَروا بِرُسُلِهِمْ وآذوْهُمْ ، فَكانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أنْ هَدَمَ اللهُ تَعالى بُنْيانَهُمُ الّذي بَنَوْهُ مِنْ قَواعِدِهِ وَأُسُسِهِ ، فَسَقَطَ عَلَيْهِمْ سَقْفُ هذا البُنْيانِ مِنْ فَوْقِهِم فَأَهْلَكَهُم .

فَما كانوا يَظُنُّونَهُ حامِياً لَهُمْ مِنَ المَهالِكِ كانَ سَبَباً في هَلاكِهِمْ وتَدْميرِهِمْ ، وَرَدَّ اللهُ مَكْرَهُمْ وَكَيْدَهُمْ في نَحْرِهِمْ وعادَتْ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ عَلَيْهِمْ ، وأَصْبَحَ بِناؤُهُمُ المُحْكَمُ الّذي أَرادوا بهِ حِمايَةَ أَنْفُسِهِمْ وَتَحْصينَها سَبَبَ هَلاكِهِمْ ومَقْبَرَتِهِمْ ، وكانَ عذابُهُمْ مِمَّا لَمْ يَحْسِبوا حِسابَهُ ، ولَمْ يَتوقَّعوا أَنْ يَكونَ سَبَباً في هلاكِهِمْ والقَضاءِ عَلَيْهِمْ .

وَيجوزُ حَمْلُ ما أَوْرَدَتْهُ الآيةُ مِنْ وَصْفِ تَهدُّمِ البناءِ فَوْقَ رُؤوسِهِمْ على أَنَّهُ تَشْبيهٌ بَليغٌ لِحالِهِمْ ، ويَكونُ مَعنى الآيةِ عَلَيْهِ : أنَّ المُشْرِكينَ السَّابقينَ قَدْ مَكَروا بِرُسُلِهِمْ ودَبَّروا حِيَلاً لِذلكَ ، وكانَ حالُهُمْ في فِعْلِهِمْ في هذا كَحالِ قَوْمٍ بَنَوْا بُنياناً وَجَعلوا فيهِ الأَعْمِدَةَ والأَساطِينَ ، فانْهَدمَ وَتهاوَتْ أَعْمِدَتُهُ وسَقَطَ سَقْفُهُ فَوْقَ رُؤوسِهِمْ ، فما أَعدَّوهُ لِيَكونَ سَبَبَ بَقائِهِمْ صارَ سَبَبَ فَنائِهِمْ .

هَذ ما بَيَّنَتْهُ الآيةُ حَوْلَ مَصيرِهِمْ في الدُّنْيا ، أمَّا مَصيرُهُم في الآخِرَةِ فبيَّنَهُ قولُهُ تَعالى :

﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

أيْ أنَّ اللهَ تَعالى سَيُذِلُّ هؤلاءِ الّذينَ مَكَروا بِرُسُلِهِمْ وبِالْمُؤْمِنينَ مِنْ أقوامِهِمْ يَوْمَ القيامةِ ، ويَسْأَلُهُمْ : أَيْنَ الَّذينَ جَعَلْتُموهُمْ شُرَكاءَ لِي وَكُنْتُمْ تَعْبدونَهُمْ مِنْ دوني ، وكُنْتُمْ تُخاصِمونَ المُؤْمِنينَ في شَأْنِهِمْ ، أينَ هُمْ ؟ لِمَ لا يَحْضرونَ لِيَدفَعوا عَنْكُمُ العَذابَ ؟ ولا يَمْلِكُ المُجْرِمونَ الإجابَةَ عَنِ السُّؤالِ مِنْ رَهْبَةِ المَوْقِفِ والنَّدَمِ على ما فَعَلوا ، فَيقولُ الَّذينَ يَعْلَمونَ الحَقَّ وهُمُ المُؤْمِنونَ وأَتْباعُهُمْ : إنَّ الذُلَّ والمَهانَةَ والخِزْيَ واقِعٌ اليومَ على الكافِرينَ الّذينَ كانوا يُنْكِرونَ هذا اليَومَ ويَجْحَدونَهُ ويُكَذِّبونَهُ ، وفي سَماعِ الكافِرينَ لِهذا القَوْلِ زيادةٌ في حَسْرَتِهِمْ وأَلَمِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ ذَمُّ الاسْتِكْبارِ الّذي هُوَ سَبَبُ كَثيرٍ مِنَ الذُّنوبِ والسَّيِّئاتِ .

٢ـ المُشْرِكونَ جَمَعوا مَعَ الكُفْرِ جَريمَةَ الكَذِبِ والافْتِراءِ والقَوْلِ على اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ .

٣ـ بيانُ عَظيمِ إثْمِ مَنْ يُضِلُّ غَيْرَهُ عَنِ الهُدى ، حَيْثُ سَيُشارِكُ مَنْ أَضَلَّهُم في حَمْلِ أَوْزارِهِمْ .

٤ـ لا يَحيقُ المَكْرُ السَّيِّءُ إلاّ بِأَهْلِهِ ، فَلْيَحْذَرِ المُؤْمِنُ مِنَ المَكْرِ والكَيْدِ بالآخَرينَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئلَةِ التاليةِ :

١ـ وَصَفَتِ الآيَةُ (٢٢) المُشْرِكينَ بِصِفَتَيْنِ ، ما هُما ؟

٢ـ ما سَبَبُ عَدَمِ مَحبَّةِ اللهِ تَعالى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ؟ وَهَلْ ذَمُّ الكِبْرِ خاصٌّ بالكافِرينَ أَمْ يَشْمَلُ المُؤْمنينَ مَعَهُمْ ؟

٣ـ ما المَقْصودُ بِأَساطيرِ الأَوَّلينَ ؟

٤ـ ماذا سَيَحْمِلُ الكافِرونَ يَوْمَ القِيامَةِ ؟

٥ـ ما السَّبَبُ في حَمْلِ الكافِرينَ أَوْزارَ الّذينَ يُضِلّونَهُمْ ؟

٦ـ كَيْفَ بَيَّنَتِ الآيَةُ (٢٦) مَكْرَ الكاذِبينَ مِنَ الأُمَمِ السّابِقَةِ بِرُسُلِهِمْ وَعاقِبَةَ ذَلِكَ المَكْرِ ؟

٧ـ بِماذا يُجيبُ الكافِرونَ يَوْمَ القِيامَةِ على السُّؤالِ عَمَّنْ كانوا يَعْبدونَهُمْ في الدُّنْيا ؟

٨ـ ما فائِدَةُ تَقْريرِ المُؤْمنينَ يَوْمَ القِيامَةِ أَنَّ الذِّلَّةَ والمَهانَةَ على الكافِرينَ في ذَلِكَ اليَوْمِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبِ الحَديثَ القُدُسيَّ الّذي يُبَيِّنُ ثِمارَ حُبِّ اللهِ لِلْعَبْدِ .

٢ـ اذْكُرْ حديثاً نَبَوِيّاً يَدُلُّ على أَنَّ مَنْ دَعا إلى ضَلالَةٍ كانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ أَضَلَّهُ دونَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ وِزْرِهِ شَيءٌ .

الدَّرسُ الخامِسُ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

ﭐلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فالقَوْا السَّلَمَ : أَظْهروا المُسالَمَةَ والخُضوعَ .

مَثْوى : مَقامٌ .

جَنّاتِ عَدْنٍ : جَنّاتِ إقامَةٍ دائِمَةٍ .

طَيّبينَ : صالِحينَ .

التَّفْسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ بِتَبْيينِ حالِ الكافِرينَ عِنْدَ نَزْعِ أَرْواحِهِمْ ، ومَصيرِهِمْ بَعْدَ ذلكَ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

أَيْ إنَّ هَؤلاءِ الكافِرينَ الّذينَ سَيُصيبُهُمُ الخِزْيُ والسُّوءُ يومَ القِيامَةِ ، تَتوفّاهُمُ المَلائِكَةُ المُوَكَّلَةُ

بِقَبْضِ أَرْواحِهِمْ وهُمْ على حالِهِمْ مِنَ الكُفْرِ وظُلْمِ أَنْفُسِهِمْ ، فَتَجِدُهُمْ حينَ يُعانونَ المَوْتَ يُظْهِرونَ المُسالَمَةَ والخُضوعَ ، ويَزْعُمونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلوا في حَياتِهِمْ سوءاً قَطُّ ، فَيُكَذِّبُهُمُ اللهُ تعالى في قَوْلِهِم هذا ويُقال لَهُم : بَلى كُنْتُمْ تَعْمَلونَ السُّوءَ وتَأْتونَهُ ، ولا يَنْفَعُكُمْ إنْكارُكُمْ ذلكَ الأمرَ شَيْئاً ، لأنَّ اللهَ تَعالى العَليمَ بِكُلِّ شَيْءٍ ، يَعْلَمُ كُلَّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلونَهُ في حياتِكُمْ ، وسَيُجازيكُمْ عَلَيْهِ بما تَسْتَحِقّونَ .

﴿ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

فادْخُلوا أَيُّها الكافِرونَ إلى جَهَنَّمَ مِنْ أبوابِها ، حالَ كَوْنِكُمْ خالِدينَ فيها لا تَخْرجونَ مِنْها ولا يُخَفَّفُ عَنْكُم مِنْ عَذابِها ، وما أَسْوأَ المَقَرَّ الَّذي أعَدَّهُ اللهُ تَعالى لِلْمُتَكَبِّرينَ الَّذينَ آثَروا الكُفْرَ على الإيمانِ ، والمَعْصِيَةَ على الطَّاعةِ ، وماتوا على هذهِ الحالِ .

﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ حالَ المُشْرِكينَ الَّذينَ قالوا عَنِ القُرْآنِ لَمَّا سُئِلوا عَنْه : ﴿أساطيرُ الأَوَّلينَ﴾ فكانَ جزاؤُهُمْ جَهَنَّمَ خالدينَ فيها ، تَلَتْها هذهِ الآياتُ لِبيانِ حالِ الفَريقِ الآخَرِ ، الّذينَ أَحْسَنوا القَوْلَ والعَمَلَ فاسْتَحَقّوا على ذَلِكَ خَيْرَ الآخِرَةِ والأُولَى ، هُؤلاءِ المُتَّقونَ إذا قيلَ لَهُمْ : ماذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ؟ ﴿قالوا خَيْراً﴾ أيْ أَنْزَلَ خَيْراً كَثيراً ، وهُوَ القُرْآنُ ففيهِ كُلُّ الخَيْرِ ، وهُوَ كِتابُ الهِدايَةِ والإرْشادِ إلى كُلِّ خَيْرٍ ، والّذينَ يَسْأَلونَ : ماذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ؟ هُمْ إمّا القادِمونَ إلى مَكَّةَ فَيسأَلونَ عَمَّا أَنْزَلَهُ اللهُ تَعالى على نَبِيِّهِ ﷺ حينَ يَسْمَعونَ بِأَمْرِ البَعْثَةِ والرِّسالَةِ ، وإمَّا المُؤْمِنونَ يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً لِيُقَوِّيَ السّائِلُ إيمانَهُ حينَ يَسْمَعُ الجَوابَ الّذي يَعْلَمُهُ فَيزدادُ يَقيناً على يَقينِهِ ، وإمّا الكافِرونَ يَسْأَلونَ لِلْسُّخْرِيَةِ والتَّهَكُّمِ .

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحانَه عمّا أعَدَّهُ لِعبادِهِ المُتَّقينَ مِنْ حُسْنِ الجَزاءِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، فَقالَ : ﴿لِلّذينَ أَحْسَنوا في هذهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ﴾ أيْ لِلَّذينَ كانوا مُحْسِنينَ في قَوْلِهِمْ وعَمَلِهِمُ الجَزاءُ الحَسَنُ على ذَلِكَ في الدُّنْيا ، حَيْثُ يَنْصُرُهُمُ اللهُ ويُمَكِّنُ لَهُمْ في الأرْضِ ويُحييهِمْ حَياةً طَيِّبَةً كما قالَ سُبْحانَهُ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل : ٩٧] هذا في الدُّنيا ، أَمَّا في الآخِرَةِ فَلَهُمْ أَعْظَمُ الأَجْرِ وأَحْسَنُهُ ، وما في الدَّارِ الآخِرَةِ لَهُمْ مِنْ جَزاءٍ عَظيمٍ أَفْضَلُ لَهُمْ وأَطْيَبُ مِنْ جزاءِ الدُّنْيا الّذي يَنْتَهي ويَنْقَطِعُ ، أَمّا جَزاءُ الآخِرَةِ فَهْوِ دائِمٌ مُسْتَمِرٌّ ، ولَنِعْمَ دارُ المُتَّقينَ تِلكَ الدّارُ ، الّتي مِنْ صِفَتِها أَنّها :

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

فَهِيَ جَنّاتٌ ذاتُ أَشْجارٍ كَثيرةٍ مُتنوِّعَةٍ ، يُقيمونَ فيها إقامَةً دائِمَةً لا تَنْقَطِعُ ، وتَجْري مِنْ تَحْتِ

أشْجارِها وقُصورِها الأنْهارُ زِيادةً في جَمالِها وكَمالِها ، ولِيَتِمَّ بذلكَ سُرورُ أهْلِها ، ولأهْلِها فيها ما يَشاؤونَ مِنْ أنْواعِ المُشْتَهَياتِ الّتي تَخْطُرُ ببالِهِمْ فيَجِدونَها حاصِلَةً لَهُمْ على الوَجْهِ الّذي يَرْغَبونَهُ ، كما قالَ تَعالى : ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف : ٧١] ومِثْلُ هذا الجَزاءِ العَظيمِ يُعْطيهِ اللهُ تَعالى كُلَّ مَنِ اتَّقاهُ وعَمِلَ بما أمَرَ بِهِ واجْتَنَبَ ما نَهى عَنْهُ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ حالَ هؤلاءِ المُتَّقينَ عِنْدَ قَبْضِ أرْواحِهِمْ . فقالَ :

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ .

أيْ : إنَّ هؤلاءِ المُتَّقينَ عِنْدما تتوفَّاهُمُ المَلائِكَةُ المُوَكَّلَةُ بذلكَ ، يَكونونَ بحالٍ صالِحَةٍ ، طاهِرينَ مِنْ ظُلْمِ أنْفُسِهِم وغَيْرِهِمْ ، ومِنْ كُلِّ سُوءٍ ، وتَقولُ الملائِكَةُ لَهُمْ : سَلامٌ عَلَيْكُمْ وأمانٌ لَكُمْ ، وأبْشِروا بدُخولِ الجَنَّةِ الّتي أُعِدَّتْ وَهُيِّئَتْ لَكُمْ وَوُعِدْتُمْ بنَعيمِها ، بِسَبَبِ ما كُنْتُمْ تَعْمَلونَ مِنْ أَعْمالٍ صالِحَةٍ حَسَنَةٍ ، اسْتَحْقَقْتُمْ بها رِضْوانَ اللهِ ودُخولَ جَنَّتِهِ .

وفي الآيَةِ حَثٌّ لِلمُتَّقينَ كَيْ يُحافِظوا على تَمَسُّكِهِمْ بِها حَتَّى المَماتِ لِيَنْطَبِقَ عَلَيْهِم ما ذُكِرَ فيها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، مِنها :

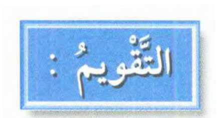
١ـ تُوَبِّخُ المَلائِكَةُ المُشْرِكينَ عِنْدَ قَبْضِ أرْواحِهِمْ وتُنْذِرُهُمْ بِالعَذابِ ، وَتُبَشِّرُ المُؤْمِنينَ بالرِّضا والنَّعيمِ .

٢ـ يُحاوِلُ المُشْرِكونَ إنْكارَ أعْمالِهِمْ في الدُّنْيا في مُحاوَلَةٍ مِنْهُمْ لِلْهُروبِ مِنْ جَزائِها وَلكِنْ بلا فائِدَةٍ .

٣ـ أعَدَّ اللهُ تَعالى الجَزاءَ الحَسَنَ في الدُّنْيا وَفِي الآخِرَةِ لِمَنْ أَحْسَنَ عَمَلَهُ .

٤ـ دارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ مِنَ الحياةِ الدُّنْيا ، والجَزاءُ فيها أتَمُّ مِنَ الجَزاءِ في الدُّنْيا .

٥ـ الأعمالُ الصالِحَةُ سَبَبٌ لِدُخولِ الجَنَّةِ ، والتَّوْفيقُ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ وَفَضْلٌ .



أجبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ كَيفَ يَكونُ حالُ الكافِرينَ عِنْدَما تَتَوفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ؟

٢ـ لماذا يُحاوِلُ الكافِرونَ إنْكارَ أَعْمالِهِمُ السَّيئَةَ عِنْدَ المَوْتِ ؟

٣ـ ماذا يَقولُ المُتَّقونَ حِينَ يُسْأَلونَ : ماذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ؟

٤ـ بيِّنْ جزاءَ المُتَّقينَ كما وَرَدَ في هَذِه الآياتِ الكَريمَةِ .

٥ـ قارِنْ بَيْنَ حالِ الكافِرينَ والمُتَّقينَ عِنْدما تَتوفَّاهُمُ المَلائِكَةُ .

٦ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ عَلى كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أ ـ يَعْرِفُ الكافِرُ ما يَنْتَظِرُهُ مِنْ عذابٍ عِنْدَ مَوْتِهِ .

ب ـ يَجْزي اللهُ تَعالى المُحْسنينَ خَيْراً على إحْسانِهِمْ في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

ج ـ ثَوابُ الآخِرَةِ أَفْضَلُ مِنْ ثَوابِ الدُّنْيا .

د ـ في الجَنَّةِ كُلُّ ما يَتمنّى المَرْءُ .

هـ ـ تُبَشِّرُ المَلائِكَةُ المُؤْمِنَ بِدُخولِ الجَنَّةِ عِنْدَ مَوْتِهِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً يُبيِّنُ كَيْفَ يَقْبِضُ مَلَكُ المَوْتِ أَرْواحَ النّاسِ عِنْدَ مَوْتِهِم .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّادِسُ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ السّادِسُ

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

هَلْ يَنْظُرونَ : هَلْ يَتوقَّعونَ .

حاقَ بِهِمْ : أحاطَ بِهِمْ .

من دُونِهِ : مِنْ غَيْرِه .

فَهَلْ على الرُّسُلِ : فما على الرُّسُلِ .

البلاغُ المُبينُ : التَبليغُ الواضِحُ .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ عَوْدٌ إلى الحَديثِ عَنِ المُشْرِكينَ وتَهْديدِهِمْ وَبيانِ بُطلانِ شُبُهاتِهِمُ الّتي يُثيرونَها وَيَزْعُمونَ أَنَّهم على حَقٍّ وصَوابٍ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

هذا تَهْديدٌ شَديدٌ لِلْمُشْرِكينَ يُوَبِّخُهُمْ اللهُ تَعالى بِهِ لِعَدمِ إيمانِهِمْ : فماذا يَنْتَظِرُ هَؤلاءِ المُشْرِكونَ وماذا يَتوقَّعونَ ، فَهُمْ مُسْتَمِرّونَ على كُفْرِهِمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ لِقَبْضِ أَرْواحِهِمْ فَيَموتوا على الكُفْرِ والضَّلالِ ، أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَعالى بِإهْلاكِهِمْ والانْتِقامِ مِنْهُمْ بريحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ أَوْ بِزِلْزالٍ مُدَمِّرٍ ، أَوْ بِطوفانٍ مُغْرِقٍ أَوْ بِصَيْحَةٍ مُهْلِكَةٍ كما حَصَلَ مَعَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ الّتي تَمادَتْ في كُفْرِها وأَصَرَّتْ عَلَيْهِ ، وهذا المَوْقِفُ مِنَ المُشْرِكينَ شَبيهٌ بِفِعْلِ المُشْرِكينَ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ الّتي أَهْلَكَها اللهُ ، وَلَمْ يَكُنْ إِهْلاكُهُمْ ظُلْماً لَهُمْ ولا تَعَدّياً عَلَيْهِمْ ، ولَكِنَّهُمْ هُمُ الّذينَ ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ لِكُفْرِهِمْ باللهِ تَعالى وإشْراكِهِمْ بِهِ ، فاسْتَحقّوا العَذابَ .

﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

هَذِهِ الجُمْلَةُ مَعْطوفَةٌ على قَوْلِهِ تَعالى : ﴿كَذلكَ فَعَلَ الّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وما بَيْنَهُما جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ ، أَيْ : إِنَّ الكافِرينَ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ تَمادَوْا في كُفْرِهِمْ وَضَلالِهِمْ ، وأَصَرّوا على عَدَمِ الإيمانِ فَأَصابَهُمْ جَزاءُ أَعْمالِهِمُ السّيِّئَةِ وأَحاطَ بِهِمُ العَذابُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ، وقَدْ كانوا قَبْلَ نُزولِ العَذابِ بِهِمْ يَسْتَهْزِئونَ بِهِ وَيَسْخَرونَ مِنْهُ كُلّما تَوعَدَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِهِ إِنِ اسْتَمَرّوا في كُفْرِهِمْ .

فَفي قَوْلِهِ تَعالى ﴿فَأصابَهَمْ سَيّئاتُ﴾ مُضافٌ مَحْذوفٌ تَقْديرُهُ : فَأَصابَهُمْ جَزاءُ سَيِّئاتِ ما عَمِلوا .

وفي اسْتِخدامِ الفِعْلِ ﴿حاقَ﴾ إشارةٌ إلى أَنَّ العَذابَ لَمْ يَقْتَصِرْ على مُجرَّدِ إصابَتِهِمْ بَلْ شَمَلَهُمْ وَعَمَّهُمْ وأحاطَ بِهِمْ وَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُم أَحداً .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

هذهِ حُجَّةٌ باطِلَةٌ واهِيَةٌ احْتَجَ بِها المُشْرِكونَ السَّابِقونَ ، ويَحْتَجُّ بِها عَدَدٌ مِنَ النَّاسِ لِإِمْضاءِ ما هُمْ فيهِ مِنْ باطِلٍ وَضَلالٍ وَجَعْلِهِ مُوافِقاً لإرادَةِ اللهِ تَعالى .

أَيْ : وقالَ المُشْرِكونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ لِلرَّسولِ ﷺ مُحْتَجّينَ لِما هُمْ عَلَيْهِ مِنْ شِرْكٍ : لَوْ شاءَ اللهُ عَدَمَ عِبادَتِنا لِشَيْءٍ غَيْرِهِ لَما حَصَلَ مِنّا ذَلِكَ وَلَعَبَدْناهُ وَحْدَهُ دونَ غَيْرِهِ ، وَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً نَحنُ ولا آباؤُنا الّذينَ سَبَقونا وكانوا على هذا الدِّينِ ، ونَحْنُ نَقْتَدي بِهِم ونَتَّبِعُهُمْ في طَريقَتِهِمْ .

وكذلكَ لَوْ شاءَ اللهُ تَعالى ألاّ نُحَرِّمَ شَيْئاً مِمَّا حَرَّمنا على أَنْفُسِنا لَتَمَّتْ مَشيئَتُهُ وَلَما حَرَّمْنا شَيْئاً لَمْ

يَأْذَنْ بِهِ اللهُ ، ولكنَّهُ سُبْحانَهُ لَمْ يَشَأْ ذلكَ ، بَلْ شاءَ لَنا أنْ نُشْرِكَ مَعَهُ في العِبادَةِ هذهِ الأَصْنامَ ، وأنْ نُحَرِّمَ على أنْفُسِنا بَعْضَ الأَنْعامِ ، وَرَضِيَ لَنا ذلِكَ ، فَلِماذا تُطالِبُنا أَيُّها الرَّسولُ بِتَغْييرِ مَشيئَةِ اللهِ وَتَدْعونا إلى الدُّخولِ في الإسْلامِ ، واللهُ لا يريدُ مِنّا ذلِكَ ؟

وَهَذِهِ المَقولَةُ مِنْ كُفّارِ مَكَّةَ قالَها المُشْرِكونَ الَّذينَ سَبَقوهُمْ فَأَشْرَكوا باللهِ وَكَذَّبوا رُسُلَهُ ، وَحَرَّموا ما أَحَلَّهُ وجادَلوا بالباطِلِ لِيُدْحِضوا بِهِ الحَقَّ .

وَهَذِهِ الحُجَّةُ باطِلَةٌ ، لأَنَّ المُشْرِكينَ يَجْعَلونَ شِرْكَهُمْ وَباطِلَهُمْ بِإِذْنٍ مِنَ اللهِ تَعالى لَهُمْ ، مَعَ أَنَّ اللهَ تَعالى لَمْ يُطْلِعْهُمْ على مَشيئَتِهِ حَتّى يَزْعُموا مُوافَقَتَها على ما يَفْعَلونَ . وَقَدْ أَعْلَمَنا اللهُ تَعالى عَنْ مَشيئَتِهِ مِنْ خِلالِ رُسُلِهِ الَّذينَ يُبَلِّغونَ ما أُمِروا بِهِ ، وَيَقومونَ بِتَبْليغِ الرِّسالَةِ على أَحْسَنِ وَجْهٍ وَأَتَمِّ حالٍ تَبْليغاً ظاهِراً واضِحاً لا لُبْسَ فيهِ ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَشيئَةَ اللهِ تَعالى اقْتَضَتْ أَنْ لا يُلْزِمَ أَحَداً بِإيمانٍ ولا بِكُفْرٍ ، إِنَّما جَعَلَ في طَبيعَةِ البَشَرِ الاسْتِعْدادَ لِلْخَيْرِ والاسْتِعْدادَ لِلشَّرِّ ، وَوَهَبَهُمُ العَقْلَ الَّذي يُمَيِّزونَ بِهِ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ ، وأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ لِيُرْشِدوهُمْ إلى طَريقِ الصَّوابِ ، فَهذِهِ مَشيئَةُ اللهِ أَنْ يَتْرُكَ لِلنّاسِ حُرِّيَّةَ الاخْتِيارِ ، وَكُلُّ إِنْسانٍ مُؤاخَذٌ على اخْتِيارِهِ ، لأَنَّهُ هُوَ الَّذي اخْتارَ لِنَفْسِهِ ولَمْ يُلْزِمْهُ اللهُ تَعالى بِشَيْءٍ ، وَلَمْ يُجْبِرْهُ على هُدىً ولا على ضَلالٍ . وَمَعَ كَوْنِ العِبادِ مُخْتارينَ فيما يَأْتونَ وَيَشاؤونَ ، فَإِنَّ اخْتِيارَهُمْ لا يَخْرُجُ عَنْ عِلْمِ اللهِ وَمَشيئَتِهِ .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَوافُقُ المُشْرِكينَ في جَميعِ العُصورِ على عَدَمِ الإيمانِ وَنِسْبَةِ شِرْكِهِمْ وضَلالِهِمْ لِمَشيئَةِ اللهِ تَعالى .

٢ـ جَزاءُ عَدَمِ الإيمانِ العَذابُ الأَليمُ في الآخِرَةِ ، وَقَدْ يَسْبِقُهُ الإهْلاكُ في الدُّنْيا .

٣ـ كُلُّ إِنْسانٍ مُحاسَبٌ على عَمَلِهِ الَّذي اخْتارَ القِيامَ بِهِ بِمَحْضِ إِرادَتِهِ .

٤ـ اقْتِصارُ مُهِمَّةِ الأَنْبياءِ الكِرامِ على التَّبْليغِ والإنْذارِ ، لا على الإِلْزامِ والإجْبارِ .



أجبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيِّنْ وَجْهَ التَّهديدِ لِلْمُشْرِكينَ في الآيةِ (٣٣) .

٢ـ ما وَجْهُ اعْتبارِ المُشْرِكينَ شِرْكَهُمْ مُوافِقاً لِمَشيئَةِ اللهِ ؟ وما الرَّدُّ عَلَيْهِمْ ؟

٣ـ وَرَدَ قَوْلُهُ تعالى ﴿كَذلِكَ فَعَلَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ في آياتِ هذا الدَّرْسِ مَرَّتيْنِ ، ما دَلالَةُ ذَلِكَ ؟

٤ـ بيِّنْ ما في الآياتِ الكَريمَةِ مِنْ تَسْلِيَةٍ لِلرَّسولِ ﷺ أمامَ تَكْذيبِ قَوْمِهِ لَهُ .

٥ـ بيِّنْ مَعنى ما يَلِي :

أ ـ أنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ .

ب ـ فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلوا .

ج ـ وحاقَ بِهِمْ ما كانوا بِهِ يَسْتَهْزِئونَ .

د ـ ولا حَرَّمْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ .

هـ ـ فَهَلْ عَلى الرُّسُلِ إلاّ البَلاغُ المُبينُ .

نَشاطٌ :

ـ اقْرَأ الآية (١٠٣) من سورَةِ المائِدَةِ والآيتيْنِ (١٣٨/ ١٣٩) مِنْ سورَةِ الأَنْعامِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها ما حَرَّمَهُ المُشْرِكونَ على أنْفُسِهِمْ ، واكْتُبْ ذَلِكَ في دَفْتَرِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّابِعُ

سورَةُ النَّحْلِ - القِسْمُ السّابِعُ

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **اجْتَنِبوا الطّاغُوتَ** : اتْرُكوا كُلَّ مَعْبودٍ سوى اللهِ .
- **حَقَّتْ** : ثَبَتَتْ .
- **تَحْرِصْ** : تَجْتَهِدْ .
- **جَهْدَ إيمانِهِمْ** : أَغْلَظَ الإيْمانِ وَأَوْكَدَها .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ تَأْكيدُ الرَّدِّ على المُشْرِكينَ في زَعْمِهِمْ أَنَّ ما هُمْ عَلَيْهِ مِنْ شِرْكٍ مُوافِقٌ لِمَشيئَةِ اللهِ تَعالى . قالَ سُبحانَهُ :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) ﴾ .

أيْ : لَقَدِ اقْتَضَتْ مَشيئَتُنا وَحِكْمَتُنا أنْ نَبْعَثَ في كُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ رَسولاً مِنْهُم يبلِّغُهُمْ رسالَةَ رَبِّهِ ، ويُرْشِدُهُمْ إلى ما فيهِ خَيرُهُمْ ، وَيَأْمُرُهُمْ بعبادَةِ اللهِ وَحْدَهُ ، وَتَرْكِ عِبادَةِ كُلِّ ما سِواهُ مِنْ أَصْنام وَتَماثيلَ أَوْ كُهّانٍ وَطَواغيتَ ، والطّاغوتُ : اسْمٌ لِكُلِّ ما يُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ .

وانْقَسَمَ الأَقْوامُ المُرْسَلُ إليْهِمْ أمامَ دَعْوَةِ الرُّسُلِ إلى : مُهْتَدينَ طائِعينَ لأَمْرِ رَبِّهِمْ مُلْتَزمينَ بتَوْجيهِ رَسولِهِمْ ، وَضالِّينَ لَمْ يَسْتَجيبوا لأَمْرِ اللهِ وَلَمْ يُطيعوا رَسولَهُمْ ، وكانَ عاقِبَةُ ذَلِكَ نَجاةَ المُؤْمِنينَ وهَلاكَ الكافِرينَ المُكَذِّبينَ ، وإنْ كُنْتُمْ في شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ أيُّها المُشْرِكونَ ، فَسيروا في الأَرْضِ وانْظُروا فيها مُعْتَبرينَ بِما حَدَثَ لِلْمُكَذِّبينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، وشاهِدوا آثارَهُمُ الدَّالَّةَ على هَلاكِهِمْ وبِبادَتِهِمْ ، واحْذَروا أَنْ يُصيبَكُمْ مِثْلُ ما أصابَهُم إنِ اسْتَمْرَرتُمْ في كُفْرِكُمْ وضَلالِكُم .

﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (٣٧) ﴾

هذا خِطابٌ لِرسولِ اللهِ ﷺ يَقولُ لَهُ : إنْ تَحْرِصْ أيُّها الرَّسولُ على هِدايةِ قَوْمِكَ فاعْلَمْ أنَّ حِرْصَكَ لا يَنْفَعُهُمْ ولا يُغَيِّرُ مِنْ حالِهِمْ ، فإنَّ حِكْمَةَ اللهِ اقْتَضَتْ أَنْ لا يَهْدِيَ مَنِ اخْتارَ الضَّلالَةَ وسارَ في طَريقِها ، فلا يُجْبَرُ أحدٌ على الهِدايةِ وَهُوَ لا يَرْغَبُ فيها ، ولَيْسَ لِهؤلاءِ الضَّالِّينَ الّذينَ اخْتاروا هَذا الطَّريقَ مِنْ ناصِرينَ يُنْجونَهُمْ مِنْ عذابِ اللهِ ، أَوْ يَنْفَعونَهُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الأَشْياءِ .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمةِ إشارَةٌ إلى ما كانَ عَلَيْهِ رَسولُ اللهِ ﷺ مِنْ مَكارِمِ الأَخْلاقِ ، والحِرْصِ والاجْتِهادِ على هِدايةِ قَوْمِهِ مَعَ ما لَقِيَهُ مِنْهُم مِنْ أذىً وَتَكْذيبٍ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أمراً آخَرَ مِنَ افْتراءاتِ المُشْرِكينَ وأَباطيلِهِمْ ، فَقالَ :

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨) ﴾ .

أيْ : وَأَقْسَمَ المُشْرِكونَ باللهِ ، وَبالَغوا في تَأْكيدِ أَيْمانِهِمْ وتَوْثيقِها بأَنَّ اللهَ تَعالى لا يَبْعَثُ مَنْ يَموتُ ، والعَجَبُ مِنَ المُشْرِكينَ أَنَّهُمْ يُظْهِرونَ تَعْظيمَ اللهِ تَعالى ، فَيُقْسِمونَ بهِ ثُمَّ يُعجزونَهُ عَنْ بَعْثِ الأَمْواتِ ، وهُمْ يَعْلَمونَ ما في البَعْثِ مِنْ تَحقيقِ العَدالَةِ بَيْنَ الخَلْقِ ، حَيْثُ يُجْزى المُحْسِنُ بإحْسانِهِ والمُسيءُ بإساءَتِه .

وَلِذا رَدَّ اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ رَدّاً مُؤَكِّدا حُصولَ البَعْثِ ﴿بَلى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً﴾ أيْ : بَلى سَيَبْعَثُ اللهُ الخَلْقَ يَوْمَ القيامَةِ ، وقَدْ وَعَدَ بِذلكَ وَعْداً صادِقاً لا بُدَّ مِنْ إنْجازِهِ ، ﴿ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمونَ﴾

أَنَّهم سَيُبْعَثونَ ويُحاسَبونَ ، لِجَهْلِهِمْ ضَرورَةَ البَعْثِ لِتَحْقيقِ العَدْلِ واسْتِبْعادِهِمْ إعادَةَ الحياةِ إلى الأَجْسادِ بَعْدَ أَنْ بَلِيَتْ وَفَنِيَتْ ، وَلِذا فَهُمْ يُنْكِرونَهُ ، ويُبالِغونَ في إنْكارِهِ ويُكَذِّبونَ الرُّسُلَ فيما يَدْعونَهُمْ إليهِ مِنْ إثباتِهِ وتَأْكيدِ حُصولِهِ .

﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

أَيْ أَنَّ اللهَ تَعالى يَبْعَثُ النَّاسَ مِنْ قُبورِهِمْ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الحَقَّ فيما اخْتَلَفوا فيهِ مِنْ أَمْرِ البَعْثِ وَغَيْرِهِ على آكَدِ وَجْهٍ ، فها هُوَ البَعْثُ الّذي كُنْتُمْ تُؤْمِنونَ بِهِ أَيُّها المُؤْمِنونَ قَدْ حَصَلَ تُشاهِدونَهُ بِأَعْيُنِكُمْ فَيَحْصُلُ لَكُمْ بِذلكَ يَقينُ الإيمانِ بِهِ ، أَمَّا الّذينَ كَفَروا فَها هُمْ يَرَوْنَ بِأَعْيُنِهِمْ ما كانوا يُنْكِرونَ ويُبالِغونَ في إنْكارِهِ قَدْ حَصَلَ ، فَلْيَعْلَموا أَنَّهُمْ كانوا كاذِبينَ حينَ أَقْسَموا على أَنَّ اللهَ لا يَبْعَثُ مَنْ يَموتُ ، كما كانوا كاذِبينَ في سائِرِ أَقْوالِهِمُ الباطِلَةِ وفي تَكْذيبِهِمْ أَنْبِياءَهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَبيينُ مُهِمَّةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وَهِيَ الدَّعْوَةُ إلى تَوْحيدِ اللهِ تَعالى وَنَبْذِ الشِّرْكِ والكُفْرِ .

٢ـ على المَرْءِ أَنْ يَعْتَبِرَ بما حَصَلَ مَعَ مَنْ سَبَقَهُ وأَنْ يَتَجَنَّبَ سَبَبَ عِقابِهِ لِئَلاَّ يُعاقَبَ مِثْلَهُ .

٣ـ الهُدى بِيَدِ اللهِ تَعالى فَلا يَسْتَطيعُ أَحَدٌ هِدايَةَ مَنْ لَمْ يُرِدِ اللهُ هِدايَتَهُ .

٤ـ البَعْثُ حَقٌّ وَضَرورَةٌ لِتَحْقيقِ العَدالَةِ بَيْنَ الخَلْقِ .

٥ـ يُبَيِّنُ اللهُ لِلنَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ الصَّوابَ فيما اخْتَلَفوا فيهِ في الدُّنْيا .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئِلَةِ التالِيَةِ :

١ـ أَيْنَ تَجِدُ مَعنى (لا إلهَ إلاّ اللهُ) في آياتِ الدَّرْسِ ؟

٢ـ اذْكُرْ مُهِمَّةَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ في أَقْوامِهِمْ .

٣ـ ما فائِدَةُ السَيْرِ في الأَرْضِ والنَّظَرِ في عاقِبَةِ المُكَذِّبينَ ؟

٤ـ ما سَبَبُ حِرْصِ الرَّسولِ ﷺ على هِدايَةِ قَوْمِهِ ؟

٥ـ بَيِّنْ وَجْهَ التَّناقُضِ عِنْدَ المُشْرِكينَ في إقْسامِهِمْ باللهِ على إنْكارِ البَعْثِ .

٦ـ ذكرتِ الآيةُ (٣٩) حِكْمَتينِ لِلْبَعْثِ ، ما هُما ؟ وهَلْ لِلْبَعْثِ حِكَمٌ أُخْرَى ؟ اذْكُرْها .

٧ـ أ ـ ما الهِدايَةُ الّتي يَمْلِكُها الرّسولُ ﷺ ؟

ب ـ ما الهِدايَةُ الّتي هِيَ مِنْ خَصائِصِ اللهِ دُونَ غَيْرِه ؟

نَشاطٌ :

١ـ جَعَلَ اللهُ تَعالى آثارَ بَعْضِ الأَقْوامِ الّتي عُذِّبَتْ بِسَبَبِ كُفْرِها على طُرِقِ النّاسِ ظاهِرَةً ، اكْتُبِ اسْمَ مَكانَيْنِ يَدلاّنِ على ذَلِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حادِثَةً تَدُلُّ على مُجادَلَةِ الكافِرينَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ في قَضِيَّةِ البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّامِنُ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لَنُبَوِّئَنَّهُمْ : لَنُنْزِلَنَّهُمْ .

بالبيِّنات : بالحُجَجِ والبَراهينِ الواضِحاتِ .

الزُّبُر : الكُتُبِ السَّماوِيَّةِ .

مَكَروا السَّيِّئاتِ : عَمِلوا السَّيِّئاتِ بِمَكْرٍ .

يَخسفَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ : يَجْعَلَ اللهُ الأَرْضَ تَنْشَقُّ وَتَبْتَلِعُهُمْ .

في تَقَلُّبِهِمْ : في حَرَكَتِهِم .

بِمُعْجِزينَ : بِمُمْتَنِعينَ على اللهِ أَوْ هاربينَ مِنْ بَأْسِهِ .

تَخَوُّفٍ : على مَخافَةٍ وَحَذَرٍ .



التَّفْسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمةِ تَبْيينٌ أَنْ قُدْرَةَ اللهِ مُطْلَقَةٌ وأَنَّ إرادتَهُ نافِذَةٌ ، وَفيها مَدْحُ المُهاجِرينَ في سَبيلِ اللهِ ، وَتَهْديدٌ وَوَعيدٌ لِمَنْ يكيدُ لِهذا الدِّينِ وَيُحارِبُهُ . قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

تَأْتي هذهِ الآيَةُ الكريمةُ عَقِبَ الآياتِ الّتي تَتَحدَّثُ عَنِ البَعْثِ ، لِتُبيّنَ أَنَّ بَعْثَ الخَلْقِ يَسيرٌ على اللهِ تَعالى ، كما أَنَّ أَيَّ أَمْرٍ إذا أَرادَهُ اللهُ فإنَّما يَقولُ لَهُ كُنْ فَيكونُ هذا الأَمْرُ كما أَرادَهُ اللهُ ، بلا تَأَخُّرٍ ولا إِبْطاءٍ ودونَ حاجَةٍ إلى تَأْكيدٍ .

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

فِي هَذهِ الآيةِ الكريمَةِ امْتِداحُ المُهاجِرينَ في سَبيلِ اللهِ والّذينَ تَرَكوا دِيارَهُمْ وَأَوْطانَهُمْ وأَمْوالَهُم وَخَرَجوا مِنْها لإعلاءِ كَلِمَةِ اللهِ وَرَفْعِ رايَتِهِ وَنَشْرِ دينِهِ ، بَعْدَ أَنْ تَحَمَّلوا الكَثيرَ مِنَ الظُّلْمِ والأَذى والاعْتِداءِ . وَتُبَيِّنُ الآيَةُ ما أَعَدَّهُ اللهُ تَعالى لِهؤلاءِ المُهاجرينَ مِنْ أَجْرٍ وَمَثوبةٍ ، مِنْها ما هُوَ في الدُّنْيا وَهُوَ : أَنْ يُنْزِلَهُمُ اللهُ منازِلَ حَسَنَةً يَرْضَوْنَها ومَساكِنَ طَيِّبَةً يَسْتَقِرّونَ فيها ، وأَنْ يُعْطِيَهُم عَطاءً حَسَناً وأَنْ يَنْصُرَهُمْ على عَدوِّهِمْ ويُمَكِّنَ لَهُمْ في الأَرْضِ ، أَمَّا أَجْرُهُمْ في الآخِرَةِ فَهُوَ أَعْظَمُ وأَكْبَرُ مِنْ أَجْرِ الدُّنْيا ، ولَوْ كانوا يَعْلَمونَ ما أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ نَعيمٍ في الآخِرَةِ لَما حَزِنوا على مُفارَقَةِ الأَوْطانِ والأَمْوالِ ، ولازْدادوا اجْتِهاداً في الهِجْرَةِ ، وَلَوْ عَلِمَ أَعْداؤُهُمُ الظّالِمونَ ما لِلْهِجْرَةِ مِنْ أَجْرٍ عَظيمٍ في الآخِرَةِ لَدَخلوا في الإِسْلامِ ولأَقْلَعوا عَنِ الظُّلْمِ وإجْبارِ النّاسِ على الهِجْرَةِ .

وَقَدْ رَأى المُهاجِرونَ السّابِقونَ تَحقُّقَ وَعْدِ اللهِ تَعالى لَهُمْ ، حينَ هاجَروا وَتَركوا دِيارَهُمْ ، وَهاجَروا إلى الحَبَشَةِ ثُمَّ هاجَروا إلى المَدينةِ بَعْدَ ذلِكَ ، فَبوَّأَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ المَنازِلِ في مَدينةِ رَسولِ اللهِ ﷺ ونَصَرَهُمْ على أَعْدائِهِمْ وَفَتَحَ لَهُمُ البِلادَ ، وما لَهُمْ مِنْ ثَوابٍ عِنْدَ اللهِ في الآخِرَةِ أَعْظَمُ وأَكْبَرُ .

﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

أَيْ هَؤلاءِ المُهاجِرونَ هُمُ الّذينَ صَبَروا على ما أَصابَهُمْ مِنْ شِدَّةٍ وظُلْمٍ ، وَصَبروا على تَرْكِ الأَهْلِ والأَوْطانِ في سَبيلِ اللهِ ، وتَوكَّلوا على رَبِّهِم وَحْدَهُ وأَسْلَموا أَمْرَهُمْ إليْهِ .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

هذهِ الآيةُ رَدٌّ على المُشْرِكينَ الّذينَ أَنْكَروا أنْ يَكونَ الرَسولُ بَشَراً ، فَيُخْبِرُ سُبْحانَهُ أنّهُ لَمْ يُرْسِلْ قَبْلَ الرَّسولِ ﷺ إلاَّ رِجالاً مِثْلَهُ ، يَحْمِلونَ الرِّسالَةَ إلى أَقْوامِهِمْ وَيَدْعونَهُم إلى الهُدَى والخَيْرِ وَيَتَلَقَّوْنَ وَحْيَ اللهِ الّذي يُوحيهِ إلَيْهِمْ ، ويُبَلِّغونَهُ بِكُلِّ أمانَةٍ وإخْلاصٍ ، وإنْ كُنْتُمْ لا تَعْلمونَ ذَلِكَ أَوْ تَشُكّونَ فيهِ أيُّها المُشْرِكونَ ، فاسْأَلوا عُلَماءَ أَهْلِ الكِتابِ مِنَ اليَهودِ والنَّصارَى وَسَيُبَيِّنونَ لَكُمْ أَنَّ الرُّسُلَ جَميعاً كانوا مِنَ البَشَرِ وَلَمْ يَكونوا مِنَ المَلائِكَةِ .

﴿ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

الجارُّ والمَجْرورُ مُتَعَلِّقانِ بِقَوْلِهِ في الآيَةِ السَّابِقَةِ ﴿وما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلاَّ رجالاً نوحي إلَيْهِمْ﴾ وتَتَمَّةُ الآيةِ السَّابِقَةِ ﴿فاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمون﴾ جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَهُما ، لِلْمُبادَرَةِ إلى تَوْبيخِ المُشْرِكينَ وإبْطالِ شُبْهَتِهِمْ .

ومَعَنى الآيةِ : أَنَّ الرُّسُلَ الَّذينَ أَرسَلناهُمْ قَبْلَكَ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ كانوا مُؤَيَّدينَ بالحُجَجِ والبَراهينِ الواضِحاتِ ، وبالمُعْجزاتِ القاطِعاتِ ، وأَنْزَلْنا عَلَيْهِمُ الكُتُبَ لِتَبْيينِ الشَّرائِعِ والتَّكاليفِ ولإرْشادِ النَّاسِ إلى ما فيهِ سَعادَتُهُمْ وخَيْرُهُم . وأَنْزَلْنا عَلَيْكَ أَيُّها النَّبِيُّ القُرْآنَ لِيَعْرِفَ النَّاسُ ما فيهِ مِنْ أَحْكامٍ وآدابٍ وتَشْريعاتٍ ، ولَعَلَّهُمْ يَتفكَّرونَ في هذا القُرْآنِ فَيَتَّعِظونَ وَيَنْتَفِعونَ بما فيهِ .

﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

هذهِ الآيةُ وَعيدٌ لِلْمُشْرِكينَ المُحاربينَ لِدينِ اللهِ وفي مُقَدِّمَتِهِمْ مُشركو مَكَّةَ ، الَّذينَ مَكَروا بِرَسولِ اللهِ ﷺ وآذَوْهُ ، والاسْتِفْهامُ في الآيَةِ للإنْكارِ ، والمَعْنى : هَلْ أَمِنَ الكُفَّارُ أَصْحابُ المَكْرِ والأَفْعالِ السَّيِّئَةِ أَنْ يُهْلِكَهُمُ اللهُ بالخَسْفِ ، بِأَنْ يَجْعَلَ الأَرْضَ تَنْشَقُّ وتَبْتَلِعُهُمْ فيغيبونَ فيها ، أَوْ أَنْ يُهلَكوا بِعذابٍ يَأْتيهِمْ فَجأَةً مِنْ جِهَةٍ لا يَتوقَّعونَ حُصولَ العذابِ مِنْها ، ولا يَتوقَّعونَ الشَّرَّ مِنْ ناحِيَتِها .

﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

أَوْ هَلْ أَمِنوا أَنْ يُهلِكَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَتَنَقَّلونَ مِنْ مكانٍ لآخَرَ خلالَ سَفَرِهِمْ أَوْ إقامَتِهِمْ ، فإنَّهُمْ في جَميعِ الأَحْوالِ لا يَسْتَطيعونَ الإفْلاتَ أَوِ الفِرارَ مِنْ عَذابِ اللهِ .

﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ٤٧﴾

أَوْ هَلْ أَمِنوا أَنْ يَأْخُذَهَمْ وَهُمْ عَلى مَخافَةٍ وَحَذَرٍ مِنَ العَذابِ والهَلاكِ ، فَيكونُ إهْلاكاً شديداً لِوُقوعِهِ بَعْدِ خَوْفٍ وتَرَقُّبٍ .

إلاّ أنَّ حِكْمَةَ اللهِ الرَّؤوفِ الرَّحيمِ اقْتَضَتْ أَنْ لا يُعاقِبَكُمْ بعذابٍ عامٍّ شامِلٍ كما كانَ عذابُ الأُمَمِ السَّابِقَةِ ، فإنْ عَذَّبَ طائِفَةً ، فإنَّهُ يُبْقي أُخْرى رَأْفَةً مِنْهُ ورَحْمَةً مَعَ اسْتِحْقاقِكُمْ لِلْعُقوبَةِ .

ولَيْسَ المُرادُ مِنَ الاقْتِصارِ على صُوَرِ الإهْلاكِ الأَرْبَعِ الحَصْرُ بَلِ التَّمْثيلُ ، وَبَيانُ قُدْرَةِ اللهِ على إهْلاكِهِمْ بِأيَّةِ وَسيلةٍ شاءَ وعلى أيِّ حالٍ كانوا .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ عَظيمُ قُدْرَةِ اللهِ في الخَلْقِ والإيجادِ ، فإنَّهُ يَأْمُرُ ما يُريدُ خَلْقَهُ بِقَوْلِهِ كُنْ فَيَكونُ كما أرادَ .

٢ـ فَضلُ الهِجْرَةِ وعَظيمُ ثَوابِها في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

٣ـ جَميعُ الرُّسُلِ كانوا بَشَراً لِيَتَمكّنوا مِنْ تَبْليغِ رِسالَةِ رَبِّهِمْ إلى النَّاسِ .

٤ـ سؤالُ أَهْلِ العِلْمِ ، لِمَعْرِفَةِ الصَّوابِ واجِبٌ على المُسْلِمينَ .

٥ـ في السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ تَفْصيلُ ما أُجْمِلَ في القُرْآنِ وَتَوْضيحُ مَعانيهِ ، فلا غِنى عَنْها .

٦ـ قُدْرَةُ اللهِ على إهْلاكِ أَعْدائِهِ بِطُرُقٍ مُتَعدِّدَةٍ وَوَسائِلَ مُتنوِّعَةٍ ، وَلَكِنَّ رَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ اقْتَضَتْ تَأْجيلَ عَذابِ بَعْضِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَتوبونَ وَيَنْتَهونَ عَنْ باطِلِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بَيِّنْ بإيجازٍ مَعنى قَوْلِهِ تعالى : ﴿إنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقولَ لَهُ كُنْ فيكونُ﴾ .

٢ـ بَيِّنْ ثَوابَ المُهاجِرينَ في سَبيلِ اللهِ .

٣ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ جَعْلِ الرُّسُلِ بَشَراً ؟

٤ـ بماذا أَيَّدَ اللهُ تَعالى رُسُلَهُ ؟ وما دَليلُ ذلِكَ ؟

٥ـ بيِّنْ أَهَمِّيَّةَ السُّنَّةِ ومَنْزِلَتَها بالنِّسْبَةِ لِلقُرْآنِ .

٦ـ عَدِّدْ أَوْجُهَ العَذابِ الّتي يُمْكِنُ أَنْ يُهْلِكَ اللهُ تَعالى بِها الكافِرينَ والمَذْكورَةَ في الآياتِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ مِنْ سُورَةِ يس الدَّالَّةَ على هذا المَعْنى الوارِدِ في الآية (٤٠) .

٢ـ اكْتُبْ في دفْتَرِكَ حَديثاً شَريفاً يُبيِّنُ حُكْمَ الهِجْرَةِ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَتينِ مِنْ سُورَةِ المُلْكِ الدَّالَّتيْنِ على المَعْنى الوارِدِ في الآياتِ (٤٥ـ٤٧) .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ التَّاسِعُ

سُورَةُ النَّحْلِ - القِسْمُ التَّاسِعُ

أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَتَفيَّأُ ظِلالُهُ : يَنْتَقِلُ ظِلُّ الشَّيْءِ مِنْ جانِبٍ إلى آخَرَ .

داخِرونَ : مُنْقادونَ .

لَهُ الدِّينُ : الطّاعَةُ والانْقِيادُ للهِ .

واصِباً : واجِباً دائِماً .

تَجْأَرونَ : تَرْفَعونَ أَصْواتَكُمْ بالاسْتِغاثَةِ .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ الإخْبارُ عَنْ سُجودِ المَخلوقاتِ كُلِّها للهِ ، والأَمْرُ بِتَوْحيدِهِ واللّجُوءِ إليْهِ لِقَضاءِ الحاجاتِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ خَوَّفَ اللهُ تَعالى المُشْرِكينَ بِقُدْرتِهِ على إهْلاكِهِمْ ، أَتْبَعَ ذَلِكَ بما يَدُلُّ على عَظَمَتِهِ وجَلالِهِ ، فَقالَ : ألا يَرى هَؤلاءِ المُشْركونَ أَنَّ كُلَّ المَخْلوقاتِ الّتي لَها جِسْمٌ كالأشْجارِ والجبالِ ونَحْوِها ، يَنْتَقِلُ ظِلُّها مِنْ جانِبٍ إلى آخَرَ تَبَعاً لِحَرَكَةِ الشَّمْسِ واخْتِلافِ الأَوْقاتِ ، فَفي أَوَّلِ النَّهارِ يَكونُ الظِّلُّ على حالٍ وَجِهَةٍ ، ثُمَّ يَتَقَلَّصُ الظِّلُّ عِنْدَ الظَّهيرةِ ثُمَّ يَعودُ إلى حالٍ أُخْرى وَجِهَةٍ مُعاكِسَةٍ لِلْجِهَةِ السَّابِقَةِ ، وهذِهِ الظِّلالُ مُنْقادَةٌ لأمْرِ اللهِ ومُسْتَسْلِمَةٌ لَهُ ، وسُمِّيَ انْقِيادُها هَذا سُجوداً ، كَما أَنَّ أَصْحابَ هذِهِ الظِّلالِ مُنْقادونَ لأَمْرِ اللهِ ومُلْتَزِمونَ بِحُكْمِهِ يَسْتوي في ذَلِكَ العُقَلاءُ وَغَيْرُهُمْ .

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

فَكُلُّ ما في السَّماواتِ مِنْ مَخْلوقاتٍ وما في الأَرْضِ مِنْ مَخْلوقاتٍ ، تَسْجُدُ للهِ تَعالى خاضِعَةً لأَمْرِهِ مُعَظِّمَةً لِشَأْنِهِ ، إِمَّا سُجودَ طاعةٍ وَعِبادةٍ كَسُجودِ المُؤْمنينَ والمَلائِكَةِ ، وإمَّا سُجودَ انْقِيادٍ وَخُضوعٍ كَسُجودِ سائِرِ المَخْلوقاتِ ، ويَكونُ المُرادُ بهذا السُّجودِ الانقيادُ لأمرِهِ ، والالْتِزامُ بِحُكْمِهِ في قَوانينِ الكَوْنِ الّتي لا تُخالَفُ .

وقَوْلُهُ تَعالى ﴿مِنْ دابَّةٍ﴾ بيانٌ لِما في الأَرْضِ ، ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكونَ بَياناً لِما في السَّماواتِ وما في الأَرْضِ .

وَتَخْصيصُ الملائِكَةِ بالذِّكْرِ لِشَرَفِ مَنْزِلَتِهِمْ ﴿وهُمْ لا يَسْتَكْبِرونَ﴾ أيْ الملائكةُ لا يَسْتَكْبِرونَ عَنِ السُّجودِ للهِ تَعالى مَعَ كَثْرَتِهِمْ وَعَظيمِ قُوَّتِهِمْ .

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾

أيْ أَنَّ الملائِكَةَ يَخافونَ رَبَّهُمُ الّذي هُوَ فَوْقَهُمْ بالذَّاتِ والقَهْرِ ، ويَخْشَوْنَهُ ويُطيعونَهُ في جَميعِ ما يَأْمُرُهُمْ بهِ ولا يَعْصونَ لَهُ أَمْراً .

﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾

بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَ سُبْحانَهُ عَنْ خُضوعِ كُلِّ ما في الكَوْنِ لَهُ ، أَتْبَعَهُ بالأَمرِ بتَوْحيدِهِ ونَفْيِ الشَّريكِ عَنْهُ ، فَقالَ اللهُ تَعالى لِعِبادِهِ لا تَجْعَلوا لي شَريكاً فَإِلهُ هذا الكَوْنِ واحِدٌ لا شَريكَ لَهُ فارْهَبوني وَحْدي وَخافوني في جَميعِ أُمورِكُمْ .

فالمَقْصودُ مِنَ الآيَةِ النَّهْيُ عَنِ الإشْراكِ باللهِ مُطْلَقاً . وخَصَّ عَدَدَ (الاثْنَينِ) بالذِّكْرِ لأنّهُ أَقَلُّ عَدَدٍ بَعْدَ الواحِدِ ، فَنَفْيُهُ يُلْزِمُ نَفْيَ ما فَوْقَهُ مِنْ أَعْدادٍ .

وَتَقْديمُ (إيَّايَ) لإرادَةِ الاخْتِصاصِ ، وحَذْفُ مَفعولِ (فارْهَبونَ) لإرادَةِ العُمومِ أيْ في كُلِّ شَيْءٍ ، والالْتِفاتُ مِنَ الغَيْبَةِ إلى الخِطابِ لِلْمُبالَغَةِ والتَّخْويفِ .

﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

أيْ : وَللهِ وحْدَهُ دُونَ سِواهُ جَميعُ ما في السَّماواتِ وما في الأرْضِ ، ولَهُ وَحْدَهُ الطَّاعَةُ دائِمَةً وَثابِتَةً ، أفَبَعْدَ أنْ عَلِمْتُمْ ذَلِكَ تَخافونَ غَيرَ اللهِ وتَعْبدونَهُ ؟ فالاسْتِفْهامُ في (أفَغَيْرَ) يُفيدُ الإنْكارَ .

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

أيْ أنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ عِنْدَكُمْ فَهِيَ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ ، فَهُوَ المُنْعِمُ عَلَيْكُمْ بِجَميعِ النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ والباطِنَةِ ، الجَليلَةِ والدَّقيقَةِ ، ومِنْ واجِبِكُمْ شُكْرُ المُنْعِمِ على ما أَنْعَمَ وَحَمْدُهُ على ما أَعْطى وأسْبَغَ ، ولَكِنَّ مُعْظَمَكُمْ أَيُّها النَّاسُ يَغْفَلونَ عَنِ المُنْعِمِ وَيَنْسَوْنَ فَضْلَهُ عَلَيْهِم ما داموا في سَعَةٍ وَيُسْرٍ ، فإذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ رَفَعْتُمْ أَصْواتَكُمْ بالتَّضَرُّعِ والدُّعاءِ إلى اللهِ وَحْدَهُ ، لِيَكْشِفَ عَنْكُمْ ما أصابَكُمْ مِنْ ضُرٍّ وتَنْسَوْنَ سِواهُ مِمَّا تَعْبدونَ .

﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

ثُمَّ إنَّكُم بَعْدَ أَنْ يَكْشِفَ اللهُ عَنْكُمُ الضُّرَّ الَّذي أصابَكُمْ ، سُرْعانَ ما يَعودُ مُعْظَمُكُمْ إلى شِرْكِهِمْ باللهِ ناسينَ أَوْ مُتناسينَ فَضْلَ اللهِ عَلَيْهِمْ بِكَشْفِ الضُّرِّ وإزالَتِهِ .

﴿ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

اللَّامُ في (لِيَكْفُروا) لامُ العاقِبَةِ ، أيْ أَنَّ مُعْظَمَ النَّاسِ يُرْجِعونَ فَضْلَ ذهابِ الضُرِّ عَنْهُم لِغَيْرِ اللهِ ، لِتَكونَ عاقِبَةُ أمْرِهِمْ إنْكارَ فَضْلِ اللهِ عَلَيْهِمْ ، وَعَدَمَ الاعْتِرافِ بما آتاهُمْ مِنْ نِعْمَةِ إذْهابِ البَلاءِ وإحْلالِ العافِيَةِ مَكانَها ، فَتَمَتَّعوا أَيُّها المُشْرِكونَ في هذه الدُّنْيا إلى وَقْتِ انْتِهاءِ آجالِكُمْ ، فَسَوْفَ تَعْلَمونَ عاقِبَةَ أَمْرِكُمْ حينَ يَحِلُّ بِكُمُ العَذابُ الشَّديدُ في الآخِرَةِ .

وَهذا وَعيدٌ لِكُلِّ مَنْ فَعَلَ هذا الفِعلَ وَأَسْنَدَ الفَضْلَ في النِّعْمَةِ والرَّخاءِ لِغَيْرِ اللهِ ، وَنَسِيَ شُكْرَ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ ، فالأَمْرُ في (فَتَمَتَّعوا) لِلْوَعيدِ ، والالْتِفاتُ مِنَ الغَيْبَةِ إلى الخِطابِ لِزِيادَةِ الوَعيدِ والمُبالَغَةِ فيه .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ ـ كُلُّ ما في الكَوْنِ مُسْتَسْلِمٌ للهِ تَعالى ، خاضِعٌ لِسُنَنِهِ الكَوْنِيةِ .

٢ـ وُجوبُ الرَّهْبَةِ مِنَ اللهِ تَعالى دُونَ سِواهُ ، فَكُلُّ ما في الكَوْنِ مِنْ صُنْعِ اللهِ .

٣ـ الواجِبُ على الإنْسانِ أَنْ يَحْمَدَ اللهَ على نِعَمِهِ وأَنْ يَذْكُرَهُ في حالِ السَّرّاءِ والضَّرّاءِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ على أيِّ شَيْءٍ يَدُلُّ سُجودُ الظِّلالِ للهِ تَعالى ؟

٢ـ ما فائِدَةُ الإخْبارِ بِسُجودِ كُلِّ ما في السَّماواتِ وما في الأَرْضِ للهِ ؟

٣ـ ما وَجْهُ تَخْصيصِ المَلائِكَةِ بالذِّكْرِ ؟ وما صِفاتُهُمْ الّتي ذَكَرَتْها الآيةُ ؟

٤ـ ما سَبَبُ تَقديمِ لَفْظِ (إيّايَ) في قَوْلِهِ تَعالى (فإيّايَ فارْهَبونَ) وما سَبَبُ الانْتِقالِ في الآيةِ مِنَ الغَيْبَةِ إلى الخِطابِ .

٥ـ ماذا يَفْعَلُ مُعْظَمُ النّاسِ بَعْدَ أَنْ يَكْشِفَ اللهُ عَنْهُمُ الضُّرَّ ؟

٦ـ بَيِّنْ معنى ما يَلِي :

أ ـ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ اليَمينِ والشَّمائِلِ سُجّداً للهِ .

ب ـ يَخافونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ .

ج ـ وقالَ اللهُ لا تَتَّخذوا إلهَيْنِ اثْنَيْنِ .

د ـ ولَهُ الدِّينُ واصِباً .

هـ ـ وما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ .

و ـ فَتَمَتَّعوا فَسَوْفَ تَعْلَمونَ .

تَعَلَّمْ :

الالْتِفاتُ هُوَ نَقْلُ الكَلامِ مِنْ أُسلوبٍ إلى آخَرَ ، كالانْتِقالِ مِنَ التَّكَلُّمِ إلى الخِطابِ ، أو مِنَ الخِطابِ إلى الغَيْبَةِ ، وَمِنْ فَوائِدِهِ : تَحْسينُ الكلامِ ، وَصِيانَةُ السَّمْعِ عَنِ الضَّجَرِ والمَلَلِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ كَيْفَ نُوَظِّفُ هذهِ الظِّلالَ في تَحديدِ مَواعيدِ صَلاةِ النَّهارِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ كَيْفِيَّةَ سُجودِ التِّلاوَةِ داخِلَ الصَّلاةِ وخارِجَها .

الدَّرْسُ العاشِرُ

سورَةُ النَّحْلِ - القِسْمُ العاشِرُ

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تَفْتَرونَ : تَكْذِبونَ .

كَظيمٌ : مُمْتَلِىءٌ غَيْظاً .

يَتوارى : يَسْتَخْفي .

هُونٍ : هَوانٍ وذُلٍّ .

يَدُسُّهُ : يُخْفيهِ .

مَثَلُ السَوْءِ : الصِّفَةُ القَبيحَةُ .

لا جَرَمَ : حَقّاً .

مُفْرَطونَ : مُعَجَّلُ بِهِمْ إلى النَّارِ .



التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ تَبْيينٌ مَزيدٍ مِنْ أَفْعالِ المُشْرِكينَ السَّيِّئَةِ وَضلالاتِهِمُ القَبيحةِ . قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

أيْ : ويَجْعَلُ هؤلاءِ المُشْرِكونَ لِلأَصْنامِ الّتي لا تَعْلَمُ شَيْئاً لأَنَّها جَماداتٌ ، نَصيباً مِنَ الرِّزْقِ الّذي رَزَقَهُمُ اللهُ إيّاهُ ، فَيَذْبَحونَ لَها الأَنْعامَ ، وَيُهْدونَ إليْها الهَدايا ، ويُقَدِّمونَ لَها مِنْ نَتاجِ زَرْعِهِمْ ، وهذا الّذي يُقَدِّمونَهُ لأَصْنامِهِمْ هُوَ مِنْ رِزْقِ اللهِ لَهُمْ ، وكانَ الأَوْلى بِهِمُ التَّقرُّبُ بِهِ لِخالِقِهِمْ ورازِقِهِمْ لا إلى الجَماداتِ والحِجارَةِ ، أَوْ غَيْرِها مِنَ الآلِهَةِ الّتي لا تَمْلِكُ لِنَفْسِها ضَرّاً ولا نَفْعاً .

﴿تاللهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمّا كُنْتُم تَفْتَرونَ﴾ أَقْسَمَ اللهُ تَعالى بِذاتِهِ العَلِيَّةِ أَنَّهُ سَيَسْأَلُهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عَنْ شِرْكِهِمْ وَكَذِبِهِمْ بِشُكْرِ غَيْرِ الرّازِقِ ، وسَيُجازيهِمْ على ذَلِكَ أَشَدَّ الجَزاءِ وَيُذيقُهُمْ أَعْظَمَ العذابِ .

والالْتِفاتُ في الآيةِ لِزِيادَةِ الوَعيدِ لأَنَّ تَوْبيخَ الحاضِرِ أَشَدُّ وأَقْسى مِنْ تَوْبيخِ الغائِبِ .

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

وَمِنْ ضَلالاتِ المُشْرِكينَ زَعْمُهُمْ أَنَّ المَلائِكَةَ بَناتُ اللهِ وَلِذا فَهُمْ يَتَّجِهونَ إلى المَلائِكَةِ بِالعِبادَةِ والتَّعْظيمِ ، سُبْحانَ اللهِ وتنزَّهَ عَنِ الوَلَدِ والشَّريكِ ، وتَعالى أَنْ يَكونَ لَهُ بَناتٌ أَوْ بَنونَ ، ومِنْ سَفَهِ المُشْرِكينَ وَضَعْفِ عُقولِهِمْ أَنَّهُمْ يَنْسِبونَ إلى اللهِ تَعالى مالا يَرْضَوْنَهُ لأَنْفُسِهِمْ ، فَتَجِدُهُمْ يَكْرَهونَ البَناتِ ويُحِبّونَ البَنينَ ، ولَكِنَّهُمْ يَنْسِبونَ للهِ البَناتِ ـ تَعالى اللهُ عَنْ ذَلِكَ ـ ويَخْتارونَ لأَنْفُسِهِمْ أَفْضَلَ مِمّا يَخْتارونَ لِرَبِّهِمْ .

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾

أيْ أَنَّ هَؤلاءِ المُشْرِكينَ الّذين زَعَموا أَنَّ المَلائِكَةَ بَناتُ اللهِ ، إذا أُخْبِرَ أَحَدُهُمْ بِأَنَّهُ وَلَدَ لَهُ أُنْثى صارَ وَجْهُهُ قاتِمَ اللَّونِ ، يَعْلوهُ سَوادٌ وظُلْمَةٌ مِنْ شِدَّةِ الكَرْبِ والحُزْنِ وَقَدِ امْتَلأَ غَيْظاً بِسَبَبِ مَجيءِ هَذِهِ الأُنْثى لَهُ .

﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

وَتَجِدُهُ مِنْ شِدَّةِ خِزْيِهِ يُحاوِلُ أَنْ يَخْتَفِيَ عَنْ أَعْيُنِ النّاسِ ، لِئَلاّ يَرَوْا حُزْنَهُ وكآبَتَهُ وأَلَمَهُ بِسَبَبِ وِلادَةِ الأُنْثى لَهُ ، وَيَقَعُ في حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ ، فَهَلْ يُبْقي هَذهِ البِنْتَ حَيَّةً ويَتَحَمَّلُ الهَوانَ والعارَ والمَذَلَّةَ أَمْ يُخْفيها في التُّرابِ ويُنْهي بذلِكَ مُعاناتَهُ وأَلَمَهُ ؟ أَلا ما أَقْبَحَ حُكْمَهُمُ الّذي يُصْدِرونَهُ بِحَقِّ بَناتِهِمْ

وما أَعْظَمَ ظُلْمِهِمْ لَهُنَّ! وما ذَنْبُ المَولودةِ البَريئَةِ حتَّى تُقْتَلَ بِهذهِ الطَّريقةِ البَشِعَةِ ، أَوْ تُعامَلُ تِلْكَ المُعامَلَةَ المُهينَةَ ، وما أَشَدَّ افْتِراءَهُمْ بِزَعْمِهِمْ أَنَّ المَلائِكَةَ بَناتُ اللهِ! سُبْحانَهُ وتَعالى عَمَّا يَصِفونَ .

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾

أيْ : لِهؤلاءِ الّذينَ لَمْ يُصَدِّقوا بالآخِرَةِ ونَسَبوا للهِ البناتِ ووَأَدوا بَناتِهِمْ وجَعلوا لِلأَصْنامِ نَصيباً مِمّا رَزَقَهُمُ اللهُ ، لَهُمْ صِفَةُ السّوءِ القَبيحةُ ، وللهِ تَعالى الصِّفَةُ العُلْيا والكَمالُ المُطْلَقُ والتَّنْزيهُ عَنْ مُشابَهَةِ المَخْلوقينَ ، وهُوَ العَزيزُ في مُلْكِهِ المُنْفَرِدُ بِكَمالِ القُدْرَةِ ، الحَكيمُ في كُلِّ أَقوالِهِ وأَفْعالِهِ .

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

أيْ : لَوْ أرادَ اللهُ تَعالى أَنْ يُعَجِّلَ لِلنّاسِ عُقوبَةَ ما يَرْتَكِبونَهُ مِنْ كُفْرٍ وظُلْمٍ لأَهْلَكَهُمْ ، ولَهَلَكَ بِسَبَبِهِمْ جَميعُ دَوابِّ الأَرْضِ ، ولَما بَقِيَ عَلى الأَرْضِ مِنْ دابَّةٍ مِنْ أَيِّ صِنْفٍ أَوْ نَوْعٍ ، ولكِنَّ اللهَ يُمْهِلُهُمْ إلى الوَقْتِ المُقَدَّرِ لِمَوْتِهِمْ أَوْ لِهَلاكِهِمْ ، فإذا جاءَ هذا الوَقْتُ المُحَدَّدُ لِهَلاكِهِمْ فإنَّهُمْ لا يَتَأَخَّرونَ عَنْهُ بُرْهَةً قَصيرةً مِنَ الزَّمَنِ ولا يَتقدَّمونَ عَلَيْهِ .

وهَذا دَليلٌ على رَحْمَةِ اللهِ بِعبادِهِ . وتَأْخيرُهُ مُؤاخَذَتَهُمْ وعِقابَهُمْ لِيتوبَ مِنْهُمْ مَنْ أَرادَ التَّوْبَةَ .

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

أيْ أنَّ هَؤلاءِ المُشْرِكينَ يَنْسبونَ للهِ ما يَكْرهونَ وما لا يَرْضَوْنَهُ لأَنْفُسِهِمْ مِنْ نِسْبَةِ البَناتِ إليهِ ، ومِنْ جَعْلِ أَفْضَلِ أَمْوالِهِمْ لأَصْنامِهِمْ وأَرْدَئِها للهِ ، ومِنْ نِسْبَتِهِمُ الشَّريكَ إليْهِ وهُمْ يَكْرهونَ أَنْ يَشْرُكَهُمْ أَحَدٌ في أَمْوالِهِمْ ومُلْكِهِمْ . ويَخْتَلِقونَ الكَذِبَ بِأَلْسِنَتِهِمْ حينَ يَزْعمونَ أَنَّهم إنْ بُعِثوا بَعْدَ المَوْتِ فإنَّ لَهُمُ المَنْزِلَةَ الحُسْنى وَسَيَكونونَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ ، ولكنّ الحَقيقةَ لَيْسَتْ كَذلِكَ ، فَقَدْ ثَبَتَ وحَقَّ أَنَّ لَهُمْ في الآخِرَةِ عَذابَ النّارِ ، وأَنَّهُمْ سابِقونَ إليْها ومُقَدَّمونَ إليْها دُونَ إمْهالٍ أَوْ إبْطاءٍ ، وَسَيُتْرَكونَ فيها كما يُتْرَكُ الشَّيْءُ الّذي لا قيمةَ لَهُ ولا اهْتِمامَ بِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ جَهْلُ المُشْرِكينَ وسوءُ فِعْلِهِمْ بِتَقْديمِ الأَمْوالِ لأَصْنامِهِمْ وآلِهَتِهِمْ ونِسْبَةِ البَناتِ إلى اللهِ تَعالى .

٢ الأُنْثى نَفْسٌ إنْسانِيَّةٌ وإهانَتُها إهانَةٌ لِلْجِنْسِ البَشَرِيِّ .

٣ـ الرِّضا بالفِعْلِ القَبيحِ والسكوتُ عَلَيْهِ وعَدَمُ مَنْعِه مَعَ القُدْرَةِ على ذَلِكَ يكونُ بِمَنْزِلَةِ فِعْلِهِ .

٤ـ عذابُ الكافِرِ يَتناسَبُ مَعَ دَرَجَةِ كُفْرِه .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بَيَّنَتِ الآياتُ الكَريمَةُ عَدَداً مِنْ أَفْعالِ المُشْرِكينَ الشَّنيعةِ . عَدِّدْها .

٢ـ بَيِّنْ حالَ المُشْرِكِ عِنْدَما يُبَشَّرُ بالأُنْثى وكَيْفَ يَتَصرَّفُ .

٣ـ ماذا كانَ يُمْكِنُ أَنْ يَحْصُلَ لو عاجَلَ اللهُ الظَّالِمينَ بالعُقوبَةِ ؟

٤ـ بماذا رَدَّ اللهُ تَعالى على المُشْرِكينَ الّذينَ زَعَموا أَنَّ لَهُمْ في الآخِرَةِ الحُسْنى ؟

٥ـ بَيِّنْ مَعنى ما يَلي :

أ ـ ويَجْعَلونَ لِما لا يَعْلَمونَ نَصيباً مِمَّا رَزَقْناهُمْ .

ب ـ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وهو كَظيمٌ .

ج ـ يَتوارَى مِنَ القَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ .

د ـ فإذا جاءَ أَجَلُهُم لا يَسْتَأْخِرونَ ساعةً ولا يَسْتَقْدِمونَ .

هـ ـ لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النّارَ وأَنَّهُم مُفْرَطونَ .

نَشاطٌ :

١ـ مِنْ صِيَغِ القَسَمِ (تاللهِ) ، اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ صِيغَتينِ أُخْرَيينِ لِلْقَسَمِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةً مِنْ سورَةِ التَّكْويرِ تُبَيِّنُ سُؤالَ المَوْءودَةِ عَنْ سَبَبِ وَأْدِها .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الحادي عَشَرَ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- زَيَّنَ : حَسَّنَ .
- وَلِيُّهُمْ : مُتَوَلِّي أُمُورِهِمْ .
- لَعِبْرَةً : لَعِظَةٌ بليغةٌ .
- فَرْثٍ : ما في بَطْنِ الدابّةِ مِنَ الطَّعامِ .
- سائغاً : سَهْلَ البَلْعِ .
- سَكَراً : خَمْراً :

التَّفْسيرُ :

في هَذِهِ الآياتِ تَسْلِيَةٌ لِرَسولِ اللهِ ﷺ بإخْبارِهِ عَنْ بَعْضِ ما كان عَلَيْهِ الرُّسُلُ عليهِمُ السَّلامُ مِنْ قَبْلِهِ ، وفيها ذِكْرٌ لِعَدَدٍ مِنَ النِّعَمِ الإلهيّةِ على الخَلْقِ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

يُقْسِمُ اللهُ تَعالى بذاتِهِ العَلِيَّةِ أنَّهُ أَرْسَلَ إلى الأُمَمِ السابِقَةِ لِيَدْعُوَها إلى تَوْحيدِ اللهِ تَعالى وطاعَتِهِ ، فاتَّبَعَهُمْ بَعَضُ تِلْكَ الأمَمِ ، وحَسَّنَ الشَّيْطانُ لِمُعْظَمِهِمْ ما كانوا عَلَيْهِ مِنْ كُفْرٍ وسُوءٍ ، وتَولَّى إغْواءَهُمْ وكانَ مُوَجِّهَهُمْ إلى ما هُمْ فيه مِنْ باطِلٍ وضَلالٍ ، فَكَذَّبوا رُسُلَهُمْ وأَعْرَضوا عَنِ اتِّباعِهِمْ وحارَبوهُمْ ، فاسْتَحَقّوا على ذَلِكَ العَذابَ الأَليمَ في الآخِرَةِ .

﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

تُبَيِّنُ هذهِ الآياتُ الكريمةُ ما لِلْقُرآنِ الكَريمِ مِنْ دَوْرٍ كَبيرٍ في الهِدايَةِ والإرْشادِ ، فَيَقولُ سُبْحانَهُ : وما أَنْزَلنا عَلَيْكَ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ هذا الكتابَ وهُوَ القُرْآنُ الكريمُ إلاَّ لِتُبَيِّنَ لِمَنْ أُرْسِلْتَ إِلَيْهِمُ الصَّوابَ والحَقَّ في الأُمورِ الَّتي اخْتَلفوا فيها ، فَهُوَ الحَكَمُ والمُبَيِّنُ لِما اخْتُلِفَ فيهِ مِنْ أُمورِ العَقيدَةِ والأَحْكامِ وغَيْرِها ، فَفيهِ الخَيْرُ والعَدْلُ والصَّوابُ ، وهُوَ كتابُ الهدايةِ والرَّحْمَةِ لِمَنْ يُؤْمِنونَ بهِ وَيُقِرّونَ بما تَضَمَّنَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ تَعالى وَنَهْيِهِ ويَعْمَلونَ بهِ .

ثُمَّ انتقلتِ الاياتُ إلى التَّذْكيرِ بِبَعْضِ النِّعَمِ الإلهيَّةِ على الخَلْقِ ، فَقالَ تَعالى :

﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

أيْ أنَّ اللهَ تَعالى هُوَ الَّذي أَمَرَ بنُزولِ الماءِ مِنَ السَّحابِ ، فارْتَوَتِ الأَرْضُ بهِ وأَنْبَتَتْ مُخْتَلَفَ أَنْواعِ النَّباتِ والأَشْجارِ بَعْدَ أَنْ كانَتْ يابِسَةً مُجْدِبَةً بِسَبَبِ فَقْدِها لِلْماءِ ، إنَّ في تَأَمُّلِ هذهِ الظَّاهِرَةِ الَّتي تَتكَرَّرُ أمامَ أَعْيُنِ البَشَرِ كَثيراً لَدَلالَةً واضِحَةً أَكيدَةً على وَحْدانِيَّةِ اللهِ تَعالى وَقُدْرَتِهِ ، لِمَنْ أَقْبَلَ على آياتِ اللهِ تَعالى يَسْمَعُها سَماعَ تَدَبُّرٍ وتَفَكُّرٍ لا مُجَرَّدَ سَماعٍ بالأُذُنِ دُونَ وَعْيٍ ولا تَأَمُّلٍ ، فإنَّه في هذهِ الحالِ كَعَدَمِهِ لا قيمَةَ لَهُ ولا فائِدَةَ فيهِ .

وفي ذِكْرِ إنْزالِ الماءِ بَعْدَ إنْزالِ القُرْآنِ إشارَةٌ إلى وَجْهِ الشَّبَهِ بَيْنَهُما ، فإنْزالُ الماءِ أَحْيا الأَرْضَ فازْدَهَرَتْ وأَنْبَتَتْ ، وإِنْزالُ القُرْآنِ أحيا القُلوبَ فآمَنَتْ واهْتَدَتْ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّ الأنْعامَ تَأْكُلُ مِنْ نَباتِ الأَرْضِ فَتَنْتَفِعُ بهِ وَتَنْفَعُ الإنْسانَ بلَبَنِها ، قالَ تَعالى :

﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

هذهِ آيةٌ عَظيمَةٌ واضِحَةٌ ، ظاهِرَةُ الدَّلالَةِ على إتْقانِ الخَلْقِ ورَوْعَتِهِ ، فيقولُ سُبْحانَهُ : وإنَّ لَكُمْ

أيُّها البَشَرُ في الإبِلِ والبَقَرِ والغَنَم لَعِظَةً بَليغَةً تَدْعوكُمْ إلى التَّفَكُّرِ في دِقَّةِ الخَلْقِ وجَوْدَتِهِ ، حَيْثُ نَسْقيكُمْ مِمَّا في بُطونِ هذهِ الأنْعام شَراباً مُسْتَخْلَصاً مِنْ بَيْنِ الفَرْثِ والدَّم ، فالفَرْثُ هُوَ الطَّعامُ الكائِنُ في الكَرْشِ ، والدَّمُ هو السّائِلُ الذي يَجْري في العُروقِ ، ومِنْ بَيْنِ الفَرْثِ والدَّم يَتَكَوّنُ اللَّبنُ خالِصاً مِنْ شَوائِبِ الفَرْثِ ومِنْ لَوْنِ الدَّمِ ، سائِغاً لِلشّارِبينَ يَجْري في الحَلْقِ سَهْلاً ، لَذيذاً هَيِّناً لا يَغَصُّ بِهِ الشّارِبُ .

ومَنْ يَتَأَمَّلُ في مَراحِلِ تَكَوُّنِ اللَّبَنِ وكَيفيَّةِ حُصولِهِ ، وخُروجِهِ نَقيّاً صافِياً مِنْ بَيْنِ هذهِ الأَكْدارِ ، تَتَبيَّنُ لَهُ عَظَمَةُ الخالِقِ ، ودِقَّةُ صُنْعِهِ ، وعَظيمُ قُدْرَتِهِ .

ويَحْتوي اللَّبنُ على نِسْبَةٍ عالِيَةٍ مِنَ البُروتينِ الغَنيِّ بالكبريتِ والكالسيوم وبَعْضِ الفيتاميناتِ ، ممّا يَجْعَلُهُ أَهَمَّ غِذاءٍ لِلنُّموِّ وسَلامَةِ العِظامِ والأَسْنانِ ، فَهُوَ غِذاءٌ كامِلٌ لَذيذُ الطَّعْمِ ، سَهْلُ الهَضْمِ ، مُتَعدِّدُ الفوائِدِ ، وفي الحَديثِ عَنِ ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : أُتِيَ رسولُ اللهِ ﷺ بِلبنٍ فَشَرِبَ ، ثُمَّ قال : « إذا أكَلَ أحدكُمْ طعاماً فَلْيَقُلْ : اللهمَّ بارِكْ لنا فيهِ وأَطْعِمْنا خَيْراً مِنهُ ، وإذا سُقِيَ لَبَناً فَلْيَقُلِ : اللهمَّ بارِكْ لَنا فيهِ وَزِدْنا مِنْهُ فإنَّهُ لَيْس شَيءٌ يُجْزِىءُ عنِ الطَّعامِ والشَّرابِ إلاّ اللبنُ »[١] .

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٦٧﴾ .

امْتَنَّ اللهُ على عبادِهِ بما تُخْرِجُهُ أشْجارُ النَّخيلِ والأَعْنابِ مِنْ ثمارٍ ، وهذانِ الصِّنْفانِ : التَمْرُ والعِنَبُ مِنْ أفْضَلِ أصْنافِ النَّباتِ وأكْثَرِها نَفْعاً ، وَمِنْ وُجوهِ الانْتِفاعِ بِها أنْ تَصْنَعوا مِنْها الخَمْرَ وهُوَ الشَّرابُ المُسْكِرُ الّذي يُذْهِبُ العُقولَ . وَمِنْ وُجوهِ الانْتِفاعِ اتِّخاذُ الأَشْرِبَةِ الطَّيِّبَةِ .

وَقَدْ عَطَفَ الرِّزْقَ الحَسَنَ وَهُوَ سائِرُ ما يُتَّخَذُ مِنَ التّمْرِ والعِنَبِ مِنْ أطْعِمَةٍ وأَشْرِبَةٍ : كالخَلِّ والدِّبْسِ والزَّبيبِ ، على السَّكَرِ الّذي لَمْ يُوصَفْ بالحُسْنِ ، وفي ذَلِكَ إشارةٌ إلى أنَّ هذا الشَّرابَ غَيْرُ حَسَنٍ ، وكانَتْ هذهِ أُولى خُطواتِ تَحْريمِ الخَمْرِ وأَوّلُ ما نَزَلَ فيهِ .

﴿إنَّ في ذَلِكَ لآيةً لِقَوْمٍ يَعْقِلونَ﴾ أيْ إنَّ فيما ذَكَرْناهُ لَكُمْ مِنْ إخْراجِ اللَّبَنِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ، وفي انْتِفاعِكُمْ مِنَ النَّخيلِ والأَعْنابِ بِمُخْتَلَفِ أَنْواعِ الانْتِفاعِ لآيةً ظاهِرةً ودَلالَةً قَويَّةً على عَظَمَةِ اللهِ وَوَحْدانيَّتِهِ لِمَنْ تفكَّروا بِعُقولِهِمْ وأَدْركوا عَظَمَةَ الخالِقِ المُبْدِعِ سُبْحانَهُ .

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأشربة ، باب ما يقول إذا شرب اللبن .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ دَوْرُ الشَّيْطانِ في إغْواءِ الإنْسانِ وتَزْيينِ الباطِلِ لَهُ .

٢ـ أرْسَلَ اللهُ الرُّسُلَ لِتَخْليصِ البَشَرِ مِنَ الضَّلالِ .

٣ـ القُرْآنُ الكريمُ مُبينٌ لِما اخْتَلَفَ النّاسُ فيهِ ، وهُوَ كِتابُ الهِدايَةِ والرَّحْمَةِ لِلْمُومِنينَ .

٤ـ كانتِ الخَمْرُ مُباحَةً في أوَّلِ الإسْلامِ ثُمَّ حُرِّمَتْ .

٥ـ أهَمِيَّةُ اللَّبَنِ وَعَظيمُ فَوائِدِه .

٦ـ امْتِداحُ اتِّخاذِ الرِّزْقِ الحَسَنِ الطَّيِّبِ مِنَ الثَّمَراتِ المُخْتَلِفَةِ ، وَذَمُّ اتِّخاذِ السَّكَرِ ونَحْوِهِ مِمّا فيهِ ضَرَرٌ للإنْسانِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأسئلةِ التالية :

١ـ كَيْفَ كانَ الشَّيْطانُ وَلِيّاً لأَتْباعِهِ ؟

٢ـ بَيِّنْ مَهَمَّةَ الكِتابِ كَما بَيَّنَتْها الآيةُ (٦٤) .

٣ـ ما فائِدَةُ الماءِ لِلأَرْضِ ؟ وما العِبْرَةُ مِنَ التَّذْكيرِ بِذَلِكَ ؟

٤ـ ما مَعْنى تَكَوُّنِ اللَّبَنِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ؟ وما مَعْنى كَونِهِ خالِصاً سائِغاً لِلشّارِبينَ ؟

٥ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ ذِكْرِ النَّخيلِ والأعْنابِ وَتَخْصيصِهِما بالذِّكْرِ دُونَ سائِرِ الثَّمَراتِ ؟

٦ـ كَيْفَ تَسْتَنْبِطُ مِنَ الآيَةِ ذَمَّ اتِّخاذِ السَّكَرِ مِنَ العِنَبِ والتَّمْرِ ؟

نَشاطٌ :

ـ اجْمَعْ آياتِ تَحْريمِ الخَمْرِ ، واكْتُبْها على لَوْحَةٍ كَرْتونيةٍ ، وعَلِّقْها على لَوْحَةِ النَّشاطِ في المَدْرَسَةِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّاني عَشَرَ

سورةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الثّاني عَشَرَ

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **وَأَوْحى رَبُّكَ إلى النَّحْلِ** : أَلْهَمَها .
- **يَعْرِشونَ** : يَبْنونَ خَلايا النَّحْلِ .
- **ذُلُلاً** : مُذَلَّلَةً مُسَخَّرَةً .
- **أرذلِ العُمُرِ** : الهَرَم .
- **مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ** : عَبيدُهُمْ .
- **حَفَدَةً** : أبناءَ الأبناءِ .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكريمةِ حَديثٌ عَنِ النَّحْلِ، وما يَخْرُجُ مِنْها مِنَ العَسَلِ وَتَكْوينِهِ وأَنَّهُ شِفاءٌ للنّاسِ، وفيها بَيانٌ لِجانبٍ مِنْ نِعَمِ اللهِ على البَشَرِ في تدرُّجِ نُمُوِّهِمْ والتَّفاضُلِ بَيْنَهُمْ في الرِّزْقِ والأبْناءِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

لَقَدْ أَلْهَمَ رَبُّكَ النَّحلَ أَنْ تَتَّخِذَ لِنَفْسِها بُيوتاً ، تتجَّمعُ فيها وتَعيشُ وتَتكاثَرُ وَتُنْتِجُ العَسَلَ ، هذهِ البيوتُ قَدْ تكونُ في فَجَواتِ الجِبالِ أَوْ في تَجاويفِ الشَّجَرِ ، أَوْ مِمّا يَبْنيهِ النّاسُ لَها مِنْ خَلايا وأَكْوارٍ .

﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

وأَلْهَمَها أَنْ تَأْكُلَ مِنْ مُخْتَلَفِ أَنْواعِ الأَزْهارِ والثَّمراتِ ، وأَنْ تَسْلُكَ الطُّرُقَ الَّتي تُوصِلُها إلى مُبْتَغاها مِنَ الثَّمَراتِ المُتَنوِّعَةِ ، فإنَّها سُبُلٌ مُذَلَّلةٌ مُيَسَّرَةٌ ، لِلْوُصولِ إليْها والعَوْدَةِ إلى خَليَّتِها ، دونَ أَنْ تَضِلَّ أَوْ تُخْطِيء مَهْما بَعُدَتْ عَنْها ، وَبِقُدْرَةِ اللهِ تَعالى وَبِنِعْمَتِهِ على خَلْقِهِ يَخْرُجُ مِنْ بُطونِ النَّحْلِ العَسَلُ ، وَهُوَ شَرابٌ طَيِّبُ الطَّعْمِ عَظيمُ الفائِدَةِ ، مُتَنَوِّعُ الأَلْوانِ ، مُحتوٍ على عَدَدٍ كَبيرٍ مِنَ الموادِ الَّتي لها دَورٌ فَعّالٌ في صِحَّةِ الجِسْمِ وَدَفْعِ الأَمْراضِ عَنْهُ .

وفي كُلِّ هذهِ الأُمورِ وهِيَ : إِلْهامُ اللهِ لِلنَّحْلِ أَنْ تَخْتارَ وتَنْتَقِيَ مَكانَ إقامَتِها وأَنْ تَسْلُكَ السُّبُلَ المُذَلَّلَةَ لَها ، وأَنْ تُنْتِجَ العَسَلَ ، آيةٌ عَظيمةٌ وَعِبْرَةٌ قَوِيَّةٌ تَدلُّ على عَظَمةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ وحِكْمَتِهِ ، لِمَنْ يَتفَكَّرُ وَيَتدَبَّرُ .

والتَنْكيرُ في لَفْظِ (شِفاءٌ) يُفيدُ عَدَمَ العُمومِ ، فالعَسَلُ شِفاءٌ لِكَثيرٍ مِن الأَمْراضِ لا لِجَميعِها ، ويُنتفَعُ بِهِ مُسْتقلاً أَوْ مُشْتَرَكاً مَعَ غَيْرِه .

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

وتَسْتَمِرُّ الآياتُ الكَريمةُ في بَيانِ جَوانبَ مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعالى على البَشَرِ ، فاللهُ تَعالى هُوَ الَّذي خَلَقَ هذا الإنْسانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكوراً ، ويَسَّرَ لَهُ سُبُلَ العَيْشِ والنُّموِّ ، فإذا جاءَ وَقْتُ مَوْتِهِ أَمرَ اللهُ مَلائِكَتَهُ فَتَوَفَّتْهُ في الوَقْتِ الَّذي أَرادَهُ اللهُ وَقَدَّرَهُ ، وَلَيْسَ لِلْبَشَرِ آجالٌ واحِدَةٌ ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَموتُ صَغيراً وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْتَدُّ بِهِ الأَجَلُ وَيُرَدُّ إلى أَسْوَأ العُمُرِ وأَرْدَئِهِ فَلا يَعودُ قادِراً على قضاءِ مَصالِحِه بِنَفْسِهِ ، وَتَضْعُفُ ذاكِرَتُهُ أَوْ تَزولُ ، ويَعودُ كالطِّفْلِ مُحْتاجاً إلى الرِّعايَةِ والاعْتِناءِ ، إنَّ اللهَ عَليمٌ بِأَحْوالِ خَلْقِهِ وَبِمقاديرِ أَعْمارِ عِبادِهِ ، قَديرٌ على كُلِّ شَيءٍ .

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ الكَريمةِ تَبيينٌ أَنَّ الرِّزْقَ وَتَصْريفَهُ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ ، فَهُوَ الَّذي يُعْطي وهُوَ الَّذي

يَمنَعُ ، وكَمْ مِنْ عالِمٍ وصاحِبِ عَقْلٍ مَحْدُودُ الرِّزْقِ والمالِ ، وكَمْ مِنْ جاهِلٍ سَفيهٍ مُوَسَّعٌ عليْهِ رِزْقُهُ ، فتفاضُلُ النَّاسِ في الرِّزْقِ لَيْسَ حَسَبَ رَغَباتِهِم ولا اسْتِحْقاقاتِهِمْ ولَكنَّهُ تابِعٌ لِحِكْمَةِ اللهِ تَعالى الَّذي جَعَلَ في التَّفاضُلِ في الرِّزْقِ دَليلاً على عِلْمِهِ بما يَنْفَعُ عِبادَهُ .

ثُمَّ تُبيِّنُ الآيَةُ أن الَّذينَ رَزَقَهُمُ اللهُ تَعالى رِزْقاً كَثيراً زائِداً عَنْ حاجَتِهِمْ ، لا يُعْطونَ ما يَزيدُ عَنْ حاجَتِهِمْ لِعَبيدِهِمْ وَمَماليكِهِمْ لِيُصْبِحوا جَميعاً مُتَساوينَ فيما يَمْلِكونَ ، فإذا كانوا لا يَرْضَوْنَ لِعَبيدِهِمْ أَنْ يُساووهُمْ وَهُمْ مَخْلوقونَ مِثْلُهُمْ ، فَكَيْفَ يَرْضَوْنَ أَنْ يُساووا الأَصْنامَ والأَوْثانَ باللهِ تَعالى فَيَعْبُدوها مِنْ دونِ اللهِ ؟

إنَّ هذا جُحودٌ لِنِعْمَةِ اللهِ الَّذي رَزَقَهُمْ ، فَهُمْ يَعْبدونَ غَيْرَهَ وَيَشْكُرونَ سِواهُ ، وَهذا ذَمٌّ لِلْمُشْرِكينَ وَتَسْفيهٌ لِضلالِهِمْ حَيْثُ رَضوا أَنْ يَنْسِبوا لِخالِقِهِمْ ما لا يَرْضَوْنَهُ لأَنْفُسِهِمْ .

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

وَمِنْ نِعْمَةِ اللهِ تَعالى عَلَيْكُمْ أَيُّها البَشَرُ ، أَنْ جَعَلَ لَكُمْ أَزْوجاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، ذَلِكَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ لآدَمَ زَوْجَةً مِنْ ضِلْعِهِ كما صَحَّ في الحديثِ ، وَخَلَقَ اللهُ لنا أَزْواجاً مِنْ أَنْفُسِنا لِيكونَ ذَلِك آنَسَ وأَقْرَبَ لِلمَوَدَّةِ والائْتِلافِ ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ زَوْجاتِكُمْ أولاداً وَأَوْلادَ أَوْلادٍ يُسارِعونَ إلى خِدْمتِكُمْ وطاعَتِكُمْ برِضىً وسُرورٍ ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ أَصْنافاً كَثيرةً ، مُتَعدِّدَةَ الأَشْكالِ والأَنْواعِ ، وأَباحَ لَكُمْ التَّمَتُّعَ بِها والانْتِفاعَ مِنْها ، أَبَعْدَ كُلِّ هذهِ النِّعَمِ يُؤْمِنُ المُشْرِكونَ بالباطِلِ فَيَعْبُدونَ الأَصْنامَ وَيُعَظِّمونَ غَيْرَ اللهِ ، ويَقومونَ بالأَفْعالِ المُخالِفَةِ لِلحَقِّ والصَّوابِ ويَكْفُرونَ بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ ، فلا يَشْكُرونَهُ عَلَيْها ، ولا يَقومونَ بِما أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ طاعَتِهِ ؟ والاسْتِفْهامُ في هذهِ الآيَةِ لِلإِنْكارِ والتَّوْبيخِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ في خَلْقِ النَّحْلِ وإِلْهامِهِ بناءَ خلاياهُ بِطَريقَةٍ في غايةِ الإِتْقانِ ، وَصُنْعِهِ العَسَلَ لِيَنْتَفِعَ النَّاسُ مِنْهُ ، عِبْرَةٌ عَظيمَةٌ وَدَلالَةٌ على قُدْرَةِ الخالِقِ سُبْحانَهُ .

٢ـ إذا هَرِمَ الإنسانُ عادَ كالطِّفْلِ مُحْتاجاً إلى الرِّعايَةِ والاعْتناءِ فَلْيَتَذَكَّرْ قُدْرَةَ اللهِ وَنِعْمَتَهُ عَلَيْهِ .

٣ـ سَعَةُ الرِّزْقِ لَيْسَتْ دَليلاً على رِضى اللهِ ، كما أَنَّ ضيقَ الرِّزْقِ لَيْسَ دَليلاً على عَدَمِ رِضاهُ ، إِنَّما هُوَ ابْتِلاءٌ لِلْعِبادِ وامْتِحانٌ لَهُمْ .

٤ـ فَضْلُ اللهِ على آدَمَ وَبَنيهِ أَنْ جَعَلَ لَهُمْ أَزْواجاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَوَهَبَهُمُ الأَوْلَادَ والأَحْفادَ .

٥ـ عَظيمُ إساءَةِ الجاحِدينَ الَّذين يَتَقلَّبونَ في نِعَمِ اللهِ ويَعْبدونَ سِواهُ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ ـ أ ـ ما مَعْنى الوَحْيِ إلى النَّحْلِ ؟

ب ـ ما الَّذي أَوْحاهُ اللهُ تَعالى إلى النَّحْلِ ؟

ج ـ ما معنى تَذْليلِ السُّبُلِ للنَّحْلِ ؟

د ـ بماذا وَصَفَ اللهُ تَعالى الشَّرابَ الَّذي يَخْرُجُ مِنْ بُطونِ النَّحْلِ ؟

٢ـ ما المُرادُ بالرَّدِّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ ؟

٣ـ ما الَّذي يَمْنَعُ الغَنِيَّ مِنْ إنْفاقِ جَميعِ ما زادَ عَنْ حاجتِهِ ؟

٤ـ ما معنى الحَفَدَةِ ؟

٥ـ ما المُرادُ بالباطِلِ في قَوْلِهِ تَعالى (أَبالباطِلِ يُؤْمنونَ) ؟

تَعَلَّمْ :

عَنْ سَعْدِ بنِ أَبي وَقّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ كانَ يَأْمُرُ بهؤلاءِ الخَمْسِ ويُحَدِّثُ بِهِنَّ عَنِ النَّبيِّ ﷺ : « الهمَّ إني أعوذُ بكَ مِنَ البُخْلِ وأعوذُ بكَ مِنَ الجُبْنِ ، وأعوذُ بكَ أَنْ أُرَدَّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ ، وأعوذُ بكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيا ، وأعوذُ بكَ مِنَ عَذابِ القَبْرِ »[١] .

نَشاطٌ :

١ـ صِفْ خَلِيَّةَ النَّحْلِ واكْتُبْ ذلِكَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً نبويّاً شَريفاً يَدلُّ على أنَّ في العَسَلِ شِفاءً .

---

(١) رواه الخباري في كتاب الدعوات ، باب التعوذ من البخل ، رقم الحديث ٦٠٠٩ .

الدَّرسُ الثَّالِثَ عَشَرَ

سورَةُ النَّحْلِ - القِسْمُ الثّالثَ عَشَرَ

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَبْكَمُ : لا يَقْدِرُ على الكَلامِ .

كَلٌّ : عالةٌ وَعِبْءٌ .

يُوجِّهْهُ : يَبْعَثْهُ في أَمْرٍ مُهِمٍّ .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ مُواصَلَةُ الحَديثِ عَنِ المُشْرِكينَ وإبْطالُ شِرْكِهِمْ ، وَضَرْبُ مَثَلَيْنِ يُظْهِرانِ الفَرْقَ الكَبيرَ بَيْنَ الخالِقِ العَظيمِ والمَمْلوكِ العاجِزِ ، فَهَلْ مِنْ مُعْتَبِرٍ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ .

هذهِ الآيَةُ مَعْطوفَةٌ على ما خُتِمَتْ بِهِ الآيَةُ السّابِقَةُ : ﴿أَفَبالباطِلِ يُؤْمِنونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرونَ﴾ أَيْ أَنَّ هؤلاءِ المُشْرِكينَ الَّذينَ لا يُؤْمِنونَ باللهِ ويَكْفُرونَ بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ ، يَزيدونَ على ذلِكَ أَنَّهُمْ

يَعْبُدونَ أَوْثاناً وأَصْناماً مِنَ الحِجارَةِ أَوْ مِنَ البَشَرِ لا يَقْدِرونَ أَنْ يَرْزُقُوهُمْ أَيَّ شَيءٍ مِنَ السَّماواتِ كالمَطَرِ أَوِ الضِّياءِ أَوِ الحَرارَةِ ، ولا مِنَ الأَرْضِ كإِنْباتِ الزَّرْعِ وتَكوينِ المَعادِنِ ، فَهذِهِ المَعْبوداتُ الباطِلَةُ لا تَمْلِكُ الرِّزْقَ ، وإذا كانَتْ لا تَمْلِكُهُ فَهِي عاجِزَةٌ عَنْ أَنْ تَمْنَحَهُ . والتَنْكيرُ في (رِزْقاً) وَ(شَيئاً) لِلتَّقْليلِ ، فَهذِهِ المَعْبوداتُ لا تَمْلِكُ أَيَّ شَيءٍ مِنَ الرِّزْقِ وَلَوْ كانَ قَليلاً يَسيراً .

﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

فإذا كانَتْ آلِهَتُكُمْ المَزْعومَةُ لا تَمْلِكُ الرِّزْقَ ولا تَمْنَحُهُ وَلاَ تَنْفَعُكُمْ وَلاَ تَضُرُّكُمْ ، فلا تَجْعَلوا للهِ مَثيلاً وَشَريكاً ، وَلاَ تُشَبِّهوهُ بِخَلْقِهِ فإنَّهُ سُبْحانَهُ لا مَثَلَ لَهُ ولا نَظيرَ ، ولا تُطْلِقوا لَفْظَ الإِلهِ على أَصْنامِكُمْ ، ولا تَعْتَقِدوا أَنَّها شافِعَةٌ لَكُمْ عِنْدَهُ أَوْ تُقَرِّبُكُمْ إليْهِ ، أَوْ تَتوسَّطُ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُ كحالِ النَّاسِ مَعَ الأُمَراءِ والمُلوكِ ، فإنَّ اللهَ تَعالى يَعْلَمُ عَجْزَ هذهِ المَخْلوقاتِ وَعَدَمَ قُدْرَتِها على شَيءٍ وأَنْتُمْ لا تَعْلَمونَ قَدْرَ عَظَمَةِ الخالِقِ .

﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ نَهى اللهُ تَعالى عِبادَهُ عَنِ الشِّرْكِ ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلَيْنِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ مِنْ خلالِهِما بُطْلاَن عِبادَةِ المَخلوقاتِ .

المَثَلُ الأَوَّلُ لِعَبْدٍ مَمْلوكٍ لاَ يَسْتَطيعُ التَّصرُّفَ بأيِّ شَيءٍ ولا يَمْلِكُ مالاً ولا مَتاعاً ، وَهُوَ مُؤْتَمِرٌ بأَمْرِ سَيِّدِهِ ، وفي مُقابِلِ هذا العَبْدِ : رَجُلٌ يَمْلِكُ الكَثيرَ مِنَ المالِ ويَتَصَرَّفُ فيهِ كما يَشاءُ ، ويُنْفِقُ مَنْهُ في أَيِّ وَقْتٍ يَرْغَبُ في الإنْفاقِ وعلى أيِّ حالٍ يُريدُ ، فإذا كانَ هذا الفارِقُ بَيْنَ مَخلوقٍ ومَخْلوقٍ فَكَيْفَ الفارِقُ بَيْنَ الخالِقِ والمَخْلوقِ ؟ وَكَيْفَ يُسَوى بَيْنَ الأَوْثانِ والواحِدِ الدَّيَّانِ ؟

﴿الحمدُ للهِ﴾ أي الحَمْدُ التَّامُّ والثَّناءُ الكامِلُ للهِ تَعالى ، فَهُوَ وَحْدَهُ المُسْتَحِقُّ لِلعبادَةِ دُونَ سِواهُ . ولكنَّ أَكْثَرَ المُشْرِكينَ لا يَعْلَمونَ الحَق ولا يُمَيِّزونَهُ عَنِ الباطِلِ ، ولا يَعْلَمونَ ما يَنْتَظِرُهُمْ مِنْ عَذابِ جَزاءَ شِرْكِهِمْ .

وفي قَوْلِهِ تَعالى (بَلْ أَكْثَرُهُمْ) إشارةٌ إلى أَنَّ بَعْضَهُم يَعْرِفُ الحَقَّ ولكنَّهُ لَمْ يَتَّبِعْهُ ، جُحوداً وحَسَداً وعِناداً .

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

المَثَلُ الثَّاني لِرَجُلَيْنِ ، أَحَدُهُما لا يَقْدِرُ على الكلامِ لأنَّهُ أَبْكَمُ ، ولا يَسْتَطيعُ التَّصرُّفَ بأيِّ

شَيءٍ ، ولا يَملِكُ جَلْبَ النَّفعِ لِنفْسِهِ ولا دَفْعَ الضُّرِّ عَنْها ، وهُوَ عالَةٌ على سَيِّدِهِ الَّذي يتولّى شُؤونَهُ وَرِعايَتَهُ ، وأيْنما يُرْسِلْهُ مَوْلاهُ في مُهِمَّةٍ لا يَأْتِ بِمَنْفَعَةٍ ولا يُحقِّقْ خَيْراً ، لأنَّهُ لا يَعِي ما يُقالُ لَهُ ولا يَقْدِرُ أنْ يُعَبِّرَ عَمّا في نَفْسِهِ ، والرَّجُلُ الآخَرُ كامِلُ الحواسِّ ، نافِعٌ لِنَفْسِهِ ولِغَيْرِهِ ، يَأْمُرُ بالعَدْلِ وَيَسيرُ على مَنْهَجِ الحَقِّ والدِّينِ القَويمِ ، هَلْ يَستوي هذانِ الرَّجُلانِ ؟ لاشَكَّ أنَّ أيَّ عاقِلٍ ومُنْصِفٍ يَحْكُمُ بِعَدمِ اسْتِوائِهِما ، فإذا كانَ هَذا هُوَ الفارِقُ بَيْنَ هَذينِ ، فإنَّ الفارِقَ بَيْنَ المَخْلوقِ واللهِ تَعالى الواحِدِ أعظَمُ وأكْثَرُ ، فإنَّ اللهَ تَعالى لَهُ المَثَلُ الأعْلى ، فهُوَ الَّذي يَدعو إلى الخَيْرِ ويأْمُرُ بالعَدْلِ ويَنْفَعُ الآخَرينَ ، فَفي هذا المَثَلِ بَيانُ الفَرْقِ الكَبيرِ بَيْنَ الخالِقِ المُسْتَحِقِّ لِلْعِبادَةِ ، وبَيْنَ الصَّنَمِ الأَبْكَمِ الَّذي لا يُغْني عَنْ عابِديهِ شَيْئاً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ النَّهْيُ عَنْ ضَرْبِ الأَمْثالِ للهِ ، وَعَنْ تَشْبيهِهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى بِخَلْقِهِ .

٢ـ اسْتِحْسانُ ضَرْبِ الأَمْثالِ على أَنْ يَكونَ ضارِبُ المَثَلِ عالِماً ، فَفيها تَقْريبٌ وتَوْضيحٌ لِلْمَعنى .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بماذا وَصفَتِ الآيةُ (٧٣) ما يُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ ؟

٢ـ ما المُرادُ بِنَهْيِ المُشْرِكينَ عَنْ ضَرْبِ الأمثالِ للهِ ؟

٣ـ قارِنْ بَيْنَ المَثَلَيْنِ المَضْروبَيْنِ في الآيتَيْنِ (٧٥) و(٧٦) ، لِكُلٍّ مِنَ الرَّجُلِ العاجِزِ والرَّجُلِ القادِرِ ، وما المُرادُ بِضَرْبِ المَثَلِ بِهِما في الآيَتَيْنِ ؟

٤ـ لِضَرْبِ الأمْثالِ فَوائدُ مُتَعدِّدَةٌ ، اذْكُرْ ثَلاثاً مِنْها .

٥ـ بيِّنْ مَعنى ما يلي :

أـ وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنّا رِزْقاً حَسَناً .

ب ـ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمونَ .

ج ـ أحدُهُما أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ على شَيءٍ .

د ـ وَهُوَ كَلٌّ على مَوْلاهُ .

نَشاطٌ :

ـ ارْجِعْ إلى سُورَةِ الشُّعَراءِ ، واكْتُبْ في دَفْتَرِكَ بيانَ سَيِّدِنا إبرْاهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِصفاتِ اللهِ تَعالى ، ودَوِّنْ تَفْسيرَها كَذلك .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الرَّابِعَ عَشَرَ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الرّابِعَ عَشَرَ

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

كَلَمْحِ البَصَرِ : النَّظَرُ بِسُرْعَةٍ خاطِفَةٍ .

مُسْخَّراتٍ : مُذَلّلاتٍ لِلطَّيرانِ .

الأنعام : الإبلِ والبَقَرِ والغَنَمِ .

تَسْتَخِفّونَها : تَجدونَها خَفيفةَ الحَمْلِ .

يَوْمَ ظَعْنِكُمْ : يومَ رَحيلِكُمْ .

أَثاثاً : مَتاعاً لِبيُوتِكُمْ .

التَّفْسيرُ :

في هَذِهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَبْيينُ سَعَةِ عِلْمِ اللهِ ، وقُرْبِ حُصولِ السَّاعَةِ والتَّذْكيرُ بِبَعْضِ نِعَمِ اللهِ تَعالى على خَلْقِهِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

أيْ : واللهُ تَعالى وَحْدَهُ يَعْلَمُ جَميعَ الأُمورِ الغائِبَةِ عَنْ مَدارِكِ المَخْلوقينَ في السَّمواتِ والأَرْضِ ، والَّتي لا يُمْكِنُ لِلْمَخْلوقينَ مَعْرِفَتُها أَوِ العِلْمُ بِها لِعَدَمِ انْدِراجِها فيما يُمْكِنُهُمْ إدْراكُهُ بِحِسِّهِمْ ، وما أَمْرُ مَجيءِ السَّاعَةِ وَحُصولِها إلاَّ كَنَظْرَةٍ خاطِفَةٍ ، أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ ، فإنَّ قُدْرَةَ اللهِ تَعالى على فِعْلِ ما يَشاءُ مُطْلَقَةٌ ، وَهُوَ قَديرٌ على كُلِّ شَيءٍ أَرادَهُ .

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

تُبيِّنُ هذهِ الآيَةُ عَدَداً مِنْ نِعَمِ اللهِ على عِبادِهِ ، والَّتي تَدُلُّ على عَظَمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وقُدْرَتِهِ ، فاللهُ تَعالى وَحْدَهُ هُوَ الَّذي خَلَقَ الإنْسانَ وصَوَّرَهُ في الرَّحِمِ كَيْفَ يَشاءُ ، فإذا اكْتَمَلَ نُمُوُّهُ وحانَ وَقْتُ الوِلادَةِ يَسَّرَ أَمْرَها وأَعانَ على حُصولِها ، فَخَرَجَ المَوْلودُ بَشَراً سَوِيّاً ، لا يَعْلَمُ شَيْئاً عَنِ الدُّنيا ، فَيَسَّرَ اللهُ لَهُ وسائِلَ العِلْمِ والمَعْرِفَةِ ، وأَنْعَمَ عَلَيْهِ بالسَّمْعِ والبَصَرِ والفُؤادِ ، لِيَتَعَلَّمَ ويُدْرِكَ حَقائِقَ الأَشْياءِ مِنْ خِلالِ السَّمْعِ والبَصَرِ ، والتَّفْكيرِ ، والتَّأَمُّلِ في كُلِّ ما حَوْلَهُ ، فَهذِهِ نِعَمٌ جَليلَةٌ يَنْبَغي عَلى الإنْسانِ أَنْ يَشْكُرَ خالِقَهُ عَلَيْها بِطاعَتِهِ ، فيما أَمَرَ ، واسْتِعْمالِ هَذِهِ الأَعْضاءِ المَذْكورَةِ في الآيَةِ وغَيْرِها فيما يُرْضيهِ سُبْحانَهُ .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

أَلَمْ يَرَ هَؤلاءِ المُشْرِكونَ الَّذين لَمْ يَسْتَعْمِلوا أَبْصارَهُمْ لِتَدُلَّهُمْ على الخالِقِ الحَكيمِ ، أَنَّ أَنْواعَ الطُّيورِ المُتَعَدِّدَةِ ، وقابِلِيَّتَها للطَّيرانِ تدلُّ على أنَّ اللهَ تَعالى هُوَ الَّذي مَنَحَها الأَجْنِحَةَ والرِّيشَ والذَّيْلَ والقُدْرَةَ على التَّحْليقِ ، وَهُوَ الَّذي أَلْهَمَها كَيْفِيَّةَ العَمَلِ عِنْدَ إرادةِ الصُّعودِ أَوِ الهُبوطِ أوالاسْتِقْرارِ في الجَوِّ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ صاحِبُ الأَمْرِ ، وهْوَ الَّذي سَخَّرَ الأَسْبابَ كُلَّها وَذَلَّلَها لِتَتَمَكَّنَ هذهِ الطُّيورُ مِنَ الطَّيَرانِ ، إنَّ في هَذا الأَمْرِ اللَّافِتِ لِلنَّظَرِ لآياتٍ عَديدَةً تَدُلُّ على قُدْرَةِ اللهِ تَعالى وَحِكْمَتِهِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنونَ باللهِ ، ويَقومونَ بِمُقْتَضياتِ هذا الإيمانِ مِنْ عَمَلٍ صالِحٍ وطاعَةٍ لِلْخالِقِ العَظيمِ .

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

في هَذهِ الآيَةِ الكَريمَةِ بَيانٌ لِعَدَدٍ مِنْ نِعَمِ اللهِ تعالى على الإنْسانِ ، وأَوَّلُ هَذهِ النِّعَمِ أَنَّهُ سُبْحانَهُ هَدانا لِبِناءِ البُيوتِ لِتَكونَ لَنا مَكانَ الرَّاحَةِ والهُدوءِ والسُّكونِ والاسْتِقْرارِ ، وَمِنْ نِعَمِهِ سُبْحانَهُ أَنَّهُ

هَدانا لاسْتِخْدامِ جُلودِ الأنْعامِ في بِناءِ البُيوتِ الخَفيفةِ المُتَنَقِّلَةِ ، وهِيَ البُيوتُ الَّتي يَسْتَخْدِمُها الأَعْرابُ الَّذين يَنْتَقِلونَ مِنْ مَكانٍ لآخرَ طَلَباً لِلْمَرْعى وَلِلْماءِ ، وهِيَ مُتَّخَذَةٌ مِنْ جُلودِ الأنْعامِ وأَصْوافِها وَشَعْرِها وتُسَمّى : بُيوتَ الشَّعَرِ ، وبيُوتَ الصُّوفِ ، والخِيامِ ، وَمِنْ مِيزةِ هذهِ البيوتِ خِفَّةُ حَمْلِها وَسُهولَةُ إزالَتِها عِنْدَ إرادَةِ الرَّحيلِ والانْتِقالِ إلى مَكانٍ آخرَ ، وسُهولَةُ بِنائِها عِنْدَ إرادَةِ الاسْتِقْرارِ والمُكْثِ .

ومِنْ نِعَمِهِ سُبْحانَهُ أَنَّهُ هَدانا إلى اسْتِخْدامِ وَبَرِ الجَمَلِ ، وصُوفِ الضَّأْنِ وشَعَرِ الماعِزِ في أثاثِ البُيوتِ ، فَنَتَّخِذُ مِنْها البُسُطَ والأَغْطِيَةَ والمَفارِشَ ونَنْسُجُ مِنْها أَنواعاً مُتعدِّدَةً مِنَ الثِّيابِ الفاخِرَةِ ، ونَنْتَفِعُ مِنْها بالبَيْعِ والتَّصْنيعِ إلى غَيْرِ ذلكَ مِنْ أَوْجُهِ الانْتِفاعِ المُتَعَدِّدَةِ (إلى حينٍ) أيْ إلى وَقْتٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ ، وَهُوَ بِحَسَبِ كُلِّ إنْسانٍ إمَّا بِمَوْتِهِ وإمَّا بِفَقْدِ تِلْكَ الأَشْياءِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ تَرَقُّبِ السَّاعَةِ وانْتِظارِ حُصولِها ، والاسْتِعْدادِ لها بالعَمَلِ الصَّالِحِ .

٢ـ وُجوبُ تَسْخيرِ الأَعْضاءِ في طاعَةِ اللهِ والانْتِفاعِ مِنْها فيما يُرْضيهِ .

٣ـ التَأمُّلُ في مَخْلوقاتِ اللهِ تعالى سَبيلٌ إلى الإيمانِ بهِ ، وَمِنْ ذَلِكَ التَأمُّلُ في الطُّيورِ وأَشْكالِها وأَنْواعِها وأَحْجامِها وَكَيْفِيَّةِ طَيرانِها وما في ذَلِكَ مِنَ العِبَرِ والآياتِ .

٤ـ مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعالى على الإنْسانِ هِدايَتُهُ إلى اتِّخاذِ البُيوتِ مِنْ الحَجَرِ وَمِنَ الشَّعَرِ ، وإلى الانْتِفاعِ بِوَبَرِ الأَنْعامِ وَشَعْرِها وَصُوفِها في الأَثاثِ والمَتاعِ ، وهي نِعَمٌ تَحْتاجُ إلى الثَّناءِ والشُّكْرِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلَةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّدِ الأُمورَ الّتي بَيَّنَتْها الآيةُ (٧٧) ؟

٢ـ بَيِّنْ وَجْهَ الامْتِنانِ على البَشَرِ بِإخْبارِهِمْ أَنَّهمُ لَمْ يَكونوا يَعْلَمونَ شَيْئاً .

٣ـ ما وَجْهُ تَخْصيصِ السَّمْعِ والأَبْصارِ والأَفْئِدَةِ بالذِّكْرِ دُونَ سائِرِ الأعضاءِ ؟

٤ـ ما فائِدَةُ اتِّخاذِ البُيوتِ ؟

٥ـ اذكُرْ أَنْواعَ البُيوتِ الّتي يَتَّخِذُها النّاسُ لِلْمَعيشَةِ .

٦ـ ما مَعْنى قَوْلِهِ تَعالى (وَمَتاعاً إلى حينٍ) ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْترِكَ سَبَبَ تَقْديمِ السَّمْعِ على البَصَرِ في الآيَةِ (٧٨) وفي غَيْرِها مِنَ الآياتِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ مِنْ سُورَةِ المُلْكِ الَّتي تَذْكُرُ الطُّيورَ ، وحَرَكَتَها في الهواءِ .

٣ـ عَدِّدْ عَشَرَةَ أَصْنافٍ مِنَ الأثاثِ المَنْزِليِّ يَدْخُلُ في تَكْوينِها جُلودُ الأَنْعامِ أَوْ شُعورُها أَوْ أَصْوافُها ، واكْتُبْها في دَفْترِكَ .

٤ـ راقِبْ حَرَكَةَ أَحَدِ الطُّيورِ في طَيَرانِهِ ، وَحَرَكَتِهِ في الجَوِّ ، وحالَهُ عِنْدَ الهُبوطِ وَعِنْدَ بَدْءِ الطَّيرانِ ، وَقارِنْ مُلاحظاتِكَ بما دَوَّنَهُ زُملاؤُكَ عَنْ طائِرٍ آخَرَ ، واسْتَخْرِجْ أَوْجُهَ الاخْتِلافِ والاتِّفاقِ بَيْنَ أنواعِ الطُّيورِ المُتَعَدِّدَةِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الخامسَ عشرَ

سورةُ النَّحلِ ـ القِسْمُ الخامِسَ عشَرَ

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **ظِلالاً** : أشْياءَ تَسْتظِلّونَ بِها مِنَ الشَّمْسِ .
- **أَكْناناً** : أماكِنَ تَسْتَتِرونَ فيها وتَسْكُنون فيها .
- **سَرابيلَ** : ما يُلْبَسُ مِنَ الثّيابِ .
- **بَأْسَكُمْ** : ما تُلاقونَهُ مِنْ شِدةٍ في الحَرْبِ والقِتالِ .
- **لا يُسْتَعْتَبونَ** : لا يُطْلَبُ مِنْهُمْ إرْضاءُ رَبِّهِم .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ اسْتِمْرارٌ في تَبْيينِ عَدَدٍ مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعالى عَلى البَشَرِ ، مَعَ كُفْرِ كَثيرٍ مِنْهُمْ بِهذِهِ النِّعَمِ وَعَدَمِ شُكْرِهِمْ لِلرّازِقِ الكَريمِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

أيْ واللهُ تعالى أنْعَمَ عَلَيْكُم أيُّها البَشَرُ بأنْ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الأَشْجارِ والجبالِ وغَيْرِها ظِلالاً تَسْتَظِلّونَ بها مِنْ شِدَّةِ الحَرِّ ، وجَعَلَ لَكُمْ في الجبالِ أماكِنَ تَسْتَقِرّونَ فِيها وتأْمَنونَ مِنَ الحرِّ والبَرْدِ والمَطَرِ والعَدُوِّ ، كالكُهوفِ والمَغاراتِ ونَحوِها ، وجَعَلَ لَكُمْ ثِياباً تَصْنَعونَها مِنَ الصُّوفِ والقُطْنِ ونَحْوِها تَقيكُمْ شِدَّةَ الحَرِّ وَشِدَّةَ البَرْدِ ، وَجَعَلَ لَكُمْ أَنْواعاً أُخْرى مِنَ الثِّيابِ تَقيكُمْ شِدَّةَ القِتالِ ، والطَّعْنَ بالسُّيوفِ والرِّماحِ والرَّصاصِ وغَيْرِها ، وهِيَ الدُّروعُ الَّتي تَتَّخِذونَها لِلْوِقايَةِ والاحْتِماءِ بِها مِنْ طَعَناتِ السُّيوفِ والسِّهامِ وَمِن مُخْتَلِفِ أَنْواعِ الأسْلِحَةِ ، وَكَما أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكُمْ بِهذِهِ الأشْياءِ فَكَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ بالدِّينِ القَيِّمِ لِكَيْ تَخْضَعوا لَهُ بالطَّاعَةِ وَتُخْلِصوا لَهُ العِبادَةَ دُونَ غَيْرِهِ .

وقالَ سُبْحانَهُ (سَرابيلَ تَقيكُمُ الحَرَّ) مَعَ أَنَّها تَقي مِنَ البَرْدِ أَيْضاً ، اكْتِفاءً بِذِكْرِ أَحَدِ الضِّدينِ عَنِ الآخَرِ ، وكانَ المَذكورُ الحَرُّ لأنَّهُ الأَهَمُّ عِندَ العَرَبِ وَقْتَئِذٍ ، فَمَكَّةُ مَدينَةٌ يَغْلُبُ عَلَيْها الحَرُّ أكْثَرَ مِنَ البَرْدِ ، وأَيَّامُ الحَرِّ في مَكَّةَ والجَزيرةِ أكْثَرُ مِنَ البَرْدِ .

﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ ﴾

أيْ : فإنْ لَمْ يُؤْمِنِ النَّاسُ بَعْدَ هذا البَيانِ العَظيمِ لِلنِّعَمِ ، وإن اسْتَمَرَّ المُشْرِكونَ في إعْراضِهِمْ عَنِ الإيمانِ فَلَيْسَ عَلَيْكَ أَيُّها النَّبِيُّ الكَريمُ مِنْ حَرَجٍ ، وَلَسْتَ مَسؤولاً عَنْ عَدَمِ اهْتِدائِهِمْ ، إنَّما عَلَيْكَ تَبيينُ رِسالَتِكَ وتَبْيينُ أُصولِ دَعْوَتِكَ .

﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

إنَّ هؤلاءِ المُشْرِكينَ المُعْرِضينَ عَنِ الإيمانِ يَعْلَمونَ في قَرارَةِ نُفوسِهِمْ أنَّ اللهَ هُوَ المُنْعِمُ عَلَيْهِمْ بِجَميعِ أنْواعِ النِّعَمِ الَّتي يَعْرِفونَها ويَعيشونَها ، ولَكِنَّهُم يَتنكَّرونَ لِلْجَميلِ ولا يَشْكرونَ المُنْعِمَ المُتَفَضِّلَ ، بَلْ يَكْفُرونَ بِهِ بِعَدَمِ شُكْرِ النِّعْمَةِ وَعِبادَةِ غَيْرِهِ ، هذا حالُ أكْثَرِ الخَلْقِ ، وقَليلٌ مِنْهُمُ المُؤْمِنونَ .

﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

تَنْتَقِلُ الآيَةُ الكَريمةُ لِتُبَيِّنَ حالَ الكافِرينَ والمُنْكِرينَ لِنِعَمِ اللهِ في الآخِرَةِ ، فَفي ذَلِكَ اليَوم يَشْهَدُ كُلُّ نَبِيٍّ عَلى قَوْمِهِ شَهادَةَ صِدْقٍ ، وَحَقٍّ ، يَشْهَدُ على مَنْ أطاعَهُ وآمَنَ بِهِ وَعَلى مَنْ عَصاهُ وَكَفَرَ بِهِ ، وفي ذَلِكَ اليومِ لا يُسْمَحُ لِلْكافِرينَ بإبْداءِ الحُجَّةِ أوِ الدِّفاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ فَقَدْ ظَهَرَ أنْ لا حُجَّةَ لَهُمْ ،

ولا يُطْلَبُ منْهُمْ أنْ يُزيلوا غَضَبَ رَبِّهِمْ وسَخَطَهُ عَلَيْهِم بأيِّ شَكْلٍ منَ الأشْكالِ ، فَقَدْ غَضِبَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ سُوءِ فِعْلِهِمْ في الدُّنْيا فَلَمْ يَبْقَ أمامَهُم إلاّ تَرَقُّبُ العَذابِ الأليمِ جَزاءَ ما كَسَبَتْ أيْديهِمْ .

وتُبَيِّنُ هذهِ الآيَةُ عَدَمَ الإذْنِ لِلْمُشْرِكينَ بالدِّفاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وتُبَيِّنُ آياتٌ أُخْرى أنَّهُمْ يَدْفَعونَ عَنْ أنْفُسِهِمْ ويَكْذِبونَ ويَجْتَهِدونَ في التَّنَصُّلِ مِنْ أَعْمالِهِمْ .

والجَمْعُ بَيْنَ الآياتِ بأنَّهُمْ يُسْمَحُ لَهُمْ أوّلاً بالدِّفاعِ والرَّدِّ ، ثُمَّ لَمّا تَقومُ عَلَيْهِمُ الحُجَّةُ وتَنْقَطِعُ بِهِمُ الحِيلَةُ ، لا يُسْمَحُ لَهُمْ بالحَديثِ ، ولا يُسْمَحُ بالاعْتِذارِ لِفَواتِ وَقْتِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ على المَرْءِ أَنْ يَنْتَفِعَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ ، فَيَنْتَفِعَ مِنَ الظِّلالِ والكُهوفِ والصُّوفِ .

٢ـ على المَرْءِ العاقِلِ أَنْ يَشْكُرَ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِ وأَنْ يُسَخِّرَها فيما يُرْضي خالِقَهُ .

٣ـ النَّبيُّ لَيْسَ مَسْؤولاً عَنْ هِدايَةِ قَوْمِهِ ، وَمُهِمَّتُهُ البَلاغُ والتَبيينُ .

٤ـ أكْثَرُ النّاسِ لا يَعْبدونَ اللهَ تَعالى ولا يَشْكُرونَ نِعَمَهُ ، وقَليلٌ مِنْهُمُ الشّاكِرُ العابِدُ .

٥ـ حِسابُ اللهِ تَعالى لِعِبادِهِ يَوْمَ القِيامَةِ ، وإقامَةُ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ حَتَّى لا يَبْقى لَهُمْ حُجَّةٌ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلَةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّدْ أَنْواعَ النِّعَمِ المَذْكورَةِ في الآيَةِ (٨١) .

٢ ـ لماذا يُنْكِرُ أَكْثَرُ النّاسِ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِمْ ولا يَشْكُرونَها ؟

٣ـ ما دَوْرُ الأَنْبياءِ مَعَ أُمَمِهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ ؟

٤ـ لماذا لا يُؤْذَنُ لِلْكافِرينَ يَوْمَ القِيامَةِ بالاعْتِذارِ وإبْداءِ الحُجَّةِ ؟

٥ـ ذَكَرَتِ الآيَةُ أَنَّ السَّرابيلَ تَقي البَشَرَ مِنَ الحَرِّ ولَمْ تَذْكُرْ أَنَّها تَقيهِمْ مِنَ البَرْدِ ، لِماذا ؟



١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَةَ أَشْياءَ تُسْتَخْدَمُ في الحَرْبِ لِلْوِقايَةِ مِنَ الضَّرْبِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةً تَدُلُّ على أنَّ المُشْرِكينَ يَعْرِفونَ أنَّ الخالِقَ والمُنْعِمَ هُوَ اللهُ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّادِسَ عَشَرَ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ السَّادِسَ عَشَرَ

وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **يَنْظُرونَ** : يُمْهَلونَ .
- **نَدْعو** : نَعْبُدُ .
- **السَّلَمَ** : الاسْتِسْلامَ .
- **وَضَلَّ عَنْهُم** : غابَ وَبَطُلَ .
- **يَفْتَرونَ** : يَكْذِبونَ .
- **صَدُّوا** : مَنَعوا .

التَّفْسيرُ :

في هَذِهِ الآياتِ الكَريمَةِ مُواصَلَةُ الحَديثِ عَنْ يَوْمِ القِيامَةِ وأحْوالِ المُشْرِكينَ فيهِ بَعْدَ أَنْ بَيَّنَتِ الآيَةُ السَّابِقَةُ أَنَّ الأَنْبياءَ يَشْهَدونَ على أُمَمِهِمْ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

بَعْدَ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ ما يَنْتَظِرُ كُلَّ فَريقٍ مِنْهُم مِنْ نَعيمٍ أَوْ عَذابٍ ، يُذْهَبُ بِكُلٍّ مِنْهُمْ إلى مَصيرِهِ ، فإذا رأَى الظَّالِمون والكافِرونَ ما يَنْتَظِرُهُمْ مِن عذابٍ وعايَنوا رَهْبَتَهُ وعَظَمَتَهُ ، فَزِعوا وَخافوا ، وَطَلبوا تأْخيرَ العَذابِ عَنْهُمْ وتَخْفيفَهُ ، وإِمْهالَهُمْ وَقْتاً لِيَتوبوا ويُراجِعوا أَنْفُسَهُمْ ، وَلَكنَّهُ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ ولا يُؤَخَّرُ ، ولا مجالَ في الآخِرَةِ لِتَوْبَةٍ أَوْ عَمَلٍ .

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

وإذا أَبْصَرَ المُشْرِكونَ يَوْمَ القِيامَةِ مَعْبوداتِهِمُ الَّتي كانوا يَعْبُدونَها في الدُّنْيا ، وَهِيَ الأَصْنامُ ، والأَوْثانُ والشَّمْسُ ، والشَّياطينُ والبَشَرُ ، والمَلائِكَةُ وَجَميعُ ما كان يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ، قالَ المُشْرِكونَ مُخاطِبينَ رَبَّهُمْ : يا رَبَّنا هَذهِ هِيَ الآلِهَةُ الَّتي عَبَدْناها مِنْ دُونِكَ ، نَعْتَرِفُ بِعبادَتِنا لَها بِسَبَبِ إضْلالِها إيَّانا ، فارْفَعْ عَنَّا العَذابَ ، وأَنْزِلْهُ بها ، فَهِيَ المُسْتَحِقَّةُ لِلْعُقوبَةِ لا نَحْنُ ، فَرَدَّ أُولئِكَ المعْبودونَ على عابديهِمْ كلامَهُمْ وقالوا لَهُمْ : إنَّكم أَيُّها المُشْرِكونَ لكاذِبونَ فيما تَتَّهِموننا مِنْ إضْلالِكُمْ أو دَعْوَتِكُمْ إلى عِبادَتِنا أَوْ إجبارِكُمْ على ذَلِكَ ، فنَحنُ لَمْ نَأْمُرْكُمْ بِذَلكَ ولا رَضينا بِهِ ، ولَكنَّكُمْ اخْتَرْتُمْ طَريقَ الشِّرْكِ واتِّباعَ الهَوَى ، فأَنْتُمُ المُخْطِئونَ المُسْتَحِقّونَ لِلْعُقوبَةِ على ما فَعَلْتُمْ ، ويكونُ نُطْقُ الأَصْنامِ والجَماداتِ بِأَمْرِ اللهِ تَعالى لَها بِذَلِكَ .

وَهذا القَوْلُ مِنَ الصَّالحينَ الَّذين عُبِدوا مِنْ دونِ اللهِ كالمَلائِكَةِ والأَنْبياءِ صَحيحٌ على إِطْلاقِهِ ، لأَنَّهُمْ لا يَأْمُرونَ إلاَّ بعبادَةِ اللهِ ولا يَرْضَوْنَ بأَنْ يُعْبَدوا مِنْ دُونِ اللهِ ، أَمَّا مَنْ رَضِيَ بالعِبادَةِ كالشَّيْطانِ فإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ سُلْطانٌ على إِجْبارِ البَشَرِ على عِبادَتِهِ .

﴿ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

بَعْدَ أَنْ يَسْمَعَ المُشْرِكونَ رَدَّ شُرَكائِهِمْ وَمَعْبوداتِهِمْ لا يَمْلِكونَ إلاَّ أَنْ يُذْعِنوا وَيَسْتَسْلِموا لِحُكْمِ اللهِ ، فَقَدْ قامَتْ عَلَيْهِمُ الحُجَّةُ الظَّاهِرَةُ ، وَلَمْ يَسْتَطيعوا دَفْعَ العَذابِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وبَطَلَ ما كانوا يَخْتَلِقونَهُ مِنْ أكاذيبَ وافْتِراءاتٍ مِنْ أَنَّ للهِ شُرَكاءَ ، وأَنَّهُمْ يَنْصُرونَهُمْ ويَشْفَعونَ لَهُمْ .

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

أي : إنَّ الذَّينَ كَفَروا وزادوا عَلى كُفْرِهِمْ أَعْمالاً سَيِّئَةً أُخْرَى فَمَنَعوا غَيْرَهُمْ عَنِ الإيمانِ ، وأَبْعَدوهُمْ عَنْهُ وَزَيَّنوا لَهُمُ البَقاءَ على الكُفْرِ ، وحارَبوا الدَّعْوَةَ إلى الخَيْرِ وَوَقَفوا في سبيلِ الهُدى

والإِصْلاحِ ، هؤلاءِ لَهُمْ عَذابٌ زائِدٌ مُضاعَفٌ ، عَذابٌ لِكُفْرِهِمْ ، وآخَرُ لِصَدِّهِمْ عن سَبيلِ اللهِ وإِفْسادِهِمْ في الأَرْضِ ودَعْوَتِهِمْ إلى الفَسادِ والضَّلالِ .

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

في بدايةِ هذهِ الآيةِ تأكيدٌ لِما سَبَقَ ذِكْرُهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا . . . ﴾ [النحل : ٨٤] أيْ : وفي يَوْمِ القِيامَةِ يَقومُ الأَنْبياءُ بالشَّهادَةِ على أُمَمِهِمْ ، كُلُّ نبيٍّ يَشْهَدُ على أُمَّتِهِ أَنَّهُ بَلَّغَها دَعْوَةَ اللهِ ، ويَشْهَدُ لِمَنْ آمَنَ ، كما يَشْهَدُ على مَنْ كَذَّبَ وأَعْرَضَ ، وتكونُ شهادَةُ الأنبياءِ قاطِعَةً لِكُلِّ حُجَّةٍ وخاتِمَةً لِكُلِّ بَيِّنَةٍ ، فَهُمْ أَصْحابُ شَهادَةِ الحَقِّ والصِّدْقِ ، ويَشْهَدُ رَسولُنا مُحَمَّدٌ ﷺ على أُمَّتِهِ كَشَهادَةِ الأَنْبياءِ على أُمَمِهِمْ ، ويَشْهَدُ لِلأَنْبياءِ السَّابِقينَ لَهُ مُؤَكِّداً شَهادَتَهُمْ مُقِرّاً لِكُلِّ نَبيٍّ أَنَّهُ بَلَّغَ رِسالَةَ رَبِّهِ ، فَتَكْتَمِلُ بِشَهادَتِهِ شَهاداتُ الأَنْبياءِ .

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحانَهُ أَنَّهُ نَزَّلَ الكِتابَ على رَسولِهِ ﷺ لِيَكونَ مُبَيِّناً لِكُلِّ ما يَحْتاجُ إِلَيْهِ المُسْلِمُ مِنْ أُمورِ دينِهِ ، ولِيَكونَ هِدايَةً لِلنَّاسِ إلى طَريقِ الحَقِّ والخَيْرِ ، ورَحْمَةً لَهُمْ مِنْ عذابِ اللهِ وعِقابِهِ ، وبِشارَةً بِحُسْنِ الجَزاءِ لِمَنْ أَسْلَموا للهِ وأَخْلَصوا لَهُ العِبادَةَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَبَرُّؤُ المَتْبوعينَ والمَعْبودينَ مِنْ دُونِ اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ أَتْباعِهِمْ وعابِديهِمْ .

٢ـ زِيادَةُ العَذابِ لِمَنْ دَعا إلى الكُفْرِ والشِّرْكِ .

٣ـ تَكَرُّمُ النَّبيِّ ﷺ بِشَهادَتِهِ على أُمَّتِهِ وعلى سائِرِ الأُمَمِ .

٤ـ اشْتِمالُ القُرْآنِ الكَريمِ على كُلِّ عِلْمٍ نافِعٍ وعلى ما يَحْتاجُهُ النَّاسُ في دينِهِمْ ودُنْياهُمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسْئِلَةِ التالِيَةِ :

١ـ بَيَّنَتِ الآياتُ الكَريمَةُ حالَ المُشْرِكينَ يَوْمَ القِيامَةِ ، في مَواقِفَ عِدَّةٍ اذْكُرْها .

٢ـ لِماذا يَعْتَرِفُ المُشْرِكونَ بِشِرْكِهِمْ حينَ يَرَوْا آلِهَتَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ ؟

٣ـ بماذا يَرُدُّ المَعبودونَ على عابديهِمْ حينَ يَعْتَرِفون بأنَّهمُ كانوا يَعْبُدونَهُمْ ؟

٤ـ لَيْسَ كُلُّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ الله يَكونَ راضِياً عَنْ ذَلِكَ أَوْ عالِماً بهِ . أَيِّدْ إجابَتَكَ بالأَمْثِلَةِ .

٥ـ لماذا يَكونُ عَذابُ الَّذينَ كَفَروا وصَدَّوا عَنْ سَبيلِ اللهِ زائِداً ؟

٦ـ بماذا يَشْهَدُ الأَنبياءُ على أُمَمِهِمْ ؟

٧ـ عَدِّدْ صِفاتِ القُرْآنِ الكريمِ المَذْكورةَ في الآية (٨٩) .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيةَ مِنْ سُورةِ غافِرٍ ، الّتي تُبَيِّنُ أَنَّ المشْرِكينَ يَطْلُبونَ تَخْفيفَ عذابِ النّارِ عَنْهُمْ ولا يُسْتَجابُ لَهُمْ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ بَعْضَ مَنْ دَعا إلى عِبادَتِهِ مِنَ البَشَرِ بادِّعائِهِ الأُلوهِيَّةَ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيةَ مِنْ سُورَةِ النِّساءِ الَّتي تَحْمِلُ مَعَنى هذهِ الآيَةِ [٨٩] .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعَ عَشَرَ

سورَةُ النَّحْلِ - القِسْمُ السّابِعَ عَشَرَ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

العَدْلِ	: الإِنْصافِ .
الإِحْسانِ	: إِتْقانِ العَمَلِ .
الفَحْشاءِ	: الذُّنوبِ القَبيحَةِ .
المُنْكَرِ	: ما أَنْكَرَهُ الشَّرْعُ .
البَغْيِ	: الظُّلْمِ .
لا تَنْقُضوا الأَيْمانَ	: لا تَحْنِثوا في الأَيْمانِ .
كَفيلاً	: شاهِداً ورَقيباً .
نَقَضَتْ غَزْلَها	: حَلَّتْهُ بَعْدَ غَزْلِهِ .
مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ	: مِنْ بَعْدِ إِحْكامٍ وإِبْرامٍ .

أَنْكاثاً	مُفَكَّكاً كما كانَ قَبْلَ الغَزْلِ .
دَخلاً	مَكْراً وخديعَةً .
أَرْبَى	أَكْثَرُ وأَعزُّ .
يَبْلُوكُمْ	يَخْتَبِرُكُمْ .

التَّفْسيرُ :

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَتِ الآيَةُ السَّابِقَةُ أَنَّ في القُرْآنِ الكَريمِ تِبْيانُ كُلِّ شَيْءٍ ، وأَنَّهُ هُدَىً وَرَحْمَةٌ وبُشْرى لِلْمُسْلمينَ ، جاءتْ هذهِ الآياتُ لِتُبَيِّنَ بَعْضَ ما حَواهُ القُرْآنُ الكريمُ مِنْ تَوْجيهاتٍ سامِيَةٍ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

أيْ : إنَّ اللهَ يأْمُرُكُمْ أيُّها المُسْلِمونَ بالعَدْلِ والإنْصافِ في جَميعِ مُعامَلاتِكُمْ ، ويَأْمُرُكُمْ بالإحسانِ ، وهُوَ إتْقانُ العَمَلِ والإتيانُ بالمَأْمورِ بهِ على الوَجْهِ اللّائِقِ ، ويَأْمُرُكُمْ بصِلَةِ الأَقارِبِ وإعْطائِهِم حُقُوقَهُمْ مِنَ البرِّ والصِّلَةِ وإعانَةِ المُحْتاجِ مِنْهُمْ ، وأَفْرَدَ هذا الأمْرَ بالذِّكْرِ مَعَ انْدراجِهِ ضِمْنَ الإحْسانِ اعْتِناءً بِهِ واهْتِماماً بشأْنِهِ .

وإنَّ اللهَ تعالى يَنْهاكُمْ أَيُّها المُسْلِمونَ عَنِ الفَحْشاءِ وَهِيَ الأَقْوالُ والأَفْعالُ القَبيحةُ والسَّيئاتُ المُنْكَرَةُ الَّتي لا يَليقُ بِكُمْ فِعْلُها ، ويَنْهاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَهُوَ كُلُّ ما أَنْكَرَهُ الشَّرْعُ ونَهى عَنْهُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، ويَنْهاكُمْ عَنِ البَغْيِ وَهُوَ الظُّلْمُ والاعْتِداءُ على الآخَرينَ والاسْتعلاءُ عَلَيْهِمْ .

(يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرونَ) العِظَةُ تَعْني القَوْلَ البَليغَ المُؤَثِّرَ في المُخاطَبِ ، أَيْ يُنَبِّهُكُمُ اللهُ إلى ما يُصْلِحُ أُمورَكُمْ ويَنْفَعُكُمْ عَنْ طَريقِ اتِّباعِ أَمْرِهِ واجْتِنابِ ما نَهاكُمْ عَنْهُ ، لَعَلَّكُمْ تَتَّعِظونَ بِذَلِكَ وتَذْكُرونَ فَضْلَهُ عَلَيْكُمْ في تَوْجيهِكُمْ إلى الخَيْرِ ونَهْيِكُمْ عَنِ الشَّرِّ .

وفي الآيةِ الكَريمَةِ اسْتِخْدامُ الفِعْلِ المُضارِعِ (يأْمرُ . . . ويَنْهى) لإفادَةِ التَجدُّدِ والاسْتِمْرارِ .
وفي الأَثَرِ عَنِ ابْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ في هذهِ الآيَة : هِيَ أَجْمَعُ آيَةٍ للأَمْرِ بالخَيْرِ والنَّهْيِ عَنِ الشَّرِّ .

﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

العَهْدُ : المِيثاقُ ، وعَهْدُ الله ما أَخَذَهُ اللهُ على النَّاسِ مِنَ الالْتِزامِ بِعِبادَتِهِ وطاعَتِهِ ، ونَحْنُ نَقْطَعُ هذا العَهْدَ مَعَ اللهِ في كُلِّ رَكْعَةٍ في الصَّلاةِ ، قالَ تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) ويَدْخُلُ فيهِ كُلُّ ما يَجِبُ الوَفاءُ بِهِ مِنْ أَحْكامِ الإِسْلامِ والوُعودِ والالْتِزاماتِ مَعَ اللهِ تَعالى أَوْ مَعَ النَّاسِ أَوْ مَعَ النَّفْسِ ، وَبِهذا يَظْهَرُ مَدى شُمولِ هذا اللَّفْظِ وَسَعَتِهِ ، وقَدْ أَخَذَ اللهُ العُهودَ على كُلِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وأَتْباعِهِمْ بِعِبادَتِهِ وطاعَتِهِ .

والآيةُ تُبيِّنُ وُجوبَ الوَفاءِ بالعَهدِ وأدائِهِ على الوَجْهِ الأَحْسَنِ والأَكْمَلِ ، ونِسْبَةُ العَهْدِ إلى اللهِ لِتَأْكيدِهِ وإِظْهارِ مَدى أَهَمِّيتِهِ ، فإذا الْتَزَمَ الإِنْسانُ بِعَهْدٍ تَعيَّنَ عَلَيْهِ الوفاءُ بِهِ .

﴿ولا تَنْقُضوا الأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكيدِها﴾ أيْ : لا تَحْنَثوا في الأَيْمانِ الَّتي تُقْسِمونَها ، وتُؤَكِّدونَها بِذِكْرِ اسْمِ اللهِ تَعالى ، أَوْ تُؤَكِّدونَها بإعادَةِ اليَمينِ ، وإنَّ نَقْضَ اليَمينِ المُؤَكَّدَةِ أَقْبَحُ مِنْ نَقْضِ غَيْرِها .

(وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفيلاً) هَذهِ الجُمَلَةُ لِزيادَةِ التَحْذيرِ مِنْ عَدَمِ الوَفاءِ بالعُهودِ ، أَوْ نَقْضِ الإيْمانِ ، فإنَّكُمْ حينَ عاهَدْتُمْ وأَقْسَمْتُمْ باسِمِ اللهِ ، جَعَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ تَحتَ شهادةِ اللهِ تَعالى وَرَقابَتِهِ ، فإيَّاكُمْ وَمُخالفَةَ ما الْتَزَمْتُمْ بِهِ (إنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما تَفْعلونَ) مِنَ الوفاءِ بالعُهودِ أَوْ نَقْضِها ، أَوْ مُحاوَلَةِ الالْتِفافِ عَلَيْها بالحِيَلِ والتَّأْويلاتِ ، وسَيُجازيكُمْ على فِعْلِكُمْ بما تَسْتَحِقّونَ .

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

كانَ في مَكَّةَ امْرَأَةٌ حَمقاءُ تَغْزِلُ ثُمَّ تَحُلُّ ما غَزَلَتْهُ وتُفْسِدُ ما أَحْكَمَتْ إبْرامَهُ ، فَجُعِلَتْ مَثَلاً لِمَنْ يُبْرِمُ العَهْدَ ويُقْسِمُ اليَمينَ ثُمَّ يَنْقُضُهُ ، فَحالُهُ كحالِ هذه الحَمْقاءِ فإيَّاكُمْ أَنْ تَفْعلوا ذلِكَ ، وإيَّاكُمْ أَنْ تَجْعَلوا أَيْمانَكُمْ وَسيلةً لِلغْدرِ والخِيانَةِ ، فتَمْكُرونَ بِمَنْ عاهَدْتُمْ أَوْ أَقْسَمْتُمْ لَهُمْ وَقَدْ أمِنوا جانِبَكُمْ بِسَبَبِ ما أَقْسَمْتُمْ بِهِ ، ولا تَنْقُضوا العُهودَ طَمَعاً في التَّحالُفِ مَعَ جَماعةٍ أَوْ دَوْلَةٍ أَكْثَرَ عَدَداً وأَقْوى مَكانَةً ، وإنَّ الوَفاءَ بالعَهْدِ نَوْعٌ مِنَ الابْتِلاءِ ولا يَنْبَغي الالْتِفاتُ إلى ما يَحْصُلُ لِلْمَرْءِ مِنْ صَوارِفَ عَنِ الوفاءِ بِهِ ، ومُغرياتٍ لِنَقْضِهِ ، وَلَوْ كانَ العَرْضُ مِنْ جَماعَةٍ أَكْثَرَ أَوْ أَقْوى تَدْعو لِلتَّحَوُّلِ إِلَيْهِمْ وتَرْكِ مَنَ سَبَقَ مُعاهَدَتُهُمْ ، وسَوْفَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ يَوْمَ القيامَةِ ما كُنْتُمْ تَخْتَلِفونَ فيهِ مِنْ أُمورِ العُهودِ والأَيْمانِ وغَيْرِها ، لِيُظْهِرَ مَنْ أَوْفى بِها ومَنْ نَقَضَها ويُجازي كُلاً حَسَبَ عَمَلِهِ .

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

أيْ : وَلَوْ شاءَ اللهُ لجَعَلَ النَّاسَ جَميعاً على مِلَّةٍ واحِدَةٍ مُسْلِمينَ مُلْتَزِمينَ بطاعَتِهِ ، ولَكِنِ اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ يَتْرُكَ لِلنَّاسِ حُرِّيَّةَ الاخْتيارِ ، فَمِنْهُمْ مَنِ اخْتارَ طَريقَ الضَّلالِ وسارَ فيهِ ، ومِنْهُمْ مَنِ اختارَ طَريقَ الهِدايَةِ والخَيْرِ والْتَزَمَهُ ، واللهُ تَعالى مُطَّلِعٌ على أَفْعالِ العِبادِ كُلِّهِمْ ، عالِمٌ بِمَنِ اخْتارَ الضَّلالَ وَمَنِ اخْتارَ الهِدايَةَ ، وسَيُحاسِبُهُمْ جَميعاً يَوْمَ القِيامَةِ على أعْمالِهِمْ ويَجْزيهِمْ بِما يَسْتَحِقّونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ العَدْلِ والإحْسانِ والقِيامِ بِحُقوقِ ذوي القُرْبَى .

٢ـ تَحْريمُ كُلِّ فِعْلٍ قَبيحٍ شَرْعاً وَعَقْلاً وَتَحْريمُ الاعْتِداءِ على الآخَرينَ وظُلْمِهِمْ .

٣ـ وُجوبُ الوَفاءِ بالعُهودِ والمَواثيقِ والأَيْمانِ .

٤ـ تَحْريمُ الغَدْرِ والمَكْرِ في اليَمينِ .

٥ـ تَحْريمُ نَقْضِ العَهْدِ للْحُصولِ على مَنافِعَ دُنْيويَّةٍ ، أَوْ مَصالِحَ شَخْصِيَّةٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلَةِ التالِيَةِ :

١ـ أَمَرَتِ الآيَةُ (٩٠) بِثلاثَةِ أَشْياءَ وَنَهَتْ عَن ثَلاثَةِ أَشْياءَ ، بَيِّنْها .

٢ـ ما المُرادُ بالعَهْدِ ؟ وما فائِدَةُ نِسْبَتِهِ إلى اللهِ تَعالى ؟

٣ـ ما المَثَلُ الَّذي ضَرَبَتْهُ الآيَةُ لِمَنْ يَنْقُضُ عَهْدَهُ ؟

٤ـ لماذا لَمْ يَجْعَلِ اللهُ تَعالى النَّاسَ جَميعاً مُسْلِمينَ ؟

٥ـ بيِّنْ معنى ما يَلي :

أـ يَعْظُكم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرونَ .

ب ـ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كفيلاً .

ج ـ تَتَّخِذونَ أَيْمانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ .

د ـ إنَّما يَبْلوكمُ اللهُ بِهِ .

تَعَلَّمْ :

إذا حَلَفَ المَرْءُ على شَيْءٍ وَرَأى غَيْرَهُ خَيْراً مِنْهُ فَعَلَ الَّذي هُوَ خَيْرٌ وكَفَّرَ عَنْ يَمينِهِ وَلاَ حَرَجَ عَلَيْهِ ، لِقَوْلِهِ ﷺ : « مَنْ حَلَفَ على يَمينٍ وَرَأى غَيْرَها خَيْراً مِنْها فَلْيأَتِ الَّذي هُوَ خَيْرٌ ثُمَّ لِيُكَفِّرْ عَنْ يَمينِهِ »[١] .

فائدةٌ :

كانَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العزيزِ رَحِمَهُ اللهُ يَخْتِمُ الخُطْبَةَ الثَّانِيَةَ يَوْمَ الجُمعَةِ بقولِهِ تَعالى : ﴿إنَّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذي القُرْبى ويَنْهى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ والبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرونَ﴾ وما يزالُ عَدَدٌ مِنَ الخُطَباءِ يَفْعلونَ ذَلِكَ إلى الآنَ ، وَذَلِكَ لِعَظيمِ مَكانَةِ هذهِ الآيةِ وشُمولِ مَعْناها مَعَ الإيجازِ والاخْتِصارِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً شَريفاً يُبيِّنُ فيهِ رَسولُ اللهِ ﷺ مَعْنى الإحْسانِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ كَيْفَ يَكونُ الحالِفُ قَدْ جَعَلَ اللهَ عَلَيْهِ كَفيلاً .

* * *

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان رقم الحديث ٣١١٥ .

الدَّرْسُ الثَّامِنَ عَشَرَ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الثّامِنَ عَشَرَ

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَنْفَدُ : يَفْنى .

فاسْتَعِذْ باللهِ : فاعْتَصِم باللهِ .

سُلْطانٌ : تَسلُّطٌ وَوِلايَةٌ .

يَتَوَلَّوْنَهُ : يَتَّخِذونَهُ وَلِيّاً مُطاعاً .

التَّفْسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَأكيدُ الأَمْرِ بالوَفاءِ بالعَهْدِ واليَمينِ ، وتَبْيينُ جَزاءِ العَمَلِ الصّالِحِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، والأَمْرُ بالاسْتِعاذَةِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ عِنْدَ تِلاوَةِ القُرْآنِ الكَريمِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ ﴾ .

هَذا نَهْيٌ صريحٌ عَنْ جَعْلِ الأَيْمانِ وَسيلةً لِلْمَكْرِ والخَديعةِ بَعْدَ أَنْ عَرَضَتْ آيةٌ سابِقَةٌ بِهِ ، وَذلِكَ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ ﴾ [النحل: ٩٢] ، أيْ : لا تَجْعَلوا الأَيْمانَ الّتي تُقْسِمونَها وَسيلةً إلى خَديعَةِ النّاسِ والمَكْرِ بِهِمْ لِتَحصُلوا عَلى بَعْضِ مَنافعِ الدُّنْيا الفانِيَةِ ، وإنَّ هَذا الفِعْلَ مِنْكُمْ يَقودُ إلى أن تَزِلَّ قَدَمُكُمْ عَنْ طريقِ الاسْتِقامَةِ بَعْدَ ثَباتِها عَلَيْهِ ، وتُعاقَبوا بالعِقابِ السَّيِّىءِ على ذَلِك ، لأنَّهُ يُؤَدّي إلى الصَّدِّ عَنْ سَبيلِ اللهِ ، وتَنْفيرِ النَّاسِ مِنْكُمْ وَمِنْ دينِكُمْ ، فإنَّ النّاسَ إذا رأَوْا المُؤْمِنَ لا يَفِي بِيَمينِهِ ، ويَغْدُرُ في تَعامُلِهِ مَعَهُمْ ويَخْدَعُهُمْ ، لا يَبْقى لَهُمْ وُثوقٌ بِهِ ولا بِدينِهِ ، فَيَسْتَحِقُّ على ذَلِكَ العذابَ السَّيِّىءَ في الدُّنْيا ، والعَذابَ العَظيمَ في الآخِرَةِ .

﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾

هَذا نَهْيٌ عَنْ نَقْضِ العُهودِ والمَواثيقِ بَعْدَ الأَمْرِ بالوَفاءِ بِعَهْدِ اللهِ في قَوْلِه تَعالى : ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ ﴾ [النحل: ٩١] لِتَأْكيدِ الأَمْرِ والاعْتِناءِ بِهِ ، فَلاَ تَسْتَبْدِلوا بِعَهْدِ اللهِ عَرَضاً قَليلاً مِنْ أَعْراضِ الدُّنْيا ، بِأَنْ تَنْقُضوا عُهودَكُمْ في مُقابِلِ مَنْفَعَةٍ دُنْيويَّةٍ مَهْما كانَتْ كَثيرةً فإنَّها قَليلةٌ إذا قِيسَتْ بِما عِنْدَ اللهِ تعالى مِنْ ثَوابٍ عَظيمٍ على الوفاءِ بالعَهْدِ . فإنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ والفِطْنَةِ فاخْتاروا الأَفْضَلَ والأَكْثَرَ والأَدْوَمَ .

﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ الكَريمَةِ تَرغيبٌ آخَرُ بما عِنْدَ اللهِ تَعالى ، فإنَّ ما تَمْلِكونهُ أيُّها البَشَرُ من مالِ الدُّنْيا وزينَتِها يَنْتَهي ويَفْنَى مَهْما طالَ بِهِ الأَمَدُ ، وما عِنْدَ اللهِ تَعالى مِنْ ثَوابٍ لِلْمُطيعينَ وأَجْرٍ عَظيمٍ باقٍ لا يَفْنى ولا يَنْقَطِعُ ، وَقَدْ أَعَدَّ اللهُ تَعالى جَزاءً كَريماً لِلْصّابِرينَ الّذينَ صَبَروا على طاعَتِهِ وأَوْفوا بِعُهودِهِمْ ، وَلَمْ يَشْتَروا بآياتِ اللهِ ثَمَناً قَليلاً ، وَهُوَ جَزاءٌ أَحْسَنُ وأَكْثَرُ مِنْ عَمَلِهِمْ .

وأَكَّدَ سُبْحانَهُ هَذِهِ البِشارَةَ بلامِ القَسَمِ ونُونِ التَوْكيدِ لِلتَّرْغيبِ في الصَّبْرِ والثَّباتِ على الحَقِّ .

﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ سُبْحانَهُ جَزاءَ الصَّابِرينَ ، بَيَّنَ أَمْراً أَعَمَّ مِنْهُ ، وُهو جَزاءُ العَمَلِ الصَّالِحِ لِيَحُثَّ عِبادَهُ على الإِكْثارِ مِنَ الأعمالِ الصَّالِحَةِ .

ومَعْنى الآيةِ : أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ يَعْمَلُ عَمَلاً صالِحاً ذَكَراً كانَ أَو أُنْثَى ، فإنَّ لَهُ في الدُّنْيا حَياةً طَيِّبَةً هَنيئَةً ، حَيْثُ يَنْعَم فيها بطاعَةِ اللهِ والرِّضَى بقضائِهِ ، ولَوْ كانَ مُعْسِراً فَهُوَ في راحةِ بالٍ واطْمِئانٍ ، ولَهُ في الآخِرَةِ أجْرٌ على أعْمالِهِ الحَسَنَةِ الطَّيِّبَةِ ، أمَّا أَعْمالُهُ السَّيِّئَةُ فَيَتَجاوزُ اللهُ عَنْها ، ولا يَكونُ العَمَلُ صالِحاً حتَّى يَكونَ على وَفْقِ ما شَرَعَهُ اللهُ في كِتابِهِ أوْ جاءَ بِهِ رَسولُهُ ﷺ في سُنَنِهِ ، والعَمَلُ لا يَكونُ صالِحاً ما لَمْ يَكُنْ صاحِبُهُ مُؤْمِناً وَلِذلِكَ قالَ اللهُ تَعالى : (وهُوَ مُؤْمِنٌ) ، والحياةُ الطَّيِّبَةُ الَّتي يَحياها مَنْ يَفْعَلُ الصَّالحاتِ مِنَ المُؤْمِنينَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ على أعمالِهِ الحَسَنَةِ في الآخِرَةِ أمرانِ مُؤَكَّدانِ ، وَقَدْ جاءَ التَأْكيدُ على كُلٍّ مِنْهُما باللّامِ والنُونِ المُشَدَّدَةِ (فَلَنُحْيِيَنَّهُ. . . . . وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ) لِيَطْمَئِنَّ المُؤْمِنُ إلى حُصولِهِ .

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾

وَجْهُ ارْتباطِ هذهِ الآيَةِ بما قَبْلَها ، أنَّهُ بَعْدَ تَبْيينِ ثَوابِ العَمَلِ الصَّالِحِ لَزِمَ تَبيينُ ما يَصونُ هَذا العَمَلَ ويَحْفَظُهُ ، وَهُوَ الاسْتِعاذَةُ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ ، أيْ : اللُّجوءُ إلى اللهِ تعالى والاسْتِعانَةُ بِهِ على كَيْدِ الشَّيْطانِ وَوَساوِسِهِ وَهُوَ المَرْجومُ المَطْرودُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، فإذا أرادَ المَرْءُ مُباشَرَةَ الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ وفي مُقَدِّمَتِها قِراءَةُ القُرْآنِ الكَريمِ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَلَفَّظَ بِعِبارَةِ (أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ) لِئَلَّا يُوَسْوِسَ الشَّيْطانُ لَهُ في أثناءِ القِراءَةِ فَيَصُدَّ القارِىءَ عَنْ تَدُّبرِ القُرْآنِ والعَمَلِ بِما فيهِ .

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

أيْ : إنَّ الشَيْطانَ لَيْسَ لَهُ تَسلّطٌ واسْتيلاءٌ على المُؤْمِنينَ بِرَبِّهِمْ ، المُتَوكِّلينَ عَلَيْهِ في جَميعِ أُمورِهِمْ ، فَهُمْ في حِصْنٍ حَصينٍ مِنَ الشَّيْطانِ لإيمانِهِمْ بِرَبِّهِم وَتَوكُّلِهِمْ عَلَيْهِ ، وإذا وَسْوَسَ لَهُمْ أَوْ حاوَلَ إغْواءَهُم سارَعوا إلى الاسْتِعاذَةِ باللهِ تَعالى مِنْهُ ، لِيَحْميَهُمْ ويَحْفَظَهُم مِنْ مَكْرِهِ وَكَيْدِهِ .

﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

أيْ إنَّ تَسَلُّطَ الشَيْطانِ وتأثيرَهُ مَحْصورٌ في أتْباعِهِ الّذين يَتَّخِذونَهُ وَليّاً يُطيعونَ أَمْرَهُ ويَتَّبعونَ وَساوِسَهُ ، ويُشركونَهَ مَعَ اللهِ تَعالى بِسَبَبِ اتِّباعِهِمْ وطاعَتِهِمْ لَهُ ، فَهُوَ الَّذي يُزَيِّنُ لَهُمُ الشِّرْكَ والسُّوءَ ، فَيَفْعَلونَ ما يَأْمُرُهُمْ بِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، مِنها :

١ـ حُرْمَةُ اتِّخاذِ القَسَمِ باللهِ طَريقاً إلى الغِشِّ والخَديعَةِ .

٢ـ أَجْرُ الآخِرَةِ ونَعيمُها أَفْضَلُ مِنَ الدُّنْيا وَمَتاعِها الزَّائِلِ .

٣ـ التَّرْغيبُ في الصَّبْرِ لِيَحْصُلَ الصَّابرُ على أَحْسَنِ الجَزاءِ وأَطْيَبِهُ .

٤ـ التَسْويَةُ بَيْنَ الذَّكَرِ والأُنْثى في الدَّعْوَةِ إلى العَمَلِ الصَّالحِ والإثابَةِ عَلَيْهِ .

٥ـ المُؤْمِنُ في الدُّنْيا يَحيا حياةً طَيِّبَةً وَلَوْ أحاطَتْ بِهِ المَصائِبُ ، لِعَمَلِهِ بِشرْعِ اللهِ وَرِضاهُ بِقَضائِهِ .

٦ـ مِنَ الأَدَبِ الَّذي على المُؤْمِنِ أَنْ يأْخُذَ نَفْسَهُ بِهِ الاسْتِعاذَةُ عِنْدَ البَدْءِ بِقِراءَةِ القُرآنِ الكَريمِ .

٧ـ تَبْشيرُ المُؤْمنينَ بِحِفْظِهِمْ مِنْ وَساوِسِ الشَّيْطانِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما المُرادُ باتِّخاذِ الأَيْمانِ دَخَلاً ؟ وما نتيجَةُ هذا الفِعْلِ القَبيحِ ؟

٢ـ كَيْفَ بَيَّنَتِ الآياتُ الكريمَةُ أَنَّ ما عِنْدَ اللهِ تَعالى أَفْضَلُ وأَحْسَنُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ آخَرَ ؟

٣ـ هَلْ يُقْبَلُ العَمَلُ الصَّالِحُ مِنْ غَيْرِ المُؤْمِنِ ؟ وما دَليلُ إجابَتِكَ ؟

٤ـ لماذا يُؤْمَرُ المُسْلِمُ بالاسْتِعاذَةِ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ عِنْدَ قِراءَةِ القُرْآنِ ؟

٥ـ مَنِ الَّذينَ لَيْسَ لِلشَّيْطانِ سُلْطانٌ عَلَيْهِمْ ؟ وَمَنْ الَّذينَ لَهُ سُلطانٌ عَلَيهِم ؟

٦ـ هَلْ لِحِفْظِ اللهِ تَعالى عَبْدَهُ مِنَ الشَّيْطانِ وَوَساوِسِهِ عَلاماتٌ أَوْ دَلائِلُ ؟ ما هِيَ ؟

نَشاطٌ :

ـ وَرَدَ في هذهِ الآيَةِ (٩٧) التَّسْوِيَةُ بَيْنَ الرِّجالِ والنِّساءِ في الأَجْرِ ، وَضِّحْ ذلِكَ واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ التَّاسِعَ عَشَرَ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ التَّاسِعَ عشَرَ

وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مُفْتَرٍ : مُخْتَلِقٌ كاذِبٌ .

رُوحُ القُدُسِ : جبريلُ عَلَيْهِ السّلامُ .

يُلْحِدونَ إِلَيْهِ : يَميلونَ إِليْهِ ويَنْسِبونَ إِليْهِ أَنَّه يُعلِّمُهُ .

أَعْجَمِيٌّ : غَيْرُ عَرَبيٍّ .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ رَدٌّ على طُعونِ المُشْرِكينَ في القُرْآنِ وتَشْكيكِهِمْ في مَصْدَرِهِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

أيْ : وإذا نَسَخْنا حُكْمَ آيةٍ بآيةٍ أُخْرى ، واللهُ أَعْلَمُ بما يُنْزِلُهُ مِنَ القُرْآنِ ، اتّخَذَ المُشْرِكونَ ذَلِكَ

ذَريعةً إلى الطَّعْنِ بالقُرْآنِ ، وَقالوا : لَوْ كانَ القُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللهِ لَمْ يَتَبَدَّلْ ، إنَّما هو اخْتِلاقٌ وكَذِبٌ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُ أَصْحابَهُ بِأَمْرٍ ثُمَّ يَنْهاهُمْ عَنْهُ ، ويَقولُ اليَوْمَ كَلاماً ويَقولُ غَيْرَهُ غَداً ، وَقائِلو هَذا الكَلامِ جَهَلَةٌ لا يَعْلَمونَ ما في النَّسْخِ وتَبْديلِ الأَحْكامِ مِنْ حِكْمَةٍ ومَصْلَحَةٍ للنَّاسِ .

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

أيْ قُلْ لَهُمْ أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ : إنَّ القُرْآنَ هُوَ كَلامُ اللهِ تَعالى ، نَزَلَ بهِ أمينُ الوَحْيِ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ عِنْدِ اللهِ بالصِّدْقِ والعَدْلِ ، لِيَزيدَ المُؤْمنينَ إيماناً وَيُثَبِّتَهُمْ عَلَيْهِ ، وَلِيَكُونَ هِدايَةً وبِشارَةً لِكُلِّ مَنْ أَسْلَمَ للهِ وَخَضَعَ لَهُ وانْقادَ لِحُكْمِهِ وأَطاعَ أَمْرَهُ .

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ كانَ في مَكَّةَ غُلامٌ نَصْرانيٌّ مِنَ الرُّوم ، وكانَ بائِعاً يَبيعُ عِنْدَ الصَّفا ، ورُبَّما جَلَسَ إليْهِ رَسولُ اللهِ ﷺ أحياناً ، فَقالَ المُشْرِكونَ : واللهِ ما يُعَلِّمُ مُحَمَّداً ﷺ كَثيراً مِمّا يَأْتي بِهِ إلاّ هذا الغُلامُ ، فأَنْزَلَ اللهُ تَعالى هذه الآيةَ [1] .

وَقَدْ فَضَحَ اللهُ مَقالَةَ المُشْرِكينَ هذهِ ، وَكَشَفَ زَيْفَها ، وجاءَ بِحُجَّةٍ دامِغَةٍ تَدُلُّ على بُطْلانِ ما جاءوا بهِ ، فَهذا الرَّجُلُ الَّذي نَسَبوا إليْهِ القُرْآنَ غَيْرُ عَرَبيٍّ ؛ لا يُفْصِحُ في كَلامِهِ ، وهذا القُرْآنُ مُنَزَّلٌ بِلُغَةٍ عَربيَّةٍ في غايَةِ الفَصاحَةِ وأَعْلى دَرَجاتِ البَلاغَةِ ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ لِذَلكَ الرَّجُلِ الأَعْجَميِّ أَنْ يُعَلِّمَ النَّبِيَّ ﷺ الكلامَ الفَصيحَ الَّذي أَعْجَزَكُمْ وَلَمْ تَتَمَكَّنوا مِنَ الإِتْيانِ بِمِثْلِهِ وأَنْتُمْ أَهْلُ الفَصاحَةِ ؟

وَهذِهِ المَقالَةُ مِنَ المُشْرِكينَ غايَةٌ في الافْتِراءِ ، وَهِيَ ظاهِرَةُ البُطْلانِ ، فَلَوْ أَنَّ هَذا الرَّجُلَ الأَعْجَمِيَّ كانَ يَعْلَمُ هذا الكَلامَ البَليغَ الفَصيحَ ، فَلِماذا يُعَلِّمُهُ لِغَيْرِهِ ويَرْضَى بِنِسْبَتِهِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ مِنْهُ ؟ وَهُوَ أَوْلى بِهِ لأَنَّهُ كلامُهُ ، وَلِمَ أَخَّرَ إِظْهارَهُ كُلَّ هذا الوَقْتِ ؟ ولِمَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْ فُصَحاءِ مَكَّةَ وبُلَغائِهِمْ وشُعَرائِهِمْ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ مَعَ تَحدِّيهِ لَهُمْ بذلكَ ؟ ألا ساءَ ما يَفْتَرونَ وَبِئْسَ ما يَصْنَعونَ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾

أيْ إنَّ المُعْرِضينَ عَنْ آياتِ اللهِ والمُكَذِّبينَ بها الَّذينَ يَزْعمُونَ أَنَّها مِنْ عِنْدِ بَشَرٍ ، أوْ أَنَّه أساطيرُ الأَوَّلينَ ، أَوْ أَنَّها افْتِراءٌ ، لا يَهْديهِمُ اللهُ بِسَبَبِ زَيْغِهِمْ وإِعْراضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ ، ولَهُمْ في الآخِرَةِ عذابٌ أليمٌ ، جَزاءَ كُفْرِهِمْ بآياتِ اللهِ تَعالى .

---

(١) رواه الطبراني في جامع البيان ، ٤/ ١٧٨ ، والحاكم في المستدرك ، ٢/ ٣٥٧ .

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

أيْ لا يُقْدِمُ على الكَذِبِ والافْتِراءِ إلا مَنْ كانَ كافِراً غَيْرَ مُؤْمِنٍ باللهِ ، لأَنَّهُ لا يَخافُ العِقابَ الَّذي يَرْدَعُهُ عَنِ الكَذِبِ ، وأُولئِكَ الكافِرونَ بِرَبِّهِمْ وآياتِهِ هُمُ الكاذِبونَ دُونَ غَيْرِهِمْ ، ولا كَذِبَ أَعْظَمَ مِنَ التَّكْذيبِ بآياتِ اللهِ ، والزَّعْمِ بافْتِرائِها أَوْ بأَنَّها مِنْ تَعليمِ بَشَرٍ .

فهذِهِ الآيةُ رَدٌّ على المُشْرِكينَ في قَوْلِهِمْ (إنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ) وقَوْلِهِمْ (إنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) وفي سائِرِ افْتِراءاتِهِمُ الباطِلَةِ ، وما كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ وَهْوَ الصَّادِقُ الأَمينُ عِنْدَهُمْ ، ولَكِنَّهُمْ هُمُ المُفْتَرونَ دُونَ غَيْرِهِمْ فالكَذِبُ مَحصورٌ فيهِمْ لِشِرْكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ ، وُهمُ المَوْصوفونَ بالكَذِبِ المُسْتَحِقّونَ لِعذابِ اللهِ على جُرْأَتِهِمْ في افْتِراءِ الكَذِبِ على اللهِ تَعالى وعلى رَسولِهِ ﷺ وعلى كِتابِهِ وآياتِهِ ، وهذا وَعيدٌ عَظيمٌ لَهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الشَّرْعُ جاءَ بالحُجَجِ الَّتي تُخاطِبُ العُقولَ وتُلْزِمُها بالبُرْهانِ .

٢ـ كَثيرٌ مِنْ حُجَجِ الكَفَرَةِ تُرَّهاتٌ وأَباطيلُ لا تَقْوى على الوُقوفِ أَمامَ الحَقِّ والحَقيقَةِ .

٣ـ كانَ القُرْآنُ ولا يزالُ أَقْوى سِلاحٍ في مُواجَهَةِ الخُصومِ الأَلِدَّاءِ مِنَ الكَفَرَةِ والمُشْرِكينَ .

٤ـ حِرْمانُ المُكَذِّبينَ بآياتِ اللهِ مِنَ الهِدايَةِ لِعَدَمِ اسْتِحقاقِهِمْ لَها .

٥ـ الجُرْأَةُ على الكَذِبِ مِنْ خِصالِ الكافِرِينَ الَّذينَ لا يُؤْمِنونَ بِعقابٍ على كَذِبِهِمْ ، أَمَّا المُؤْمِنُ فلا يَكْذِبُ لأنهُ يَعْلَمُ بِوُجودِ عِقابٍ شَديدٍ لِلكاذِبينَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما المُرادُ بِتَبديلِ الآياتِ ؟ وما مَوْقِفُ المُشْرِكينَ مِنْهُ ؟

٢ـ بماذا رَدَّتِ الآيَةُ على زَعْمِ المُشْرِكينَ وقَوْلِهِمْ (إنّما أَنْتَ مُفْتَرٍ) ؟

٣ـ اذْكُرْ سَبَبَ نُزولِ قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ولَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقولونَ إنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ ؟

٤ـ بماذا رَدَّتِ الآيَةُ على زَعْمِ المُشْرِكينَ تَعَلُّمَ رَسُولِ اللهِ ﷺ القُرْآنَ مِنْ أَحَدِ النّاسِ ؟

٥ـ مَنِ الّذين يَجْرؤون على الكَذِبِ ويفْتَرونَهُ ؟

٦ـ لماذا يَكْذِبُ الكافِرُ ولاَ يَكْذِبُ المُؤْمِنُ ؟

٧ـ بيِّن مَعنى ما يَلِي :

أ ـ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمونَ .

ب ـ لِسانُ الّذي يُلْحِدونَ إليْهِ أَعْجَمِيٌّ .

ج ـ إنَّ الّذين لا يُؤْمِنونَ بآياتِ اللهِ لا يَهْدِيهِمُ اللهُ .

تَعَلَّمْ :

قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ الصِّدْقَ يَهْدي إلى البرِّ وإنَّ البرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتَّى يكونَ صِدِّيقا ، وإنَّ الكَذِبَ يَهْدي إلى الفُجورِ ، وإنَّ الفُجور يَهْدي إلى النَّارِ ، وإنَّ الرَّجُل لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً »[١] .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ الّتي تَحدَّثَتْ عَنِ النَّسْخِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الصِّفاتِ الّتي كان يُوصَفُ بِها رَسُولُ اللهِ ﷺ .

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب ، رقم الحديث ٥٦٢٩ .

الدَّرْسُ العِشْرونَ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ العِشْرونَ

مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

اسْتَحَبّوا : اخْتارُوا .

طَبَعَ : خَتَمَ .

لا جَرَمَ : حَقَّ وَثَبَتَ .

فُتِنوا : عُذِّبوا .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَبْيينُ حُكْمِ مَنْ كَفَرَ مُكْرهاً كانَ أَوْ مُخْتاراً راضِياً ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ : عَذَّبَ المُشْرِكونَ عَمَّارَ بَنَ ياسرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِشِدَّةٍ وَعُنْفٍ ، حَتَّى وافَقَهُم في

بَعْضِ ما أرادوا ، فَشَكا ذَلِكَ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ .

فقالَ لَهُ : كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ ؟ قالَ : مُطْمَئِنّاً بالإيمانِ ، قالَ النبيُّ ﷺ : فإنْ عادوا فعُدْ[1] .

ومَعنى الآية : مَنْ كَفَرَ باللهِ تَعالى بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِهِ ، ما لَمْ يَكُنْ مُكْرَهاً على الكُفْرِ فَتَلَفَّظَ بِكَلِمَةِ الكُفْرِ دُونَ اعْتِقادٍ لَهُ ، وكانَ قَلْبُهُ مُوقِناً بالإيمانِ مُطْمَئِنّاً بِهِ ، فَهَذا لا حَرَجَ عَلَيْهِ ، ولَكِنْ مَنْ طابَتْ نَفْسُهُ بالكُفْرِ وانْشَرَحَ صَدْرُهُ لَهُ كُفْرُهُ عَنْ رِضىً ، فَهؤلاءِ مُسْتَحِقّونَ لِغَضَبِ اللهِ تَعالى عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ في الآخِرَةِ عذابٌ عَظيمٌ .

فالآيةُ تُبَيِّنُ رَفْعَ الحَرَجِ عَمَّنْ نَطَقَ بالكُفْرِ لِيَنْجُوَ مِنْ عذابِ عَدوِّهِ ، وهُوَ مُتَمَسِّكٌ بإيمانِهِ ثابتٌ عَلَيْهِ ، لَمْ يَتَغَيَّرْ ما في قَلْبِهِ مِنْ إيمانٍ ويَقينٍ ، فَقَدْ يَتَعَرَّضُ المُؤْمِنُ لإيذاءٍ عَظيمٍ لا يَحْتَمِلُهُ فَيضطرُّ إلى التَلَفُّظِ بكلامِ الكُفْرِ لِيوقِفَ تَعْذيبَهُ ، وَقَدْ حَدَثَ مِثْلُ هذا مَعَ صَحابَةِ رَسولِ اللهِ ﷺ وغيْرِهِمْ ، وإنِ احْتَمَلَ المُسْلِمُ التَّعْذيبَ وَصَبَرَ عَلَيْهِ فَهُوَ أَوْلى مِنَ التَلَفُّظِ بِكلامِ الكُفْرِ .

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ .

ذَلِكَ الغَضَبُ مِنَ اللهِ والعَذابُ العَظيمُ على الَّذينَ ارْتَدّوا بَعْدَ إيمانِهِمْ كُفّاراً عَنْ رِضىً ورَغْبَةٍ ، لأَنَّهُمْ قَدَّموا حُبَّ الدُّنْيا على الآخِرَةِ وتَعَلَّقوا بزينَةِ الدُّنْيا ونعيمِها الزَّائِلِ ، وأحَبّوهُ واخْتاروهُ وفَضَّلوهُ على الآخِرَةِ ، واللهُ تَعالى لا يَهْدي أَمْثالَ هَؤلاءِ الَّذينَ قَدَّموا الكُفْرَ على الإيمانِ واسْتَحبوا الدُّنْيا على الآخِرَةِ .

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ .

أُولئكَ الَّذينَ شَرَحوا صُدورَهُمْ لِلْكُفْرِ وَطابَتْ بِهِ نُفوسُهُمْ ، وارْتَدّوا إليْهِ بَعْدَ الإيمان ، خَتَمَ اللهُ على قُلوبِهِمْ وسَمْعِهِمْ وأبْصارِهِمْ فَلَمْ تَعُدْ قُلوبُهُمْ تَقَبَّلُ الحَقَّ ، وَلَمْ تَعُدْ آذانُهُمْ تَنْتَفِعُ بما تَسْمَعُ مِنَ الخَيْرِ ، وامْتَنَعَتْ أَعْيُنُهُم عَنْ رُؤْيَةِ الحَقِّ الظَّاهِرِ ، وأُولئِكَ هُمُ الغافِلونَ غَفْلَةً تامَّةً عَنْ كُلِّ خَيْرٍ ، وَعَنْ عواقِبِ كُفْرِهِمْ وارْتِدادِهِمْ .

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

حَقّاً أنَّ هؤلاءِ المُرْتَدّينَ عَنِ الإسْلامِ سَيكونونَ يَوْمَ القيامَةِ مِنَ الخاسرينَ ، لأنَّهُمْ ضَيَّعوا أعْمارَهُمْ في غَيْرِ ما يَنْفَعُهُم فَخَسِروا دُنْياهُمْ وآخِرَتَهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ .

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان ١٤/ ١٨٢ .

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠﴾ .

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ سُبْحانَهُ حُكْمَ المُرْتَدِّينَ عَنْ رِضىً وانْشراحِ صَدْرٍ وَمَصيرَهُمْ ، بيَّنَ حُكْمَ الَّذينَ فُتِنوا في دِينِهِمْ واضْطرّوا للتلفُّظِ بكلامِ الكُفرِ مُكْرَهينَ عَلَيْهِ ، ولَمْ يَسْتَمِرّوا على الكُفرِ بَلْ هاجَروا مِنْ ديارِهِمْ وتَركوا مَساكِنَهُمْ وغادروها إلى ديارٍ يَأْمَنونَ فيها على دِينِهِمْ ، ويَبْتَعِدونَ عَنْ أَذى المُشْركينَ ، وبَعْدَ هِجْرَتِهِمْ جاهدوا في سَبيلِ اللهِ وَصبروا على مَشاقِّ الجِهادِ والهِجْرَةِ ، فإنَّ اللهَ غَفورٌ لِذُنوبِهِمْ رَحيمٌ بِهِمْ لا يُؤاخِذُهُمْ على ما أُكْرِهوا عَلَيْهِ ، وَسَيَجْزيهِمْ على صَبْرِهِمْ وَجِهادِهِمْ أَحْسَنَ الجَزاءِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ لا يُؤاخَذُ الإنْسانُ بِقَوْلِ ما أُكْرِهَ عَلَيْهِ أَوْ فِعْلِهِ إذا كانَ غَيْرَ راضٍ عَنْهُ .

٢ـ الرِّدَّةُ عَنِ الدِّينِ مِنْ أَخْطَرِ الأُمورِ وأَسْوَأِ الأَعْمالِ ، وفاعِلُها مُسْتَحِقٌّ لِغَضَبِ اللهِ تَعالى وَعِقابِهِ العَظيمِ .

٣ـ اخْتيارُ الإنْسانِ لِطَريقِ الضَّلالِ والكُفْرِ يُؤَدِّي إلى أَنْ يَخْتِمَ اللهُ على قَلْبِهِ ، وَيَصْرِفَهُ عَنْ مَعْرِفَةِ الحَقِّ .

٤ـ الصَّبْرُ على الأَذى في سَبيلِ اللهِ تَعالى والثَّباتُ على الدِّينِ دَليلُ الإيمانِ وَحُبِّ اللهِ تَعالى .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما سَبَبُ نُزولِ قَوْلِهِ تَعالى ﴿مَنْ كَفَرَ باللهِ . . . .﴾ ؟

٢ـ وَصَفَتِ الآياتُ الكَريمَةُ مَنْ كَفَرَ باللهِ بَعْدَ إيمانِهِ بِصِفاتٍ عِدّةٍ ، اذْكُرْها .

٣ـ بَيِّنْ مَعنى ما يَلي :

أـ إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بالإيمانِ .

ب ـ أُولَئِكَ الّذينَ طَبَعَ اللهُ على قُلوبِهِمْ وسَمْعِهِمْ وأَبْصارِهِمْ .

ج ـ لا جَرَمَ أَنَّهُم في الآخِرَةِ هُمُ الخاسِرونَ .

د ـ إنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغفورٌ رَحيمٌ .

٤ـ أجِبْ بِـ(نَعَمْ) أَوْ (لا) على كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أـ مَنْ كَفَرَ باللهِ مُكْرَهاً وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بالإيمانِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ .

ب ـ مَنْ كَفَرَ باللهِ راضِياً مُخْتاراً ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فلا يَقْبَلُ اللهُ تَوْبَتَهُ .

ج ـ مَنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صَدْرَهُ فَعَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ تَعالى .

د ـ يَغْفِرُ اللهُ تَعالى لِمَنْ تابَ إليْهِ وأطاعَ أَوامِرَهُ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما دارَ بَيْنَ بَعْضِ الصَّحابَةِ ومُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ ، ونَتيجَةَ ذَلك .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الحادي والعِشْرونَ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الحادي والعِشْرونَ

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **تُوَفَّى** : تُعطى جَزاءَ عَمَلِها وافِياً .
- **رَغَداً** : طَيِّباً واسِعاً .
- **لِباسَ الجُوعِ والخَوْفِ** : جَعَلَ الخَوْفَ والجُوعَ لِمُلازَمَتِهِما لَهُمْ كَأَنَّهما ثَوْبانِ يَلْبِسانِهِما .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ بَيانُ جانِبٍ مِنْ حالِ النَّاسِ يَوْمَ القيامةِ ، ومَثَلاً لِسوءِ عاقِبَةِ الَّذينَ يَجْحَدونَ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِمْ ، والأَمْرُ بالأَكْلِ مِنَ الطَّيِّبِ مِنْ الرِّزْقِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ .

هذا تَذْكيرٌ بِبَعْضِ أَحْداثِ يَوْمِ القيامَةِ ، حيْثُ تأْتي كُلُّ نَفْسٍ تَسْعى في خلاصِها وتُدافِعُ عَنْ

ذاتِها ، لا يَهُمُّها أَحَدٌ آخَرُ ، ولا تُفكِّرُ إلاَّ في شَأْنِ نَفْسِها ونَجاتِها ، وفي ذَلِكَ اليَومِ تُعْطى كُلُّ نَفْسٍ جَزاءَ عَمَلِها وافِياً تامّاً لا نَقْصَ فيهِ ، ولا يَنْفَعُها مُجادَلَتُها عَنْ ذاتِها واعْتِذارُها عَنْ فِعْلِها ، ولا يُظْلَمُ أَحَدٌ في ذَلِكَ اليَومِ .

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ .

هَذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لأَهْلِ مَكَّةَ ومَنْ كانَ عَلى شاكِلَتِهِمْ ، ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً بِقَوْمٍ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ فَأَبْطَرَتْهُمُ النِّعَمُ وَكَفَروا فَبَدَّلَ اللهُ نِعْمَتَهُم إلى نِقْمَةٍ ، وكانَ أَهْلُ تِلْكَ القَرْيَةِ يَعيشونَ في أَمْنٍ واسْتِقْرارٍ وتأْتِيهِمُ الأَرْزاقُ طَيِّبَةً كَثيرةً مِنْ جَميعِ الجِهاتِ ، فَكَفَروا بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَشْكُروهُ عَلى ما آتاهُمْ مِنْ خَيْرٍ ، فَسَلَبَهُمُ اللهُ نِعْمَةَ الأَمْنِ والاطْمِئْنانِ وأذاقَهُمْ آلامَ الجُوعِ والخَوْفِ والحِرْمانِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ ومَعاصيهِمْ .

وحالُ أَهْلِ هذهِ القَرْيَةِ شَبيهٌ جِدّاً بحالِ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَقَدْ كانوا في نِعْمَةٍ وأَمْنٍ ، تُجْبَى إِلَيْهِمْ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ ، فَأَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بإرْسالِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَكَفروا بِهِ وبالَغوا في إيذائِهِ فَعَذَّبَهُمُ اللهُ بالجوعِ والقَحْطِ ، ثُمَّ بالهَزيمةِ والانْدِحارِ على أيْدي المُسْلِمينَ .

وَفي قَوْلِهِ تَعالى : ﴿فأذاقَها اللهُ لِباسَ الجوعِ والخَوْفِ﴾ اسْتِعارَتانِ ، الأُولى : اسْتِعارَةُ لَفْظِ اللّباسِ لِما أصابَهُمْ مِنْ جُوعٍ وخَوْفٍ حَتَّى لازَمَهُمْ وأَحاطَ بِهِمْ كَما يُحيطُ اللِّباسُ بلابِسِهِ .

الثانيةُ : اسْتِعادةُ لَفْظِ الإذاقَةِ لِما أَحَسُّوهُ مِنْ أَلَمٍ وأَذىً إحْساساً مَكيناً قَوِيّاً ، كَتَمَكُّنِ تَذَوّقِ الطَّعامِ في فَمِ ذائِقِهِ .

والغايةُ مِنْ هذا المَثَلِ : وُجوبُ الإيمانِ باللهِ ورُسُلِهِ ، وشُكْرِهِ على نِعَمِهِ الكَثيرَةِ وتَجَنُّبِ سَبيلِ الجُحودِ والكُفْرانِ .

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

ولَقَدْ جاءَ أَهلَ تِلْكَ القَرْيَةِ رسولٌ مِنْ جِنْسِهِمْ يَعْرِفونَهُ ويَعْرِفُ طِباعَهُمْ وأَحْوالَهُمْ وَلُغَتَهُمْ ، فَبَلَّغَهُمْ ما أُرْسِلَ بِهِ إِلَيْهِمْ ، وأَمَرَهُمْ بِطاعَةِ اللهِ وشُكْرِ نِعَمِهِ فَلَمْ يَسْتَجيبوا لَهُ وَكَذَّبوهُ ، فاسْتَحَقّوا أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ عَذابُ اللهِ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ لأَنْفُسِهِمْ .

وفي عَطْفِ تَكْذيبِهِمْ على مَجيءِ الرّسولِ إِلَيْهِمْ بالفاءِ إشارةٌ إلى مُسارَعَتِهِمْ بِتَكْذيبِهِ دُونَ تَدبُّرٍ لِدَعْوَتِهِ ولا تَأَمُّلٍ فيها .

وَفي تَبْيينِ أَنَّهُ (مِنْهُم) تَأْكيدٌ لِحالِ جَميعِ الرُّسُلِ ، فَقَد كانوا مِنْ أَقْوامِهِمْ لِيَكونوا أَقْدَرَ على تَبْليغِ الرِّسالَةِ إِلَيْهِمْ ، وأدْعَى لأَنْ يُسْتَجابَ لَهُمْ ويُتَّبَعوا فيما يَدْعونَ إِلَيْهِ .

﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ .

الفاءُ لِلتّفريع على ما تَقَدَّمَ مِنَ المَثَلِ ، أيْ : لَقَدْ ظَهَرَ لَكُمْ حالُ الّذينَ كفروا بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ وَكَذَّبوا رَسولَهُ وما حلَّ بِهِمْ بِسَببِ ذَلِكَ ، فاحْذَروا أَنْ تَسيروا على طَريقَتِهِمْ وَكُلوا مِنَ الحَلالِ الطَّيِّبِ الَّذي رَزَقَكُمْ اللهُ إيّاهُ ، واشْكُروا اللهَ على نِعَمِهِ التّي أَنْعَمَ بِها عَلَيْكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُخْلِصينَ في عِبادَتِكُمْ لَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ انْشِغالُ كُلِّ إنسانٍ بِنَفْسِهِ يَوْمَ القِيامَةِ .

٢ـ الأَمْنُ والطُّمَأْنينَةُ نِعْمتانِ عَظيمتانِ تَحْتاجانِ إلى شُكْرِ المُنْعِمِ بِهِما سُبْحانَهُ .

٣ـ مِنْ أَنْواعِ العُقوبَةِ اسْتِبْدالُ النِّعْمَةِ بِنَقيضِها ، فَأَهْلُ هٰذهِ القَرْيَةِ عُوقِبوا بالجُوعِ بَعْدَ الشِّبَعِ والخَوْفِ بَعْدَ الأَمْنِ .

٤ـ تَكذيبُ الرَّسولِ يُؤَدّي إلى العَذابِ والبَلاءِ .

٥ـ ضَرْبُ اللهِ الأَمْثالَ في كِتابِهِ لِلتَّوْضيحِ والبَيانِ .

٦ـ تَحَرّي الحَلالِ الطَّيِّبِ مِنَ الطَّعامِ ، والابْتِعادُ عَنِ الحَرامِ الخَبيثِ .

٧ـ وُجوبُ شُكْرِ النِّعْمَةِ وأداءِ حَقِّ اللهِ تَعالى فيها ، فإنَّ الشُّكْرَ يَزيدُ النِّعَمَ وَيُبارِكُ فِيها .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما سَبَبُ مُجادَلَةِ النَّفْسِ عَنْ ذاتِها فَقَطْ يَوْمَ القِيامَةِ ؟

٢ـ وَضِّح المَثَلَ الَّذي ضَرَبَتْهُ الآيَةُ الكَريمَةُ لِمَنْ يَكْفُرُ بِنِعَمِ اللهِ ويَجْحَدُها .

٣ـ كَيْفَ كانَ حالُ أَهْلِ تِلْكَ القَرْيَةِ قَبْلَ التَّكْذيبِ وَكَيْفَ أَصْبَحَ بَعْدَهُ ؟

٤ـ ما دَلالَةُ الفاءِ في قَوْلِهِ تَعالى (فَكُلوا . . .) ؟

٥ـ بَيِّنْ مَعنى ما يَلِي :

أـ وَتُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ .

ب ـ وَهُمْ لا يُظْلَمونَ .

ج ـ يَأْتيها رِزْقُها رَغداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ .

د ـ فَأَذاقَها اللهُ لِباسَ الجُوعِ والخَوْفِ .

هـ ـ فَأَخَذَهُمُ العَذابُ وَهُمْ ظالِمونَ .

و ـ فَكُلوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ حلالاً طَيِّباً .

ز ـ واشْكُروا نِعْمَةَ اللهِ إنْ كُنْتُم إياهُ تَعْبدونَ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ماذا يَقولُ رَسولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ القِيامةِ ، حينَ يَقولُ كُلُّ إنْسانٍ : اللهمَّ نَفْسِي نَفْسِي .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ سُورةَ قُريشٍ الّتي تُبَيِّنُ بَعْضَ نِعَمِ اللهِ على أَهْلِ مَكَّةَ .

٣ـ اذْكُرْ آيةً تتحدَّثُ عَنْ أَحَدِ الرُّسُلِ وَتُبيِّنُ أَنَّهُ مِنْ جِنْسِ قَوْمِهِ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّاني والعِشْرونَ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الثّاني والعِشْرونَ

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ : ما ذُكِرَ اسْمُ غَيْرِ اللهِ عِنْدَ ذَبْحِه .

غَيْرَ باغٍ : غَيْرَ طالِبٍ لِلْمُحَرَّمِ مَعَ وُجودِ غَيْرِهِ .

ولا عادٍ : ولا مُتَجاوِزٍ ما يَدْفَعُ جوعَهُ .

بِجَهالَةٍ : بِجَهْلٍ وسَفاهَةٍ .

التَّفْسيرُ :

في هَذِهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَبيينُ ما يَحْرُمُ مِنَ الطَّعامِ ، والنَّهيُ عَنِ القَوْلِ على اللهِ تَعالى بِغَيْرِ عِلْمٍ ، والإِخْبارُ بِأَنَّ ما حُرِّمَ على بَني إِسْرائيلَ كانَ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ ، وأَنَّ رَحْمَةَ اللهِ تَسَعُ كُلَّ تائِبٍ مُقْبِلٍ على رَبِّهِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ أَمَرَ سُبْحانَهُ عِبادَهُ بالأَكْلِ مِنَ الحلالِ الطَّيِّبِ ، نَهاهُمْ عَنْ أَكْلِ المُحَرَّم ، وَذَكَرتِ الآيَةُ مِنَ المُحرَّماتِ : المَيْتَةَ أيْ ما ماتَ مِنَ الحَيوانِ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِهِ ، والدَّمَ المَسْفوحَ الَّذي يَسيلُ مِنَ الحيوانِ وَهُوَ حَيٌّ أو بَعْدَ ذَبْحِهِ ، ولَحْمَ الخنزيرِ ودمَهُ وشَحْمَهُ ، وخَصَّ لَحْمَهُ بالذِّكْرِ لِلدَّلالَةِ على حُرْمَتِهِ مُطْلَقاً ذُكِّيَ أَوْ لَمْ يُذَكَّ ، وما ذُكِرَ اسْمُ غَيْرِ اللهِ عَلَيْهِ عِنْدَ ذَبْحِهِ ، سواءً كانَ اسْمَ صَنَمٍ مِنْ الأصْنامِ أَوْ شَخْصٍ مُعَظَّمٍ مِنَ النَّاسِ .

وتَحْريمُ هذهِ الأَصْنافِ لِما فيها مِنْ أمراضٍ وَقَذارةٍ ، وبِخاصَّةِ الخِنْزيرُ ؛ فَقَدْ ثَبَتَ احْتِواءُ جِسْمِهِ على طُفَيْلِيّاتٍ مُتَعَدِّدةٍ ضارّةٍ بالإنْسانِ ، وأنَّهُ عُرْضَةٌ للإصابةِ بِعَدَدٍ مِنَ الأمْراضِ تَنْتَقِلُ إلى آكِلِهِ وَتُؤْذيهِ ، أمَّا تَحْريمُ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ ، فلأَنَّ فيهِ تَعْظيمَ غَيْرِ اللهِ ، ولا يَجوزُ لِمَنْ يُعَظِّمُ اللهُ أَنْ يَأْكُلَ مِمَّا ذُبِحَ لِتَعْظيمِ غيرِ اللهِ ، سَدّاً لِبابِ الشِّرْكِ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أَنَّ مَنْ دَعَتْهُ الضَّرورَةُ الشَّديدةُ إلى الأَكْلِ مِنْ أَحَدِ هذهِ الأَصْنافِ مُضْطَرّاً لِذَلِكَ ، وَهُوَ غَيْرُ طالِبٍ لِهذا الطَّعامِ المُحَرَّمِ مَعَ وُجودِ غَيْرِهِ ، ولا مُتَجاوِزٍ بِهِ قَدْرَ الضَّرورَةِ ، وهُوَ ما يَسُدُّ جُوعَهُ ويَحْفَظُ حَياتَهُ ، فإنَّ اللهَ تَعالى واسِعُ المَغْفِرَةِ لَهُ ، عظيمُ الرَّحْمَةِ بِهِ .

﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

هذا نَهْيٌ لِلنّاسِ عَنِ التجرّؤِ على التَّحْليلِ والتَّحْريمِ دُونَ بَيِّنَةٍ ولا دَليلٍ ، فَيكونُ التَّحْليلُ أَوِ التَّحْريمُ في هذه الحالِ كَذِباً وافْتِراءً على اللهِ ، فلا يَجوزُ لأَحَدٍ أَنْ يُحَلِّلَ أَوْ يُحَرِّمَ مِنْ غَيْرِ دَليلٍ ولا حُجَّةٍ ، ومَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كانَ مِنَ الكاذِبينَ على اللهِ تَعالى ، ومَنْ كَذَبَ على اللهِ فإنَّهُ لا يَفوزُ بِخَيْرٍ مُطْلَقاً .

﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾

أَيْ إنَّ ما يَحْصُلُ عَلَيْهِ هؤلاءِ مِنْ مُتْعَةٍ وَسُرورٍ بِسَبَبِ تَحْليلِهِمُ الحرامَ أَوْ تَحْريمِهِمُ الحَلالَ ، هُوَ مَتاعٌ قَليلٌ ، لأنهُ سُرعانَ ما يَزولُ مَعَ انْقِضاءِ آجالِهِمْ وَرَحيلِهِمْ عَنِ الحَياةِ الدُّنْيا ، ولَهُمْ بِسَبَبِ هذا الفِعْلِ القَبيحِ عذابٌ مُؤْلِمٌ في الآخِرَةِ .

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ سُبْحانَهُ ما حَرَّمَهُ على هَذِهِ الأُمَّةِ ، بَيَّنَ لَنا أَنَّهُ حَرَّمَ على اليَهودِ دُونَ غَيْرِهِمْ ما سَبَقَ

تَبْيِينَهُ في سورَةِ الأنْعامِ في قَوْلِهِ تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٦] وَلَمْ يَكُنْ هذا التَّحْريمُ ظُلْماً مِنَ اللهِ لَهُمْ بَلْ كانَ عُقوبَةً لَهُمْ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ لأَنْفُسِهِم بِتَعدِّي حُدودِ اللهِ ومُعاداةِ رُسُلِهِ وتَكْذيبِهِمْ .

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٩) ﴾ .

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ في هذِه الآيَةِ عَنْ سَعَةِ رَحْمَتِهِ ، وأَنَّهُ يَقْبَلُ تَوْبَةَ عبادِهِ الَّذينَ عَملوا الأَعْمالَ السَّيِّئَةَ بِدافِعِ الجَهالَةِ والسَّفاهَةِ والطَّيْشِ ، ثُمَّ تابوا بَعْدَ ذَلِكَ تَوْبَةً صادِقَةً عَنْ تِلْكَ الأعْمالِ السَّيِّئَةِ ، وأَصْلَحوا سُلوكَهُمْ وأَعْمالَهُمْ .

فإنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ التَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ كَثيرُ المَغْفِرَةِ لِعِبادِهِ التَّائِبينَ ، عَظيمُ الرَّحْمَةِ لَهُمْ .

وَفي تَقْييدِ عَمَلِ السوءِ كَوْنِهِ (بِجَهالَةٍ) إشارَةٌ إلى أَنْ فِعْلَ المَعْصيَةِ لا يَكونُ إلاَّ بِجَهالَةٍ وَغَفْلَةٍ مِنَ العاصي ، فَكُلُّ مَنْ عَصى اللهَ فَهُو جاهِلٌ حَتَّى يَتْرُكَ مَعْصِيَتَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الحِكْمَةُ العَظيمَةُ في تَحْريمِ ما يَضُرُّ ويُسْتَقْذَرُ .

٢ـ مِنْ يُسْرِ الإسْلامِ وَسَماحَتِهِ عَدَمُ مُؤاخَذَةِ المُضطرِّ إذا أَكَلَ مِنْ شَيْءٍ مُحَرَّمٍ بِقَدْرِ الضَّرورَةِ .

٣ـ التَّحليلُ والتَّحْريمُ حَقُّ اللهِ وَحْدَهُ ؛ لا يَجوزُ بِغيرِ دَليلٍ ولا بُرْهانٍ ، فَهُوَ كَذِبٌ وافْتِراءٌ على اللهِ .

٤ـ الظُّلْمُ يُؤَدِّي إلى الحِرْمانِ مِنَ النِّعَمِ وَفُقْدانِها .

٥ـ سَعَةُ رَحْمَةِ اللهِ وَقَبولُهُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبادِهِ التّائِبينَ بِصِدْقٍ وإقْبالٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الأَصْنافُ الّتي حَرَّمَها اللهُ عَلَيْنا ؟ وما الحِكْمَةُ مِنْ تَحْريمِها ؟

٢ـ مَتَى يَجوزُ لِلْمُسْلمِ أَنْ يَتَناولَ شَيئاً مِنَ المُحَرَّماتِ ؟ وما حدودُ ذَلِكَ الأكلِ ؟

٣ـ هَلْ يَجوزُ للإنْسانِ أَنْ يَحْكُمْ على شَيءٍ بالتَّحْريمِ أَوْ بالتَّحْليلِ دُونَ بَيِّنَةٍ ؟

٤ـ ما عُقوبَةُ الَّذينَ يَفْتَرونَ على اللهِ الكَذِبَ ؟

٥ـ ما الأُمورُ الَّتي حَرَّمَها اللهُ تَعالى على اليَهودِ ؟

٦ـ لماذا حَرَّمَ اللهُ تَعالى على اليَهودِ أُموراً زائِدةً عَنْ غَيْرِهِمْ ؟

٧ـ ما شُروطُ قَبولِ التَّوْبَةِ ؟

٨ـ ما فائِدَةَ تَقييدِ عَمَلِ السُّوءِ أَنَّهُ (بِجَهالَةٍ) ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً شَريفاً يُبَيِّنُ أَنَّ الضَّرورةَ تُبيحُ المَحْظورَ .

٢ـ اكْتُبُ في دَفْتَرِكَ الآيةَ ١٤٦ من سُورَةِ الأنْعامِ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَتينِ من سورةِ النِّساءِ اللَّتَيْنِ تُبيِّنانِ لِمَنْ تَكونُ التَوْبَةُ ولِمَنْ لا تَكونُ .

٤ـ ارْجِعْ إلى بَعْضِ الكُتُبِ العِلميَّةِ الَّتي عُنِيَتْ بِأُمورِ الحَياةِ ، واكْتُبْ مَوضوعاً تُبَيِّنُ فِيه أَضْرارَ كُلٍّ مِما يَلِي ، وضَعْهُ في مَجَلةِ المَدْرَسَةِ :

١ـ المَيْتَةُ .

٢ـ الدَّمُ .

٣ـ لَحْمُ الخِنزيرِ .

* * *

الدَّرسُ الثَّالِثُ والعِشرونَ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ والعِشْرونَ

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

كانَ أُمةً	: المُرادُ بالأُمَّةِ في هَذِهِ الآيةِ الإمامُ الجامعُ لِخصالِ الخَيْرِ .
قانتاً للهِ	: مُطيعاً لَهُ .
حَنيفاً	: مائِلاً عَنِ الباطِلِ إلى الدِّينِ الحَقِّ .
اجْتَباهُ	: اصْطَفاهُ واخْتارَهُ .
مِلَّةَ	: دِينَ .
جُعِلَ السَّبْتُ	: فُرِضَ تَعْظيمُهُ .
ضيقٍ	: حَرَجٍ .



التَّفْسيرُ :

في هَذِهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَبْيينُ مَنْزِلَةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ عِنْدَ رَبِّهِ ، والأَمْرُ باتِّباعِ مِلَّتِهِ ، وتَبْيينُ مَنْهَجِ الدَّعْوَةِ إلى الإسْلامِ والصَّبْرِ على ذَلِكَ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

وَصفَ اللهُ تَعالى في هذِهِ الآياتِ خَليلَهُ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِعِدَّةِ صِفاتٍ . أَوَّلُها : أَنَّهُ كانَ أُمَّةً ؛ أيْ إماماً جامِعاً لِخصالِ الخَيْرِ والأَعْمالِ الصَّالِحَةِ ، فَكانَ بِمَنْزِلَةِ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ . وثانيها : أَنَّهُ كانَ قانِتاً للهِ مُطيعاً لَهُ خاضِعاً لأَوامِرِه ، وثالِثُها : أَنَّهُ كانَ حَنيفاً مائِلاً عَنِ الباطِلِ والشِّرْكِ إلى دينِ الحَقِّ ، ورابِعُها : أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ المُشْرِكينَ باللهِ تَعالى ، بَلْ كانَ مِنَ المُوَحِّدينَ المُخْلِصينَ في عِبادَتِهِمْ للهِ تَعالى .

﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾

وخامِسُها : أَنَّهُ كانَ شاكِراً لِنِعَمِ اللهِ تَعالى عَلَيْهِ مُعْتَرِفاً بِفَضْلِ اللهِ عَلَيْهِ ، وسادِسُها : أَنَّ اللهَ تَعالى اصْطَفاهُ واخْتارَهُ لِلنُّبُوَّةِ والخُلَّةِ فَهُوَ نَبِيُّ اللهِ تَعالى وَخَليلُهُ ، وسابِعُها : أَنَّ اللهَ تَعالى هَداهُ إلى صِراطِهِ المُسْتَقيمِ ووَفَّقَهُ لِعبادَتِه والدَّعوةِ إلى دينِه الحَقِّ .

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

وثامِنُها : أَنَّ اللهَ أعطاهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيا كُلَّ ما يَحْتاجُ إليْهِ ، وحَبَّبَهُ إلى جَميعِ الخَلْقِ فَكُلُّهُمْ يُباهِي بالانْتِسابِ إليْهِ ، وتاسِعُها : أَنَّهُ في الآخِرَةِ مِنْ أَصْحابِ الدَّرجاتِ الرَّفيعةِ ، وفي أَعْلى مَقاماتِ الصَّالحينَ .

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

بَعْدَ ذِكْرِ هذه الصِّفاتِ لإبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَمَرَ اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ أَنْ يَتَّبِعَ مِلَّةَ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ودينَهُ ، وهُو تَوْحيدُ اللهِ تَعالى والبُعْدُ عَنِ الشِّرْكِ ، فإِنَّ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ كانَ حنيفاً مائِلاً عَنِ الأَدْيانِ الباطِلَةِ إلى الدِّينِ الحَقِّ ، وما كان إبْراهيمُ مِنَ المُشْرِكينَ ، وفي هذا رَدٌّ على اليَهودِ و لنَّصارَى والمُشرِكينَ الَّذينَ يَزْعُمونَ أَنَّهُمْ على مِلَّةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ .

أيْ إنَّ تَعْظيمَ يَوْمِ السَّبْتِ وتَرْكَ العَمَلِ فيهِ لَمْ يُفْرَضْ إلاَّ عَلى اليَهودِ فَقَطْ ، وفي هذا رَدٌّ عَلَيْهِمْ في زَعْمِهِمْ أَنَّ تَعْظيمَ السَّبْتِ مِنْ مِلَّةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وفي الآيَةِ تَأكيدٌ أَنَّ اليَهودَ اخْتَلَفوا في يَوْمِ السَّبْتِ بَعْدَ أَنْ فُرِضَ عَلَيْهِم تَعْظيمُهُ وعَدمُ العَمَلِ فيهِ ، فَمِنْهُمْ مِنْ أَطاعَ والتَزَمَ الأَمْرَ ، ومِنْهُمْ مَنْ عَصى وتَعدّى حُرْمَةَ السَّبْتِ ، وإنَّ اللهَ تَعالى سَيَحْكُمُ بَيْنَ هؤلاءِ المُخْتَلِفينَ في يَوْمِ السَّبْتِ يومَ القِيامَةِ بِحُكْمِهِ العَدْلِ ، فَيُجازي كُلاًّ مِنْهُمْ بِما يَسْتَحِقُّ على عَمَلِهِ .

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ .

يَأْمُرُ اللهُ تَعالى رَسولَهُ مُحمّداً ﷺ ومَنْ يَسيرُ على هَدْيِهِ أَنْ يَدْعُوَ إلى دينِ اللهِ وَشَريعَتِهِ بالقَوْلِ المُحْكَمِ المُوَضِّحِ لِلْحَقِّ والمُبْطِلِ لِلْباطِلِ ، الواقعِ في النَّفْسِ أَجْمَلَ مَوْقِعٍ ، وأَنْ يَسْتَعْمِلَ في دَعْوَتِهِ المَوْعِظَةَ الحَسَنَةَ والكَلِمَةَ المُؤَثِّرَةَ في القُلوبِ ، الدّاعِيَةَ إلى طاعَةِ اللهِ تَعالى ، وأَنْ يُجادِلَ المَدْعوّينَ بِأَحْسَنِ الطُّرُقِ وأَلْيَنِها ، وأَنْ يَتَلَطَّفَ في خِطابِهِمْ ويُقابِلَ إساءَتَهُمْ بالإحْسانِ والصَّفْحِ ، ويَقْصُدُ مِنْ مُجادَلَتِهِمُ الوُصولَ إلى الحَقِّ .

وقَدْ جَمَعَتْ هذِهِ الآيَةُ أساليبَ الدَّعْوَةِ المُتَنَوِّعَةِ ، ودَرَجاتِها المُتَعَدِّدَةِ ، المُراعِيَةِ لِظُروفِ النّاسِ وأَحْوالِهِمْ ، فَمِنْهُم مَنْ تَكْفيهِ الدَّعْوَةُ بالحِكْمَةِ فَيَسْتَجيبُ ، ومِنْهُمْ مَنْ يَحتاجُ إلى المَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعانِدُ ويُجادِلُ فَيَحْتاجُ إلى الجِدالِ بالَّتي هِيَ أَحْسَنُ ، فَعَلى الدّاعي إلى اللهِ تَعالى أَنْ يَتَعرَّفَ على طِباعِ النّاسِ ، وأَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ يُخاطِبُ كُلاًّ مِنْهُمْ لِتَكُونَ دَعْوَتُهُ لَهُمْ ناجِحَةً مُثْمِرَةً .

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدينَ﴾ أيْ إنَّ اللهَ تَعالى وَحْدَهُ هُوَ العالِمُ بِمَنْ سَيَسْتَمِرُّ على ضَلالِهِ مِنَ المَدْعوّينَ ، وهُوَ العالِمُ بِمَنْ سَيَسْتَجيبُ ويَهْتَدي ، فما على الرَّسولِ إلاَّ البَلاغُ والتَبيينُ ، وأداءُ الرِّسالَةِ على الصُّورَةِ المُثْلَى ، واللهُ تَعالى يَتولّى حِسابَ الخَلْقِ ومُجازاتِهِم على أعْمالِهِم .

هذهِ هِيَ الصُّورَةُ المُثْلى في الدَّعْوَةِ والخِطابِ ، ولكِنْ إنْ حَصَلَ الاعْتِداءُ عَلَيْكُمْ مِنَ الآخَرينَ وجَبَ إزالَتُهُ :

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

أيْ إنْ وَقَعَ عَلَيْكُمُ اعْتِداءٌ فَعاقِبوا مَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ بِمِثْلِ ما فَعَلَ بِكُمْ دونَ أنْ تَزيدوا في عِقابِهِ

شَيْئاً ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ على أذى عَدوِّكُمْ فإنَّ الصَبْرَ أَفْضَلُ وأَعْظَمُ أَجْراً عِنْدَ اللهِ ، وأَدْعى لأنْ يَكُفَّ المُعْتَدي اعْتِداءَهُ ويُقْلِعَ عَنْهُ .

﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

هذا أمْرٌ بالصَّبْرِ بَعْدَ التَّرْغيبِ فيهِ ، يَأْمُرُ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ أَنْ يَصْبرَ على أَذى قَوْمِهِ ، وعلى ما يُلاقيهِ مِنْهُم . ﴿وما صَبْرُكَ إلاّ باللهِ﴾ أيْ إنَّ اللهَ تَعالى سَيُعينُكَ على الصَّبْرِ ويُثَبِّتُكَ عَلَيْهِ ، فلا تَحْزَنْ على إعْراضِ المُشْرِكينَ عَنْ دَعْوَتِكَ ، ولا تَكُنْ في غَمٍّ وَضيقِ صَدْرٍ مِنْ مَكْرِهِمْ وكَيْدِهِمْ لَكَ ، ومُحاوَلَتِهِمُ الإساءَةَ إليْكَ ، فإنَّه ناصِرُكَ عَلَيْهِم .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

إنَّ اللهَ مَعَ عِبادِهِ الَّذينَ اتَّقَوْهُ وراقَبوهُ في أَعْمالِهِمْ ، وأَحْسَنوا في أدائِها على الوَجْهِ الأَكْمَلِ ، فَمَنْ لازَمَ تَقوى اللهِ تَعالى والإحْسانَ في العَمَلِ نالَ مَعيَّةَ اللهِ بالنَّصْرِ والتَأْييدِ والحِفْظِ ، جَعَلَنا اللهُ تَعالى مِنْهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ عَظيمُ مَكانَةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَعُلوِّ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللهِ .

٢ـ الأَمْرُ باتِّباعِ مِلَّةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، والاقْتِداءُ بِهِ في دينِهِ وَهُوَ الإسْلامُ .

٣ـ تَكْذيبُ اليَهودِ والنَّصارى والمُشْرِكينَ في زَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ على مِلَّةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

٤ـ الدَّعْوَةُ إلى اللهِ تَعالى بالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ دُونَ قَسْوَةٍ ولا عُنْفٍ ولا غِلْظَةٍ .

٥ـ على الدَّاعِي مُراعاةُ حالِ المَدْعُوّينَ ، وَمُخاطَبَتُهُمْ بما يُناسِبُهُمْ وَيُؤَثِّرُ فيهِم .

٦ـ الرَّدُّ على الاعْتِداءِ بِمِثْلِهِ دونَ زِيادةٍ ولا تَعَدٍّ ، والعَفْوُ والصَّفْحُ أَفْضَلُ وأَعْظَمُ أَجْراً .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بِماذا وَصَفَ اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟ رَتِّبْ هذهِ الصِّفاتِ كَما جاءَتْ في آياتِ الدَّرْسِ .

٢ـ لِماذا أَمَرَ اللهُ تَعالى نَبيهُ مُحَمَّداً ﷺ باتِّباعِ مِلَّةِ إِبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٣ـ ما سَبَبُ اخْتِلافِ اليَهودِ في السَّبْتِ ؟ وما جَزاؤُهُمْ عِندَ اللهِ ؟

٤ـ اذْكُرْ أَساليبَ الدَّعْوَةِ الَّتي أَمَرَتْ بها الآيةُ الكَريمَةُ ، وَلِماذا تَعَدَّدَتْ هذِهِ الأَساليبُ ؟

٥ـ ما المَوْقِفُ المَطْلوبُ في حالِ التَّعَرُّضِ للاعْتِداءِ ؟

٦ـ ما الأُمورُ الَّتي أَمَرَ اللهُ تَعالى بِها رَسولَهُ ﷺ في الآيَةِ (١٢٧) ؟

تَعَلَّمْ :

١ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « نَحْنُ الآخِرونَ السَّابِقونَ يَوْمَ القِيامَةِ ، بَيْدَ أَنَّهُم أُوتوا الكِتابَ مِنْ قَبْلِنا ، ثُمَّ هَذا يَوْمُهُمُ الَّذي فُرِضَ عَلَيْهِم فاخْتَلَفوا فيهِ ، فَهَدانا اللهُ ، فالنَّاسُ لَنا فيهِ تَبَعٌ : اليَهودُ غداً والنَّصارى بَعْدَ غَدٍ »[١] .

٢ـ رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا مَثَّلَ المُشْرِكونَ يَوْمَ أُحُدٍ بِحَمْزَةَ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، غَضِبَ رَسولُ اللهِ ﷺ وَتَأَثَّرَ لِتَمْثيلِهِمْ بِعَمِّهِ فَقالَ : « لأُمَثِّلَنَّ بِسَبعينَ مِنْهُمْ مَكانَكَ ، فَلَمَّا تَذَكَّرَ ﷺ الآيَةَ ﴿وإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ ولَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ للصَّابِرينَ﴾ قال : نَصْبِرُ ولا نُعاقِبُ »[٢] .

نَشاطٌ :

١ـ اُكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الَّتي تُبيِّنُ أَنَّ إِبْراهيمَ لَمْ يَكُنْ يَهودياً ولا نَصْرانياً بَل كانَ حَنيفاً مُسْلِماً .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حادِثَةً تَدُلُّ على تَحايُلِ بَني إِسْرائِيلَ وانْتِهاكِهِمْ لِحُرْمَةِ السَّبْتِ .

* * *

(١) رواه البخاري في كتاب الجمعة ، باب فرض الجمعة ، رقم الحديث ٨٣٦ . ورواه مسلم في كتاب الجمعة باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، برقم ١٩٧٥ ـ ١٩٧٩ .

(٢) رواه الحاكم ٢/ ٣٥٩ ، وجعل عدد من المفسرين الحادثة سبباً لنزول الآية ويرُدُّهُ أن الآية مكية .

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والعِشْرونَ

سورةُ الإسْراءِ - القِسْمُ الأوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورَةُ الإسْراءِ سُورةٌ مَكِّيَّةٌ ، سُمِّيَتْ بهذا الاسْمِ لافْتِتاحِها بِذِكْرِ حادِثَةِ إسْراءِ النَّبيِّ ﷺ مِنَ المَسْجِدِ الحَرامِ إلى المَسْجِدِ الأَقْصى .

وَتُسَمّى سُورَةَ بَني إسْرائِيلَ ، لِحَديثِها عَنْهُمْ وَعَنْ إفْسادِهِمْ في الأَرْضِ في آياتِها الأُولى . وَمِنْ مُوضوعاتِ السُّورَةِ الأُخْرى : لَفْتُ النَّظَرِ إلى ما في الكَوْنِ مِنْ آياتٍ دالَّةٍ على عَظَمَةِ الخالِقِ وَقُدْرَتِهِ ، والأَمْرُ بِعَدَدٍ مِنَ الأَخْلاقِ والآدابِ الكريمةِ ، والرَّدُّ على ضَلالاتِ المُشْرِكينَ وَطَلَبِهِمْ مُعْجِزاتٍ وَخوارِقَ مِنْ بابِ التَّعنُّتِ ، وإقامَةُ الأَدِلَّةِ على البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ ، وتَبْيينُ مُعْجِزَةِ القُرْآنِ الخالِدَةِ ، وتَنْزِيهُ اللهِ تَعالى عَنِ الوَلَدِ والشَّريكِ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

سُبْحانَ	تنزَّهَ وَتَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ ما لا يَليقُ بِجلالِهِ .
أَسْرى	سارَ بِهِ لَيْلاً .
مِنْ آياتِنا	: مِنْ عَجائِبِ قُدْرَتِنا .
وَكيلا	ناصِراً وَمُعيناً .
وقَضيْنا	حَكَمْنا وأَعْلَمْنا .
ولَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كبيراً	تَسْتَكْبِرونَ وتَظْلِمونَ ظُلْماً كبيراً .
أُولي بَأْسٍ	أَصْحابِ قُوَّةٍ وَشِدَّةٍ في الحَرْبِ .
فَجاسوا خِلالَ الدِّيارِ	فَطافوا في دِيارِكُم يَطْلُبونَكُمْ لِلْقضاءِ عَلَيْكُمْ .
الكَرَّةَ	الغَلَبَةَ .
أَكْثَرَ نَفيراً	أَكْثَرَ عدَداً .

التَّفْسيرُ :

تَبْدَأُ سُورَةُ الإِسْراءِ بِتَنْزيهِ اللهِ تَعالى ، وَذِكْرِ المُعْجِزَةِ العُظْمَى وَهِيَ الإِسْراءُ بالنَّبِيِّ ﷺ إلى المَسْجِدِ الأَقْصى ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ .

افْتَتَحَ اللهُ هذهِ السّورَةَ الكَريمَةَ بِتَقْديسِ نَفْسِهِ لِواقِعَةٍ عَظيمَةٍ خَصَّ بِها رَسولَهُ مُحمَّداً ﷺ وهِيَ إِسْراؤُهُ بِهِ في جُزْءٍ مِنْ لَيْلَةٍ مِنَ المَسْجِدِ الحرامِ في مَكَّةَ المُكرمَةِ إلى المَسْجِدِ الأَقْصى في بَيْتِ المَقْدِسِ .

وسُمِّيَ المَسْجِدُ الحَرامُ بِذلكَ لِحُرْمَتِهِ وَعَدمِ جَوازِ القِتالِ أَوِ الصَّيْدِ فيهِ ، وسُمِّيَ المَسْجِدُ الأَقْصى بِذَلكَ لأَنَّهُ كانَ أَبْعَدَ المساجِدِ عَنِ المَسْجِدِ الحَرام وَلَمْ يَكُنْ بَعْدَهُ أَيُّ مَسْجِدٍ آخَرَ ، وهو المَسْجِدُ الَّذي بارَكَ اللهُ تَعالى فيهِ وبارَكَ حَوْلَهُ ، ومِن خَصائِصِ وَميزاتِ المَسْجِدِ الأَقْصى أَنَّهُ مَقَرُّ الأَنْبياءِ وَمَهْبِطُ الملائِكَةِ ومَسرى رَسولِ اللهِ ﷺ ومِعْراجُهُ إلى السّماواتِ العُلَى ، وأُولَى القِبْلَتَيْنِ وثالثُ

المساجدِ المُقدَّسَةِ الَّتي لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلى غَيْرِها ، والصَّلاةُ فيهِ بِخَمْسِ مائةٍ صلاةٍ فيما سِواهُ إلاَّ المَسْجدُ الحرامُ والمَسْجدُ النبويُّ ، وهُوَ في الأَرْضِ الخِصْبَةِ الطَّيِّبَةِ ذاتِ الأَشْجارِ والثِّمارِ والمياهِ .

والحِكْمَةُ مِنَ الإِسْراءِ إكْرامُ النَّبيِّ ﷺ بهذهِ الرِّحْلَةِ العَجيبةِ الخارِقَةِ ، لِيَرى بِأُمِّ عَيْنَيهِ دلائِلَ عَظَمَةِ اللهِ تَعالى وقُدْرَتِهِ ، ومِنْ ذَلِكَ : ذَهابُهُ ورُجوعُهُ في جُزْءٍ مِنَ اللَّيلِ ، ومُشاهَدَةُ بَيْتِ المَقْدِسِ ، والالْتِقاءُ بالأَنْبياءِ الكِرامِ وَصَلاتُهُ بِهِمْ إماماً ، وعُروجُهُ إلى السَّماواتِ العُلى ورُؤْيَتُهُ ما فيها مِنْ عَظيمِ الآياتِ الباهِراتِ ، إنَّ اللهَ تعالى هُوَ السَّميعُ لأَقْوالِ نَبيِّهِ ﷺ وسائِرِ خَلْقِهِ ، البَصيرُ بأَحْوالِهِمْ وأحْوالِهِ .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمَةِ ذِكْرُ الإسْراءِ دُونَ المِعْراجِ الَّذي ذُكِرَ في سُورَةِ النَّجْمِ ، وتَدلُّ الآيَةُ دَلالَةً واضِحَةً على أنَّ الإِسْراءَ بالجَسَدِ والرُّوحِ مَعاً ، واسْتِخْدامُ لَفْظِ (بِعَبْدِهِ) للإشارَةِ إلى شَرَفِ صِفَةِ العبُوديَّةِ ، وتَنْكيرُ (لَيْلاً) للتَّقْليلِ أيْ أن الإِسْراءَ حَصَلَ في جُزْءٍ مِنْ لَيْلَةٍ مَعَ أنَّهُ يَسْتَغْرِقُ مِنَ النَّاسِ مُدَّةَ شَهْرٍ تَقْريباً في ذَلِكَ الوَقْتِ ، وَجَعْلُ الإِسْراءِ مِنْ مَسْجِدٍ إلى مَسْجِدٍ لِبيانِ أَهَمِيَّةِ المَساجِدِ في الإِسْلامِ ولِلرَّبْطِ بَيْنَ هَذينِ المَسْجدينِ المُقَدَّسَيْنِ بِرباطٍ وَثيقٍ يُؤَكِّدُ الصِّلَةَ القَوِيَّةَ بَيْنَهُما ، ولِلدَّلالَةِ على أَنَّ انْتِقالَ قِيادةِ البَشَرِيَّةِ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ إلى مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ وَمِنْ فُروعِ إسْحاقَ إلى فُروعِ إسْماعيلَ عَلَيْهِما السَّلامُ .

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تَعالى إكْرامَهُ لِرَسولِهِ ﷺ بالإِسْراءِ ، ذَكَرَ إكْرامَ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ بأَنْ آتاهُ التَّوْراةَ فَقالَ : ﴿وآتَينا مُوسى الكِتابَ﴾ أيْ وأَنْزَلنا على مُوسى التَّوْراةَ لِتَكونَ كِتابَ الهِدايَةِ لِبَني إسْرائيلَ إلى الخَيْرِ والصَّلاحِ ، والدَّلالةِ على تَوْحيدِ اللهِ وعَدَمِ الإِشْراكِ بِهِ وعَدمِ طَلَبِ النَّصْرِ والإعانَةِ إلاَّ مِنْهُ .

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾

نَصبَ (ذُرِّيَّةَ) على النِّداءِ ، أي : يا أبناءَ مَنْ أَنْجينا مَعَ نُوحٍ عليهِ السَّلامُ في السَّفينةِ اشْكُروا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ ، وعلى آبائِكُمْ بِهذهِ النِّعْمَةِ الجَليلَةِ ، فإنَّ نُوحاً كانَ عَبْداً كَثيرَ الشُّكْرِ للهِ فاقْتَدوا بِهِ ، ولا تَكْفروا نِعَمَ اللهِ ولا تَجْحَدوها .

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾

أيْ : وأَعْلَمْنا بَني إسْرائيلَ في كِتابِهِمُ التَّوْراةِ : أَنَّهُم سَيُفْسِدونَ في الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَيَسْتَكْبِرونَ على النَّاسِ بِغيرِ حقٍّ ويَظْلِمونَهُم ظُلْماً كَبيراً .

وَفي إِخْبارِهِمْ بِما سَيَحْصُلُ قَبْلَ وُقوعِهِ تَأْكيدٌ لِعِلْمِ اللهِ تَعالى المُحيطِ بِكُلِّ شَيءٍ ، وأَنَّ عِقابَهُ

سُبْحانَهُ لَهُمْ في مُقابِلِ أفْعالِهِمُ السَّيِّئَةِ وإفْسادِهِمْ ، وأنَّ على عُقَلائِهِمْ أنْ يَحْذَروا مِنَ الوُقوعِ في ذَلِكَ الإفْسادِ ، ويُنَبِّهوا غَيْرَهُمْ لِذَلِكَ .

والمُرادُ بالأَرْضِ في الآيةِ : الأَرْضُ كُلُّها ، لا أَرْضُ فِلَسْطينَ أو بلادَ الشَّامِ فَقَطْ ، لِعمومِ إفْساد بَني إسْرائيلَ في الأَرْضِ .

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾ .

أي فَإذا جاءَ وَقْتُ إفْسادِهِمُ الأَوَّلِ عاقَبَهُمُ اللهُ بِأَنْ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ رِجالاً مُنْتَسِبينَ إلَيْهِ سُبْحانَهُ ، لِطاعَتِهِمْ أَمْرَنا ، ذَوي بَأْسٍ وَقُوَّةٍ فَطافوا في مَساكِنِكُمْ يَقْتُلونَ رِجالَكُمْ ويَسْلِبونَ أَمْوالَكُمْ ، وكانَ حُصولُ هَذا العِقابِ لَكُمْ وَعْداً مُحَقَّقاً مِنَ اللهِ ، واللهُ تَعالى لا يُخْلِفُ وَعْدَهُ .

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾

ثُمَّ أَعَدْنا لَكُمُ النَّصْرَ على هَؤلاءِ العِبادِ الَّذينَ أَرْسَلْناهُمْ عَلَيْكُمْ ، وأَعْطَيْناكُمُ الأَمْوالَ الكَثيرةَ والذُّرِّيَةِ الوافِرَةِ وجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ عَدداً وقُوَّةً مِنْ أعدائِكُمْ .

وَلِلْمُفَسرينَ أَقْوالٌ مُتَعَدِّدَةٌ في المُرادِ بالإفْسادَيْنِ المَذْكورَيْنِ في هذهِ الآياتِ ، وَهَلْ وَقَعا قَديماً قَبْلَ الإسْلامِ أَوْ بَعْدَهُ ، أَمْ أَنَّهما لَمْ يَقَعا بَعْدُ ، أَوْ وَقَعَ أَحَدُهُما وَنَحْنُ بانْتِظارِ ثانيهِما ، وكَلُّ هذهِ الأَقْوالُ مُحْتَمَلَةٌ ، والعِبْرَةُ مِنَ الآياتِ الإخْبارُ عن شُمولِ عِلْمِ اللهِ تَعالى ، وإحاطَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وحُصولِ ما قَضى بِهِ كَما أَرادَهُ ، وتَحْذيرُ هذهِ الأُمَّةِ مِنْ بَني إسْرائِيلَ وإفْسادِهِمْ ، وأَنَّ ما يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَكَثْرَةِ أَنْصارٍ لَنْ يَدومُ ، وأَنَّهُ إلى زَوالٍ على أَيْدي عِبادِ اللهِ الصَّالِحينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الإسْراءُ بالرَّسولِ ﷺ واقِعَةٌ عَظيمَةٌ وآيَةٌ باهِرَةٌ فِيها كَثيرٌ مِنَ العِبَرِ والعِظاتِ .

٢ـ الإسْراءُ بالرَّسولِ ﷺ والعُروجُ بِهِ إلى السَّمواتِ العُلا فيهِ رِفْعَةٌ وإعْلاءٌ لِمكانَةِ الرَّسولِ ﷺ وتَشريفٌ لَهُ .

٣ـ حُصولُ البَرَكَةِ لِلْمَسْجِدِ الأَقْصى وما حَوْلَهُ ، وَهِيَ بَرَكَةٌ مَعنويَّةٌ ومادِيَّةٌ .

٤ـ انْتِهاءُ دَورِ بَني إسْرائيلَ في حَمْلِ أَمانَةِ السَّماءِ ، وانْتِقالُ هذهِ الأَمانَةِ إلى مُحمَّدٍ ﷺ وأُمَّتِهِ .

٥ـ دَعْوَةُ الخَلْقِ إلى شُكْرِ اللهِ تَعالى على نِعَمِهِ .

٦ـ أصْبَحَ بنو إسْرائِيلَ بَعْدَ حَمْلِهِمُ الأَمانَةَ مُفْسِدينَ في الأَرْضِ ، والإِخْبارُ عن إفْسادَيْنِ عَظيمَيْنِ سَيقعانِ مِنْهُم في مُسْتَقْبَلِ الزَّمانِ ، ولكِنَّ هَذيْنِ الإفْسادَيْنِ سَيَعْقُبُهُما تَدْميرٌ لَهُمْ .

٧ـ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ تَعالى مُداوَلَةُ الأَيّامِ بَيْنَ عِبادِهِ ورَفْعُ أُمَّةٍ وخَفْضُ أُخْرى .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما سَبَبُ تَسْمِيَةِ سُورَةِ الإِسْراءِ بِهذا الاسْمِ ؟ وَلِماذا سُمِّيَتْ سُورَةَ بَني إسْرائِيلَ ؟

٢ـ ما الحِكْمَةُ مِنَ افْتِتاحِ السُّورَةِ بِتَسْبيحِ اللهِ تَعالى ؟

٣ـ ما المُرادُ بِمُبارَكَةِ ما حَوْلَ المَسْجِدِ الأَقْصَى ؟

٤ـ ما وَجْهُ الانْتِقالِ مِنَ الحَديثِ عَنِ الإِسْراءِ إلى الحَديثِ عَنْ إيتاءِ مُوسى التَّوْراةَ ؟

٥ـ ما الفائِدَةُ مِنْ إخْبارِ بَني إسْرائيلَ عَنْ إفْسادِهِمْ في الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ قَبْلَ حُصولِهِما ؟

٦ـ ما العُقوبَةُ الّتي عاقَبَ اللهُ تَعالى بِها بَني إسْرائِيلَ بَعْدَ إفْسادِهِمُ الأَوَّلِ ؟

٧ـ على ماذا تَدُلُّ إعادَةُ الكَرَّةِ لِبَني إسْرائيلَ بَعْدَ عِقابِهِمْ على الإفْسادِ الأَوَّلِ ؟

٨ـ بَيِّنْ مَعْنى كُلٍّ مِمّا يَلي :

أ ـ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا .

ب ـ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ .

ج ـ فَجاسوا خِلالَ الدِّيارِ .

د ـ ألاَّ تَتَّخِذوا مِنْ دُوني وَكيلاً .

هـ ـ عِباداً لنا أُولي بَأْسٍ شَديدٍ .

و ـ وأَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وبَنينَ وَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفيراً .



عَنْ أَبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ قالَ : قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلاّ إلى ثَلاَثَةِ مَساجِدَ : مَسْجدِ الحَرام ، ومَسْجِدِ الأقْصى ، وَمَسْجدي »[1] .

وَعَنْ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قُلْتُ : يا رَسولَ اللهِ : أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ في الأَرْضِ أَوّلاً ؟ قالَ : المَسْجِدُ الحَرامُ ، قُلْتُ ثُمَّ أَيّ ؟ قالَ : المَسْجِدُ الأَقْصى ، قُلْتُ : كَمْ كانَ بَيْنَهُما ؟ قالَ : أربعونَ سَنَةً[2] .

* * *

(١) رواه البخاري في كتاب التطوع ، باب مسجد بيت المقدس ، رقم الحديث ١١٣٩ ، ورواه مسلم في كتاب الحج ، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد ، رقم الحديث ٣٣٧٠ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب رقم ١١ ، رقم الحديث ٣١٨٦ ، ورواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب رقم ٥٣ ، رقم الحديث ١١٦١ .

الدَّرْسُ الخامِسُ والعِشْرونَ

سورَةُ الإِسْراءِ - القِسْمُ الثّاني

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **لِيَسوءوا وُجوهَكُمْ** : لِيُظْهِروا عَلَيْها السُّوءَ .
- **لِيُتَبِّروا** : لِيُهْلِكوا وَيُدمِّروا .
- **حصيرا** : سِجْناً .

التَّفْسيرُ :

في هَذِهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَتِمَّةُ الحَديثِ عَنْ إفْسادِ بَني إسْرائِيلَ ، وَعَنِ القُرآنِ الكَريمِ كتابِ الهدايةِ لِكُلِّ خَيْرٍ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ .

هذا خِطابٌ لِبَني إسْرائِيلَ يُبيِّنُ اللهُ تَعالى لَهُمْ فِيهِ أَنَّهُم إِنْ أَحْسَنوا والْتَزَموا أَمْرَ اللهِ وأَطاعُوهُ فإِنَّ جزاءَ إِحْسانِهِمْ عائِدٌ عَلَيْهِم بالخَيْرِ والثَّوابِ الجزيلِ ، وأَنَّهُمْ إِنْ أساءوا في عَمَلِهِمْ فإِنَّ نَتيجةَ عَمَلِهِمْ

السّيىءِ سَتَكُونُ عَلَيْهِمْ دَماراً وَوَبالاً وخُسْراناً ، ولا يكونُ إحْسانُهُمْ إلى أَنْفُسِهِمْ بَعْدَ بَعْثَةِ الرَّسولِ مُحمَّدٍ ﷺ إلاّ باتّباعِهِ والإيمانِ بما جاءَ بِهِ ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعالى أنَّهُ إذا جاءَ وَقْتَ عِقابِهِمْ على إفْسادِهِمُ الثّاني فإنَّ عِبادَ اللهِ الّذين وَصَفَهُمُ اللهُ تَعالى فيما سَبَقَ بـ (أولي بأسٍ شديدٍ) سَيَفْعَلونَ بِهِمْ ما يسوءُ وُجوهَهُمْ وَيُخْزيهِمْ ويَجْعَلُ آثارَ الهَزيمَةِ والحَسْرَةِ باديةً عَلَيْها ، وَسَيَدْخُلونَ المَسْجِدَ الأَقْصى مُنْتَصِرينَ عَلَيْهِم كما دخلوهُ في المَرَّةِ السّابِقَةِ ، وسَيُدَمِّرونَ ويُزيلونَ مَظاهِرَ العُلوِّ والاسْتِكْبارِ إزالةً تامَّةً لا تُبْقي مِنْها شَيْئاً ، وهذا كُلُّه جزاءُ إفْسادِ بني إسْرائِيلَ في الأَرْضِ وَعَدَمِ الْتِزامِهِمْ أَوامِرَ اللهِ تَعالى وَعَدَمِ طاعَتِهِمْ لَهُ .

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾

هذا تَذْكيرٌ آخَرُ لَهُمْ وَدَعْوَةٌ إلى أَنْ يُصلِحوا عَمَلَهُمْ بالإيمانِ بِرَسُولِ اللهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ويُصْلِحُ عَمَلَهُ ، وبَعْدَ هذا التَّذْكيرِ إنْذارٌ لَهُمْ بأنَّهمْ إنْ عادوا إلى الإفْسادِ والعُلوِّ في الأَرْضِ وظُلْمِ الآخَرينَ أعادَ اللهُ تَعالى تَسْليطَ الأَعْداءِ عَلَيْهِمْ وَإِنْزالَ العِقابِ الشَّديدِ بِهِمْ ، ولَهُمْ في الآخِرَةِ عذابُ جَهَنَّمَ الَّتي أُعِدَّتْ لِلْكافِرينَ مِنْ جَميعِ الأُمَمِ لِتَكونَ سِجْناً يُحْصَرونَ فيهِ ، ولا يَسْتَطيعونَ الهَرَبَ مِنْهُ ولا مُغادَرَتَهُ .

وَلَقَدْ عادَ بَنو إسْرائِيلَ إلى الإفْسادِ والتَّخْريبِ مِراراً ، وكأَنَّ ذَلِكَ مِنْ عاداتِهِمْ ، فَقَدْ أَفْسَدوا زَمَنَ رَسولِ اللهِ ﷺ فَكَفَروا بِهِ وهَمّوا بِقَتْلِهِ وحاربوا الإسْلام ، وكانَ عِقابُهُمْ على ذَلِكَ الإفْسادِ القَتْلُ والتَّشْريدُ ، وَهاهُمْ يُفْسِدونَ في هَذِهِ الأَيّامِ إفْساداً عَظيماً باحْتِلالِهِمْ فِلَسْطينَ وسَفْكِهِمُ الدِّماءَ واسْتِخْفافِهِمْ بالمُسْلِمينَ في كُلِّ مكانٍ ، ولَنْ يَكونَ لِهذا الإفْسادِ مِنْ نَتيجةٍ إلاَّ التَّدْميرُ والخِزْيُ والهَزيمَةُ المُنْكَرَةُ وإذْلالُ الوُجوهِ ، مِصْداقاً لِوَعْدِ اللهِ تَعالى الحَقِّ (وإنْ عُدْتُمْ عُدْنا) .

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ .

هَذِهِ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ لِبيانِ فَضْلِ القُرْآنِ الكَريمِ ، فهُوَ الكِتابُ الّذي يَهْدي جَميعَ الخَلْقِ للأَمْرِ الأَقْوَمِ والأَحْسَنِ ، مِنْ أُمورِ دينِهِمْ ودُنْياهُمْ ، فَفي القُرْآنِ الهِدايَةُ إلى كُلِّ خَيْرٍ ، وتَبْيينُ أَفْضَلِ الأُمورِ وأَصْوَبِها ، وَهُوَ الكِتابُ الّذي يُبَشِّرُ المُؤْمِنينَ الّذين آمَنوا باللهِ تَعالى وَرُسُلِهِ وَعَمِلوا الأَعْمالَ الصّالِحَةَ أَنَّ لَهُمْ على ذَلِكَ الإيمانِ والعَمَلِ الصّالِحِ أَجْراً كَبيراً في جَنّاتِ النَّعيمِ .

﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ .

وفي مُقابِلِ تَبْشيرِ المُؤْمنينَ جاءَ في القُرْآنِ الكَريمِ إنذارُ الّذينَ لا يُؤْمنونَ ، باللهِ ولا بما أَخْبَرَ بهِ مِنْ وُجودِ يَوْمٍ يُبْعَثُ فيهِ النّاسُ بَعْدَ المَوْتِ ، ويُحاسَبونَ على أَعْمالِهِمْ ويُجْزَوْنَ بما كانوا يَعْمَلونَ ،

وسَيَكُونُ مَصيرُ هَؤلاءِ المُكَذِّبينَ في ذَلِكَ اليَوْمِ العذابَ الأَليمَ في نارِ جَهَنَّمَ .

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

في هَذِهِ الآيَةِ بيانٌ لِصِفَةٍ مِنْ صِفاتِ الإنْسانِ فَتَراهُ يَدْعو على نَفْسِهِ بالشَّرِّ ، كما يَدْعو لِنَفْسِهِ بالخَيْرِ وَذَلِكَ حالَ غَضَبِهِ أَوِ انْفِعالِهِ ، فَيَدْعو على نَفْسِهِ أَوْ أَهْلِهِ بالهَلاكِ أَوْ باللَّعْنَةِ ولَو اسْتَجابَ اللهُ دُعاءَهُ لأَهْلَكَهُ ، وَقَدْ يَدعو الإنْسانُ بأَمْرٍ يَظُنُّهُ خَيْراً وَهُوَ في المآلِ والنَّتيجةِ شَرٌّ لَهُ ، والإنْسانُ لا يَعْلَمُ ذَلِكَ وَلَوْ عَلِمَ لَما دَعا بِهذا الأَمْرِ ، ولكِنَّهُ عَجولٌ مُتَسَرِّعٌ يَدعو حالَ غَضَبِهِ على نَفْسِهِ ، وَيَدعو طالِباً الأَمْرَ الَّذي يَظُنُّهُ خَيْراً ، وَلَوْ تَرَيَّثَ وتَأَنَّى وتدبَّرَ في عَواقِبِ أُمورِهِ لَمْ يَدْعُ عَلى نَفْسِهِ وَلَمْ يُلِحَّ في طَلَبِ ما تَسوءُهُ عاقِبَتُهُ ، ولم يَدْعُ بِكُلِّ ما يَخْطُرُ على بالِهِ أَوْ يَقَعُ في نَفْسِهِ ، ولاقْتَصَرَ على الدُّعاءِ بما فيهِ الخَيْرُ لَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ سُنَّةُ اللهِ تَعالى في مُعامَلَةِ البَشَرِ واحِدَةٌ لا تَتَغيَّرُ ولا تَتَبَدَّلُ .

٢ـ قَدْ يُعَجِّلُ اللهُ تعالى عُقوبَةَ المُفْسِدِ في الدُّنْيا لِيَكونَ عِبْرَةً لِغَيْرِهِ .

٣ـ البِشارَةُ لِلْمُؤْمنينَ بِأَنَّ كُلَّ إفْسادٍ لبني إسْرائيلَ يُقابِلُهُ الانْتِقامُ مِنْهُمْ .

٤ـ في القُرْآنِ الكَريمِ الهِدايَةُ لِكُلِّ خَيْرٍ ، وَتَبْشيرُ المُؤْمنينَ بالجَنَّةِ .

٥ـ عَدَمُ جَوازِ أَنْ يَدعوَ الإِنْسانُ على نَفْسِهِ .

٦ـ ذَمُّ العَجَلَةِ والدَّعْوَةُ إلى التَّأَنِّي والتَرَيُّثِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئِلَةِ التاليَةِ :

١ـ لِمَنِ الخِطابُ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿إنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ﴾ ؟

٢ـ ما الجَزاءُ الَّذي تَذْكُرُهُ الآيَةُ لِبَني إسْرائيلَ على إفْسادِهِمُ الثّاني ؟

٣ـ بماذا امْتَدَحَتِ الآياتُ الكَريمَةُ القُرْآنَ الكَريمَ ؟

٤ـ ما السَّبَبُ الَّذي يَجْعَلُ الإنْسانَ يَدعو بِالشَّرِّ ؟

٦ـ بَيِّنْ مَعنى ما يَلِي :

أـ لِيَسوءُوا وُجوهَكُمْ .

ب ـ وَلِيَدْخُلوا المَسْجِدَ كَما دَخَلوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ .

ج ـ وَلْيُتَبِّروا ما عَلَوْا تَتبيرا .

د ـ وإنْ عُدْتُمْ عُدْنا .

هـ ـ وكانَ الإنْسانُ عَجولا .

تَعَلَّمْ :

عَنْ جابِرِ بْنِ عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « لا تَدعو على أَنْفُسِكُم ولا تَدْعو على أَوْلادِكُم ولا تَدْعو على خَدَمِكُم ولا تَدْعو على أَمْوالِكُم ، لا تُوافِقوا مِنَ اللهِ تَبارَكَ وتَعالى ساعةَ نَيْلٍ فِيها عَطاءٌ فَيَسْتَجيبَ لَكُمْ »[1] .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الحديثَ الدَّالَّ على حَرْبِ المُسْلِمينَ لِليهودِ وانْتِصارِهِمْ عَلَيْهِمْ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً شَريفاً يَنْهى فِيهِ رَسولُ اللهِ ﷺ عن العَجَلَةِ .

* * *

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة ، رقم الحديث ١٣٠٩ .

الدَّرْسُ السَّادِسُ والعِشْرونَ

سورَةُ الإسْراءِ - القِسْمُ الثَّالِثُ

وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيْءٖ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فَمَحَوْنا : طَمَسْنا .

مُبْصِرَةً : مُضيئَةً .

طائِرَهُ : عَمَلَهُ .

في عُنُقِهِ : مُلازِمٌ لَهُ .

مَنْشورا : مَعْروضاً عَلَيْهِ .

حَسيباً : شاهِداً .

لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى : لا تَحْمِلُ نَفْسٌ إثْمَ نَفْسٍ أُخْرى .

مُتْرَفيها : مُتَنَعِّميها .

فَدَمَّرْناها : اسْتَأْصَلْناها .

القُرونِ : الأُمَمِ .



التَّفْسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ الكَريمَةُ بالتَّذْكيرِ بِبَعْضِ نِعَمِ اللهِ تَعالى الَّتي تَدُلُّ على عَظَمَتِهِ سُبْحانَهُ ، وهِيَ نِعَمٌ يَنْتَفِعُ بِها النَّاسُ في دُنْياهُمْ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾ .

أيْ أنَّ اللهَ تَعالى جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهارَ وتَعاقُبَهُما عَلامَتَيْنِ تَدُلّانِ على بَديعِ صُنْعِهِ وكَمالِ قُدْرَتِهِ ، فَقَدْ جَعَلَ الآيَةَ الأُولى في اللَّيْلِ المُظْلِمِ بِأنْ مَحا الضَّوءَ فيهِ فَتَخْتَفِي فيهِ الأشْياءُ وتَهْدَأُ وتَسْكُنُ الحَرَكاتُ ، وجَعَلَ الآيَةَ الثَّانِيَةَ في النَّهارِ المُضيءِ ، يُبْصِرُ فيهِ النّاسُ ما يَحْتاجونَ إلَيْهِ ، فَيَقْضونَ في النَّهارِ مَصالِحَهُمْ ويَطْلُبونَ رِزْقَهُمُ الَّذي تَفَضَّلَ اللهُ تَعالى بِهِ عَلَيْهِمْ ، وَقَسَمَهُ بَيْنَهُمْ .

وَمِنْ فَوائِدِ تَعاقُبِ اللَّيْلِ والنَّهارِ واخْتِلافِهِما في الطُّولِ والقِصَرِ ، مَعْرِفَةُ الأيامِ والشُّهورِ والسِّنينَ ، الَّتي يَحْتاجُ النّاسُ إلى مَعْرِفَتِها لِتَنْظيمِ أُمورِهِمْ ، وحِسابِ مَواعيدِ العِباداتِ كالصَّلاةِ والصِّيامِ والحَجِّ ، والمُعامَلاتِ كَمَواعيدِ البَيْعِ والتَّسْليمِ وانْقِضاءِ المُدَّةِ وَنَحْوِها مِنَ المُعامَلاتِ المُعْتَمِدَةِ على مَعْرِفَةِ الوَقْتِ والشُّهورِ والسِّنينَ .

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصيلا﴾ أيْ وَفَصَّلْنا كُلَّ شَيْءٍ تَحْتاجونَ إلَيْهِ في أُمورِ دُنْياكُمْ وآخِرَتِكُمْ تَفْصيلاً واضِحاً جَلِيّاً لا الْتِباسَ فيهِ .

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾

المُرادُ بالطّائِرِ : العَمَلُ ، فالعَمَلُ الَّذي يَعْمَلُهُ كُلُّ إنْسانٍ يُصْبِحُ مُلازِماً لَهُ لا يُفارِقُهُ كالطَّوْقِ في عُنُقِهِ ، وسَيُجْزى عَلَيْهِ يَوْمَ القِيامَةِ ، حَيْثُ سَيَجِدُ كُلُّ إنسانٍ عَمَلَهُ مَعْروضاً عَلَيْهِ في كِتابٍ أحْصى عَلَيْهِ كُلَّ أعْمالِهِ ، يَلْقاهُ مَبْسوطاً أمامَهُ ويُقالُ لَهُ :

﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ .

فَيَقْرَأُ كِتابَهُ الَّذي أحْصى عَلَيْهِ كُلَّ أعْمالِهِ ، ولا يَحْتاجُ إلى شاهِدٍ أوْ مُحاسِبٍ ، فَكُلُّ أعْمالِهِ مُدَوَّنَةٌ ، وهُوَ أوَّلُ الشّاهِدينَ عَلَيْها .

فَعلى كُلِّ عاقِلٍ أنْ يَسْعى لِفِعْلِ كُلِّ عَمَلٍ صالِحٍ يُقَرِّبُهُ مِنَ اللهِ وأنْ يَجْتَنِبَ كُلَّ عَمَلٍ لا يَرْضى بِهِ ، وعَلَيْهِ أنْ يُوقِنَ أنَّ كُلَّ أعْمالِهِ سَتُدَوَّنُ في كِتابِ أعْمالِهِ وتُنْشَرُ في صَحيفَتِهِ يَوْمَ القِيامَةِ .

﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ .

أيْ : مَن اهْتَدى بأنْ آمَنَ باللهِ تَعالى وَعَمِلَ صالِحاً فإنَّ ذلكَ يَرْجِعُ إليْهِ ، فَهُوَ يَنْتَفِعُ بِهِ فَيَكْسَبُ الثَّوابَ ودُخولَ الجَنَّةِ ، ومَنْ ضَلَّ عَنِ الطَّريقِ القَويمِ وَلَمْ يُطِعْ أَمْرَ رَبِّه فإنَّ إثْمَ ضَلالِهِ حاصِلٌ لَهُ وَحْدَهُ ، فَكُلُّ إنْسانٍ مُحاسَبٌ على عَمَلِهِ ، ولا تَحْمِلُ نَفْسٌ آثِمَةٌ ذَنْبَ نَفْسٍ أُخْرَى ، ومِنْ رَحْمَةِ اللهِ بالنَّاسِ أنَّهُ لا يُعذِّبُ أُمَّةً أَوْ أحَداً حَتَّى يُرْسِلَ إلَيْهِمْ رَسولاً يُقيمُ بِهِ الحُجَّةَ عَلَيْهِمْ ، فلا تَعْذيبَ لِمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ وَلَمْ يَعْلَمِ الحَقَّ .

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾

في هذهِ الآيةِ تَأكيدٌ لِما خُتِمَتْ بِهِ الآيةُ السَّابِقَةُ ، مِنْ أَنَّ اللهَ تَعالى لا يُهْلِكُ أُمَّةً ولا يُعَذِّبُها حتَّى يُرْسِلَ إلَيْها رَسولاً يُبيِّنُ لَها الحَقَّ ويَأْمُرُها بالخَيْرِ ، فإنْ أطاعَتْهُ نَجَتْ ، وإنْ عَصَتْهُ هَلَكَتْ ودُمِّرَتْ ، وهذا ما بَيَّنَتْهُ هذهِ الآيَةُ ، فإنَّ اللهَ تعالى إذا أرادَ إهْلاكَ أَهْلِ قَرْيَةٍ أَوْ أُمَّةٍ بِسَبَبِ كُفْرِها بِهِ وَعِصْيانِها ، أَمَرَ المُتْرَفينَ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ القَرْيَةِ وَهُمْ أَصْحابُ الجاهِ والسُّلْطانِ والمالِ بالإيمانِ وبالْعَمَلِ الصَّالِحِ والطَّاعَةِ ، فَلَمْ يَسْتَجيبوا لأَمْرِهِ وَفَسقوا وتَمَرَّدوا فَثَبَتَ وتَعَيَّنَ إهْلاكُها فَنَزَلَ بِها العَذابُ ، ودُمِّرَتِ القَرْيَةُ تَدْميراً تامّاً وأُهْلِكَ أَهْلُها جَميعاً .

وتَخْصيصُ المُتْرَفينَ بالذِّكْرِ مَعَ أَنَّ الأَمْرَ بالطَّاعَةِ عامٌّ بالجَميعِ لأَنَّهُمُ المَتْبوعونَ غالِباً ، وهُمُ القادَةُ والسَّادَةُ فإذا اسْتَجابوا لِلأَمْرِ اسْتَجابَ غَيْرُهُمْ تَبَعاً لَهُمْ ، ولأَنَّهُمْ أَسْرَعُ إلى الفُجورِ وأَقْدَرُ على الوُصولِ إليْهِ .

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾

تُبيِّنُ هذهِ الآيَةُ الكَريمَةُ أنَّ الإهْلاكَ بِسَبَبِ الكُفْرِ والمَعْصِيَةِ لَيْسَ خاصّاً بالقَرْيَةِ المَذْكورَةِ في الآيَةِ السَّابِقَةِ ، فإنَّ اللهَ تَعالى أَهْلَكَ كَثيراً مِنَ الأُمَمِ والقُرَى مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ، مِنْهُمْ مَنْ تَعْلَمُهُمْ كعادٍ وثَمودَ وقَوْمِ لُوطٍ ومِنْهُمْ مَنْ لا تَعْلَمُهُمْ ، واللهُ تَعالى مُطَّلِعٌ على أحْوالِ جَميعِ عِبادِهِ وذُنوبِهِمْ ، وكَفى بِهِ سُبْحانَهُ خَبيراً بَصيراً بِها ، فَعِلْمُهُ مُحيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، لا تَخْفى عَلَيْهِ خافِيَةٌ مِنْ أَمْرِ خَلْقِهِ ، وفي هَذا وَعيدٌ لِلْمُشْرِكينَ وإنْذارٌ لَهُمْ .

وتَخْصيصُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ بالذِّكْرِ ، لأَنَّ قَوْمَهُ كانوا أَوَّلَ المُهْلَكينَ على الأَرْضِ فَلَمْ تُهْلَكْ أُمَّةٌ بَيْنَ آدمَ ونُوحٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ أَهَمِيَّةُ الاعْتِناءِ بالوَقْتِ ، وتَنْظِيمُ شُؤونِ الحياةِ وتَعَلُّمُ الحساب .

٢ـ الحِرْصُ على الإكْثارِ مِنَ العَمَلِ الصّالحِ ، وَتَرْكُ العَمَلِ السَّيىء حَيْثُ يُلازِمُ العَمَلُ صاحِبَهُ ويُعْرَضُ عَلَيْهِ في صحيفةِ أعْمالِهِ .

٣ـ لا يُعذَّبُ أَحَدٌ بِذَنْبِ غَيْرِهِ ولا يُؤاخَذُ بِجريرةِ غَيْرِه .

٤ـ لا يُعذِّبُ اللهُ أحداً إلاّ بَعْدَ أَنْ تَقومَ عَلَيْهِ الحُجَّةُ بِمَعْرِفَةِ الحَقِّ ووَصولِ الدَّعْوةِ إليْهِ .

٥ـ الحَذَرُ مِنَ التَّرَفِ المُؤدِّي إلى المَعْصِيَةِ ، وتَرْكِ الطاعَةِ والفُسوقِ عَنْ أَمْرِ اللهِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِتَعاقُبِ اللَّيْلِ والنَّهارِ فَوائِدُ مُتعدِّدَةٌ ، اذْكُرْها .

٢ـ ما مَعْنى مَحْوِ آيةِ اللَّيْلِ وَجْعلِ آيةِ النّهارِ مُبْصِرَةً ؟

٣ـ كَيْفَ يُعْرَضُ العَمَلُ على صاحِبِهِ يَوْمَ القيامَةِ ؟

٤ـ لِماذا لا تَحْمِلُ نَفْسٌ وِزْرَ نَفْسٍ أُخْرى ؟ وما فائِدَةُ الإِخْبارِ بِذَلِكَ ؟

٥ـ بَيِّنْ خُطورَةَ التَّرَفِ ، الّذي لا ينضَبِطُ أَصْحابُهُ بِضَوابِطِ الإيمانِ ، وكَيْفَ يَكونُ سَبَباً في هَلاكِ البَشَرِ ؟

٦ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ عَلى كُلٍّ مِمّا يَلي :

أـ أَهميَّةُ تَعَلُّمِ الحِسابِ والمَواقيتِ .

ب ـ العَمَلُ يُلازِمُ الإِنْسانَ مُلازَمَةً تامَّةً .

ج ـ لا يَحْمِلُ أَحَدٌ ذَنْبَ غَيْرِه .

د ـ نَفْعُ العَمَلِ الصّالحِ لِصاحِبِهِ وَضَرَرُ العَمَلِ السَّيِّىءِ على صاحِبِهِ .

هـ ـ لا يُعَذِّبُ اللهُ أَحداً إلاّ بَعْدَ إنْذارِهِ وإقامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ .

و ـ التَّرَفُ مَدْعاةٌ لِلْفِسْقِ والعِصْيانِ غالباً .

ز ـ لا يُهْلِكُ اللهُ أُمَّةً حتَّى يُظْهِرَ عِلْمَهُ بِكُفْرِها في سُلوكِ أَفْرادِها .

ح ـ لَمْ تُهْلَكْ أُمَّةٌ بَيْنَ آدمَ ونَوحٍ عَلَيْهِما السَّلامُ .

ط ـ عِلْمُ اللهِ مُحيطٌ بِخَلْقِهِ وَبِجَميعِ أَحْوالِهِمْ ومِنْها ذُنوبُهُمْ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ آيةَ سُورَةِ الكَهْفِ الَّتي تُبَيِّنُ معنى الآية (١٤) .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ والعِشْرونَ

سورَةُ الإسْراءِ ـ القِسْمُ الرّابِعُ

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

العاجِلَةَ : الدُّنْيا .

يَصْلاها : يَدْخُلُها وَيُقاسي حَرَّها .

مَذْموماً : يَذُمّهُ غَيْرُهُ ويَلومُهُ .

مَدْحوراً : مَطْروداً مِنْ رَحْمَةِ اللهِ .

مَحظوراً : مَمْنوعاً .

مَخْذولاً : غَيْرَ مُعانٍ .

التَّفْسيرُ :

تُبَيِّنُ هذهِ الآياتُ الكَريمَةُ مَصيرَ الذينَ يُؤْثِرونَ الدُّنْيا على الآخِرَةِ ، ومَصيرَ الَّذينَ يُقَدِّمونَ الآخِرَةَ على الدُّنْيا ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ .

مَنْ كانَ يَبْتَغِي بِعَمَلِهِ مَنافِعَ الحياةِ الدُّنْيا وشَهَواتِها وَزِينَتَهَا فإِنَّ اللهَ تَعالى يُعْطي لِمَنْ يَشاءُ مِنْ هَؤلاءِ بَعْضَ ما يُريدونَ ، فالأَمْرُ مَرْهونٌ بِإرادَةِ اللهِ تَعالى وَمَشيئَتِهِ ، وكَمْ مِنْ طالِبٍ لِمَلَذّاتِ الدُّنْيا وَزينَتِها لا يَحْصُلُ على شَيْءٍ فَيَخْسَرُ دُنياهُ وآخِرَتَهُ ، فاللهُ تَعالى قَيَّدَ الإعْطاءَ في الدُّنْيا لِطالِبيها بما يَشاءُ بالنِّسْبَةِ لِلْمُعْطَى ، وبِمَنْ يُريدُ بالنِّسْبَةِ لِلْمُعْطَى لَهُ ، وَلَيْسَ هَذا العطاءُ دَليلَ رِضىً مِنَ اللهِ وَلكِنَّهُ إجْراءٌ لِسُنَّةِ اللهِ تَعالى في خَلْقِهِ ، بأَنْ يُصَرِّفَ الرِّزْقَ بَيْنَ عبادِهِ ابْتلاءً لَهُمْ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ مَصيرَ هَؤلاءِ الَّذينَ يَنْسَوْنَ الآخِرَةَ ولا يَعْمَلونَ لَها ، فَجَزاؤُهُمْ فيها جَهَنَّمُ يَدْخلونَها ويُقاسونَ حَرَّها ، وَقَدْ طُرِدوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى وَهُمْ مَعَ العذابِ يُذَمُّوَن ويُلامُونَ زِيادَةً في تَعْذيبِهِمْ ، وإمْعاناً في إذْلالِهِمْ .

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾

وَمَنْ قَصَدَ بِعَمَلِهِ ثَوابَ الآخِرَةِ وَنَعيمَها ، واجْتَهَدَ في الإِكْثارِ مِنْ طاعَةِ اللهِ والعَمَلِ بما يُرْضيهِ وكانَ مُؤْمِناً باللهِ مُصدِّقاً بما وَعَدَ بِهِ ، فأُولئِكَ يَقْبَلُ اللهُ تَعالى عَمَلَهُمْ ويَجْزيَهُمْ عَلَيْهِ خَيْرَ الجَزاءِ .

أمَّا غَيْرُ المُؤْمِنِ إذا عَمِلَ عَمَلاً صالِحاً في الدُّنْيا فإنَّهُ لا يُقْبَلُ مِنْهُ ولا يُجْزى عَلَيْهِ شَيْئاً في الآخِرَةِ ، وَمِنْ عَدْلِ اللهِ تَعالى أَنَّهُ يُعْطيهِ أجْراً على عَمَلِهِ الصَّالحِ ويَكونُ هذا الأجْرُ وافِياً ولكنَّهُ أَجْرٌ في الدُّنْيا ، ولَيْسَ لَهُ في الآخِرَةِ مِنْ نَصيبٍ .

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾

أيْ : كُلاً مِنَ الفَريقينِ ، الفَريقِ الّذي سَعى لِلدُّنْيا وَعَمِلَ مِنْ أَجْلِها ، والفَريقِ الَّذي سَعى لِلآخِرَةِ ابْتِغاءَ ثَوابِها ، نَمُدُّهُما مِنْ فَضْلِنا وإحْسانِنا ، ونَرْزُقُهُما وَنُعْطيهما ، ما نَشاءُ مِما تَقومُ بِهِ الحَياةُ ، ولا نَمْنَعُ عَطاءَنا عَنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِنا ، ولَوْ كان كافِراً مُشْرِكاً ، فَكُلُّ واحِدٍ يَحْصُلُ على أَجْرِهِ ولا يُمْنَعُ مِنْهُ .

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾

انْظُرْ وتَأَمَّلْ في أَحْوالِ النَّاسِ ، كَيْفَ يَتفاوَتونَ في الدُّنْيا ، في الأَرْزاقِ والأَخْلاقِ ، والصِّفاتِ والعُقولِ ، وهذا التَّفاوُتُ في الدُّنْيا أَقَلُّ مِنْ تَفاوُتِهِمْ في الآخِرَةِ ، فإنَّ تفاوُتَ مَنازِلِ النّاسِ وَدَرَجاتِهِمْ في الآخِرَةِ أَكْبَرُ وأَعْظَمُ ، فإنَّ مِنْهُمْ مَنْ يكونُ في الجَنَّةِ ونَعيمِها ، وفي الجَنَّةِ دَرجاتٌ كَثيرةٌ بَعْضُهُم فَوْقَ بَعْضٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكونُ في جَهَنَّمَ وجَحيمِها ، وفي النَّارِ دَرَكاتٌ مُتَفاوِتَةٌ مُتباعِدَةٌ .

والخِطابُ في الآيةِ لِرَسولِ اللهِ ﷺ وَلِكُلِّ مَنْ يَصْلُحُ لِلْخِطابِ مِنْ عُقلاءِ النّاسِ .

﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾.

هَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ بدايةٌ لِمَجْموعَةٍ مِنَ الآياتِ احْتَوَتْ على عَدَدٍ مِنَ الأوامِرِ والوَصايا النّافِعَةِ ، ونَهَتْ عَنْ عَدَدٍ مِنَ السلوكياتِ السَّيِّئَةِ ، وقَدْ بَدَأَتْ هذهِ الآياتُ بالنَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ وَخَتَمَتْ بِهِ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ وذَلِكَ لِلتَّنْبيهِ إلى أَهَمِيةِ إِفْرادِ اللهِ تَعالى بالعِبادَةِ والطَّاعَةِ فَهُوَ الأساسُ الَّذي يُبْنَى عَلَيْهِ العَمَلُ .

ومَعْنى الآيةِ : لا تَجْعَلْ أَيُّها المُكَلَّفُ المُخاطَبُ بالقُرْآنِ مَعَ اللهِ شَريكاً ، ولا تَعْبُدْ إِلَهاً سِواهُ ، فَيُصْبحُ حالُكَ أَنْ تَقْعُدَ عاجِزاً حائِراً نادِماً على ما صَدَرَ مِنْكَ مِنْ إِشْراكٍ باللهِ ، وسَوْفَ يَلومُكَ المُؤْمِنونَ ويَذُمّونَكَ على تَرْكِ عِبادَةِ اللهِ ، ويَخْذُلُكَ اللهُ تَعالى فلا يُعينُكَ ولا يَنْصُرُكَ ، مَعَ شِدةِ حاجَتِكَ لِعَوْنِهِ وتَأْييدِهِ .

وفي التَّعْبيرِ بالقُعودِ تَصْويرٌ لِهَيْئَةِ المُشْرِكِ المَذْمومِ المَخْذولِ ، وإشارَةٌ إلى ضَعْفِهِ فإنَّ القُعودَ مِنْ أَضْعَفِ هَيئاتِ الإِنْسانِ وأَكْثَرِها عَجْزاً ، وإِلى اسْتِمْرارِ حالِ النَّبْذِ والخُذْلانِ ، لأَنَّ القُعودَ لا يُوحي بالحَرَكَةِ ولا بَتَغيُّرِ الوَضْعِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الإنْسانُ بِحاجَةٍ إلى السَّعْيِ لِتَحْصيلِ ما يُريدُ في الدُّنْيا وفي الآخِرَةِ .

٢ـ لا يَحْرِمُ اللهُ تَعالى مِنْ عَطائِهِ مَنْ عَصاهُ وَكَفَرَ بِهِ .

٣ـ لا يَنالُ الإنْسانُ مِنَ الدُّنْيا إلاّ ما قَسَمَهُ اللهُ وقَدَّرَهُ لَهُ .

٤ـ الكافِرُ لا حَظَّ لَهُ في الآخِرَةِ ومَصيرُهُ النّارُ .

٥ـ تَفاوُتُ دَرَجاتِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، ودَرَكاتِ أَهْلِ النّارِ .

٦ـ عِظَمُ جَريمَةِ مَنْ عَبَدَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ دُعاءُ غَيْرِ اللهِ والاسْتِعانَةُ بِهِ .



التَّقْوِيمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الجَزاءُ لِمَنِ ابْتَغى بِعَمِلِهِ الحَياةَ الدُّنْيا ؟

٢ـ ما شَرْطُ قَبولِ عَمَلِ مَنْ قَصَدَ بِعَمِلِهِ الدّارَ الآخِرَةَ ؟

٣ـ ما سَبَبُ تَفْضيلِ بَعْضِ النَّاسِ على غَيْرِهِمْ في الدُّنْيا ، وفي الآخِرَةِ ؟

٤ـ ما فائِدَةُ التَّعْبيرِ عَنْ حالِ المُشْرِكِ بالقُعودِ ؟

٥ـ بَيِّن مَعنى ما يلي :

أ ـ عَجَّلْنا لَهُ فيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُريدُ .

ب ـ كُلاًّ نُمِدُّ هَؤلاءِ وهَؤلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ .

ج ـ فَتَقْعُدَ مَذْموماً مَخْذولاً .

تَعَلَّمْ :

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « إنَّ في الجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّها اللهُ لِلْمُجاهِدينَ في سبيلِ اللهِ ، ما بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَما بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ ، فإذا سَأَلْتُمُ اللهَ فاسْأَلوهُ الفِرْدَوْسَ فإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وأَعْلى الجَنَّةِ وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمنِ ومِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهارُ الجَنَّةِ »[١] .

* * *

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد ، باب درجات المجاهدين في سبيل الله ، رقم الحديث ٢٦٣٧ .

الدَّرْسُ الثَّامِنُ والعِشْرونَ

سورَةُ الإِسْراءِ - القِسْمُ الخامِسُ

۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- قَضى : أَمَرَ .
- أُفٍّ : كَلِمَةَ تَضَجُّرٍ .
- لا تَنْهَرْهُما : لا تَزْجُرْهُما .
- واخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِ : أَلِنْ جانِبكَ لَهُما رَحْمَةً وَتَذَلُّلاً .
- لِلأوّابينَ : الرَّاجِعينَ إلى اللهِ بالتَّوْبَةِ .
- قَوْلاً مَيْسورا : قَوْلاً لَيّناً تطيبُ بِهِ نُفوسُهُمْ .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ مَجْموعَةٌ مِنَ الوَصايا والأَوامِرِ تَبْدَأُ بالأَمْرِ بطاعَةِ اللهِ تَعالى والإِحْسانِ إلى الوالِدَيْنِ وكَيْفِيّةِ التَّعامُلِ مَعَهُما ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ نَهَى اللهُ تَعالى في الآيةِ السّابقَةِ عَنِ الإشْراكِ بهِ ، أَتْبَعَ ذَلِكَ بالأَمْرِ بِعِبادَتِهِ وَحْدَهُ ، وجاءَ الأَمْرُ بلَفْظِ (قضى) زِيادَةً في التَّأْكِيدِ ، أيْ : أَمَرَ أَمْراً جازِماً قاطِعاً أَنْ لا تَعْبُدوا إلاّ إيّاهُ ، لأَنّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، والمُسْتَحِقُّ لِلْعِبادَةِ ، وغَيْرُهُ لا يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ لِعَجْزِهِ عَنْ فِعْلِ أيِّ شَيْءٍ إلاّ بأَمْرِ اللهِ ، فالأَمْرُ كُلّهُ للهِ رَبِّ العالَمينَ .

وبَعْدَ أَنْ أَمرَ سُبْحانَهُ بعبادَتِهِ وَحْدَهُ عَطَفَ عَلَيْهِ الأَمْرَ بالإحْسانِ إلى الوالِدينِ ، وفي ذَلِكَ تَبْيينُ أَهَمِيَّةِ برِّ الوالِدينِ وعَظيمِ مَنْزِلَتِهِ ، ثُمَّ فَصَّلَ سُبْحانَهُ في بَيانِ جَوانِبِ ومظاهِرِ الإحْسانِ إلى الوالِدَيْنِ ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ إذا بَلَغَ أَحَدُهُما أوْ كِلاهُما سِنَّ الكِبَرِ والضَّعْفِ ، فلا تَقُلْ لَهُما أيَّ لَفْظٍ يَدُلُّ عَلى التَّضَجُّرِ والاسْتِثْقالِ كَلَفْظِ أُفٍّ البالغِ في القِلَّةِ والخِفَّةِ ، إلاّ أَنَّهُ يُحْدِثُ أَلَماً في نَفْسِ الوالِديْنِ ، ولا تَقُلْ لَهُما أَيَّ عِبارَةٍ فيها زَجْرٌ أَوْ إيذاءٌ لَهُما ، وَقُلْ لَهُما بَدَلاً مِنْ ذَلِكَ قَوْلاً كَريماً طَيِّباً مَمْزوجاً بِعباراتِ الاحْترامِ والعَطْفِ والأدَبِ .

وخَصَّ اللهُ حالَةَ الكِبَرِ دُونَ غَيْرِها ، مَعَ أنَّ الرِّعايَةَ لِلْوالِدَيْنِ واجِبَةٌ دائِماً ، لاحْتِياجِ الوالِدَيْنِ في هَذِهِ السِّنِّ إلى الرِّعايَةِ والاعْتِناءِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ آخَرَ .

﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾

وَأَلِنْ جانِبَكَ مُتَذَلِّلاً لَهُما واجْعَلْ تَعامُلَكَ مَعَهُما مَصْحوباً بالرَّحْمَةِ والتَّواضُعِ . والتَّعْبيرُ بِخَفْضِ الجَناحِ لِلتَّشْبيهِ بِحالِ الطَّائِرِ ، فإنَّهُ إذا أرادَ ضَمَّ فِراخِهِ إليْها خَفَضَ لَها جَناحَهُ ، وإذا أرادَ النُّزولَ مِنْ طَيرانِهِ خَفَضَ جناحَهُ ، فَضَمُّ الجَناحِ كِنايَةٌ عَنْ حُسْنِ التَّعامُلِ وَلِينِ الجانِبِ والتَّواضُعِ والعَطْفِ .

وَقُلْ في دُعائِكَ لَهُما : يا ربِّ ارْحَمْهُما بِرَحْمَتِكَ الواسعةِ رَحْمَةً عَظيمةً كَما كانا رَحيمَيْنِ بي حينَ كُنْتُ صَغيراً ، فَأَنْتَ القادِرُ على مُكافَأَتِهِما ، وفي هَذا الدُّعاءِ إشارَةٌ إلى أَنَّ الوَلَدَ مَهْما أَحْسَنَ إلى والِدَيْهِ فإنّهُ لا يَفيهِما حقَّهُما ، فَلِذَلِكَ يَدعو اللهَ تَعالى أَنْ يَرْحَمْهُما .

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾ .

يُخْبرُ سُبْحانَهُ أَنهُ الأَعْلَمُ بما في نُفوسِ خَلْقِهِ وَضَمائِرِهِمْ خَيْراً كانَ أَوْ شَرّاً ، برّاً بالآباءِ أَوْ عُقوقاً لَهُما ، فَمَنْ قَصَدَ الصَّلاحَ والبرَّ بِهِما والتَوْبَةَ مِمّا سَبَقَ مِنْ تَقْصيرٍ في حقِّ والِدَيْهِ أو غيرِهِما أو عُقوقٍ لَهُما فإنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الرَّاجِعينَ إليهِ ويَغْفِرُ ذُنوبَهُم بِفَضْلِهِ وكَرَمِهِ ، فَفي هذهِ الآيةِ وَعَيْدٌ لِمَنْ قَصَّرَ في حَقِّ ذَنْبٍ ومَعْصيَةٍ .

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾

بَعْدَ الأَمْرِ بطاعةِ اللهِ تَعالى والإحسْانِ إلى الوالِدَيْنِ أَمَرَ سُبْحانَهُ بالإحسْانِ إلى الأَقارِبِ بالبِرِّ والصِّلَةِ والمُعاوَنَةِ والمُساعَدَةِ ، وإلى المِسْكينِ وَهُوَ الَّذي لا يَمْلِكُ شَيْئاً أَوْ يَمْلِكُ ما لا يَسُدُّ حاجَتَهُ ، وإلى ابْنِ السَّبيلِ وَهُوَ المُسافِرُ الغَريبُ الَّذي انْقَطَعَ عَنْ مالِهِ وَبَلَدِهِ ، وَذلِكَ بإعْطائِهِما حَقَّهُما مِنَ المالِ والمُساعَدَةِ والإعانَةِ .

وتَقْديمُ ذَوي القُرْبى عَلى غَيْرِهِمْ لأَنَّهُمْ أَوْلى بالْمَعْروفِ ولأَنَّ الإحْسانَ إلَيْهِم صِلَةُ رَحِمٍ وَصَدَقَةٌ .

ثُمَّ نَهى سُبْحانَهُ عَنِ التَّبْذيرِ وَهُوَ إنْفاقُ الأَمْوالِ في غَيْرِ حَقِّها ، وتَفْريقُها في غَيْرِ ما يَنْبَغي ، وعَلَّلَ النَّهْيَ عَنِ التَبْذيرِ بقَوْلِهِ :

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ .

أيْ إنَّ المُبَذِّرينَ يُشْبِهونَ الشَّياطينَ في صِفاتِهِمُ القَبيحةِ السَّيِّئَةِ ، فالشَّياطينُ لا يَشْكُرونَ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِمْ ويَضَعونَ الشَّيْءَ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ ويُفْسِدونَ في الأَرْضِ ويُضِلّونَ النّاسَ وَكَذلِكَ يَكونَ حالُ المُبَذِّرينَ شَبيهاً بِهِمْ ، وفي هذا التَّشْبيهِ تَنْفيرٌ مِنَ التَّبْذيرِ وَحَضٌّ على تَرْكِهِ ، فإنَّ الإنْسانَ العاقِلَ لا يَرْضى أَنْ يَكونَ شَبيهاً لِلشَّيْطانِ .

﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ ﴾

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ سُبْحانَهُ وُجوبَ الإحْسانِ إلى ذَوي القُرْبى والمَساكين وابْنِ السَّبيلِ لِلْقادِرِ على الإحْسانِ وتَقديمِ العَوْنِ ، أَتْبَعَ ذَلِكَ بِبَيانِ ما يَجِبُ فِعْلُهُ على مَنْ لا يَمْلِكُ ما يُقَدِّمُهُ لَهُمْ ، فَيُعْرِضُ عَنْهُم بِسَبَبِ إعْسارِهِ وَقِلَّةِ مالِهِ ، وَهُوَ يَرْجو أَنْ يَرْزُقَهُ اللهُ تَعالى ما يُقَدِّمُهُ لَهُمْ وَيُعينُهُمْ بِهِ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَعْتَذِرَ مِنْهُم بِلُطْفٍ وَيَقولُ لَهُمْ قَوْلاً لَيِّناً حَسَناً يَدُلُّ على الاهْتِمامِ بِشَأْنِهِمْ ، وَيُدْخِلَ السُّرورَ إلى نُفوسِهِمْ .

وفي هذهِ الآيةِ إرْشادٌ وَتأْديبٌ لِلْمُؤْمِنينَ ، إنْ فَقَدوا ما يُقَدِّمونَهُ لِلْمُحتاجينَ أَنْ يَتوجَّهوا إلى اللهِ بالدُّعاءِ أَنْ يُيَسِّرَ لَهُمْ ، وأَنْ يَعْزِموا على البَذْلِ حينَ يَحْصُلُ عِنْدَهُم ما يَبْذُلونَهُ ، وأَنْ لا يُعْرِضوا عَنْ ذَوي القُرْبَى والمَساكينِ وأَبْناءِ السَّبيلِ إلاَّ في حالِ فَقْدِهِمْ ما يُقَدِّمونَهُ لَهُمْ ، وأَنْ يَلْتَزِموا في تَعامُلِهِمُ القَوْلَ الحَسَنَ الطَّيِّبَ والرَّدَّ الجَميلَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ بِرِّ الوالِدَيْنِ والتَّذَلُّلِ لَهُما ، والاعْتِناءِ بِشَأْنِهِما خاصّةً في مَرْحَلَةِ الكِبَرِ .

٢ـ عِظَمُ حَقِّ الوالدَيْنِ ، فالأَمْرُ بِرِعايَتِهِما يَأْتي بَعْدَ حَقِّ اللهِ تَعالى .

٣ـ مُراعاةُ الأَلْفاظِ الَّتي تَصْدُرُ مِنَ الابْنِ نَحْوَ والِدَيْهِ لِئَلاَّ تُؤْذِيَهُما كَلِمَةٌ وَلَوْ لَمْ يَقْصُدْ ذَلِكَ .

٤ـ مِنْ بِرِّ الوالدَيْنِ الدُّعاءُ لَهُما في حَياتِهِما وَبَعْدَ مَوْتِهِما .

٥ـ الحَثُّ على التَّوْبَةِ والمُسارَعَةُ إليْها ، وَعَدَمُ إِضْمارِ أَيِّ سُوءٍ في النَّفْسِ .

٦ـ وُجوبُ إِعْطاءِ ذَوي القُرْبى حُقوقَهُمْ مِنَ البِرِّ والصِّلَةِ ، وَكذا المَساكينَ وأبناءِ السَّبيلِ .

٧ـ حُرْمَةُ التَّبْذيرِ والتّنفيرُ مِنْهُ وتَشْبيهُ المُبَذِّرِ بالشَّيْطانِ .

٨ـ الوَعْدُ الحَسَنُ والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ تَقومُ مَقامَ الصَّدَقَةِ لِمَنْ لَمْ يَجِدْ ما يَتَصدَّقُ بِهِ .

٩ـ أهميَّةُ اسْتِحضارِ نِيَّةِ الإنْفاقِ مِمَّا يُتوقَّعُ مِنْ رِزْقٍ وَخيرٍ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما دَلالَةُ عَطْفِ الأَمْرِ بِبِرِّ الوالدَيْنِ على الأَمْرِ بِعبادَةِ اللهِ ؟

٢ـ ما سَبَبُ النَّهْيِ عَنِ التلفُّظِ بِكَلِمَةِ (أُفٍّ) لِلْوالِدَيْنِ أَوْ لأَحَدِهِما ؟

٣ـ ما الأُمورُ الَّتي يَجِبُ على الابْنِ فِعْلُها مَع والديْهِ كَما وَرَدَ في الآياتِ الكَريمَةِ ؟

٤ـ ما الحَقُّ الَّذي يَجِبُ تَقْديمُهُ لِكُلٍّ مِنْ : ذي القُرْبى ، المِسْكينِ ، ابنِ السبيلِ .

٥ـ أـ ما مَعْنَى التَّبْذيرُ ؟

ب ـ ما عِلّةُ النّهيِ عَنْهُ ؟

ج ـ ما أَوْجُهُ الشَّبَهِ بَيْنَ المُبَذِّرِ والشَيْطانِ ؟

٦ـ ماذا يَفْعَلُ مَنْ لَمْ يَجِدْ ما يُقَدِّمُهُ للسّائِلِ ؟

٧ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ على كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أ ـ عَدَمُ جَوازِ الإساءَةِ إلى الوالِدَيْنِ بأيٍّ لَفْظٍ أَوْ فِعْلٍ .

ب ـ وُجوبُ التَعامُلِ مَعَ الوالدَيْنِ بتَذلُّلٍ وَرَحْمَةٍ .

ج ـ عَدَمُ قُدْرَةِ الابْنِ على الوَفاءِ بحَقِّ والديْهِ مَهْما أَحْسَنَ إليْهما .

د ـ يَغْفِرُ اللهُ تَعالى لِمَنْ عَزَمَ على عُقوقِ والدَيْهِ ثُمَّ تابَ عَنْهُ .

هـ ـ المُبَذِّرُ يُشْبهُ الشَّيْطانَ في جَوانبَ مُتعدِّدَةٍ .

و ـ القولُ الحَسَنُ والوَعْدُ بالخَيْرِ يَقومُ مقامَ التَّصَدُّقِ على السَّائِلِ .

ز ـ على المَرْءِ أَنْ يَسْتَصْحِبَ نِيَّةَ البَذْلِ والإنْفاقِ مِمّا يُتوقَّعُ مِنْ رِزْقِهِ .

نَشاطٌ :

١ ـ اذْكُرْ حَديثاً نَبويّاً يَأْمُرُ ببِرِّ الوالِدْين واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

٢ ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ مِنْ سُورَةِ نُوحٍ الّتي بَيَّنَتْ دُعاءَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ لِوالِدَيْهِ .

٣ـ اكْتُبْ مَوْضوعاً عَنْ برِّ الوالدينِ في حَياتِهما وبَعْدَ مَماتِهما مُؤَيِّداً بالأَدِلَّةِ مِنَ الآياتِ والأَحاديثِ ، واقْرَأْهُ على طَلَبَةِ المَدْرَسَةِ في طابورِ الصَّباحِ .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والعِشْرونَ

سورَةُ الإسْراءِ ـ القِسْمُ السّادِسُ

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مَغْلولَةً : مُقيَّدةً بالأغْلالِ ، كِنايةً عَنِ الشُّحِّ والبُخْلِ .

تَبْسُطْها : تَفْتَحْها ، كِنايةً عَنِ الإسْرافِ .

مَحْسورا : نادِماً .

يَقْدِرَ : يُضَيِّقْ .

خَشْيَةَ إمْلاقٍ : خَوْفَ فَقْرٍ .

خَطأً : إثْماً .

لِوَلِيِّه : لِوارِثِهِ .

سُلْطاناً : تَسَلُّطاً .

أَشُدَّهُ : قُوَّتَهُ .



التَّفْسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمَةِ مَزيدٌ مِنَ الوَصايا الإلهيَّةِ لِعبادِهِ كَيْ يُهَذِّبَ نُفوسَهُمْ ويَحْمِيَ مُجْتَمَعاتِهِمْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَسُوءٍ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾

بَعْدَ أَنْ نَهى سُبْحانَهُ عَنِ التَّبْذيرِ ، أَرْشَدَ عِبادَهُ إلى أَفْضَلِ طُرُقِ الإنْفاقِ ، وَذَلِكَ بالتَوسُّطِ والاعْتدالِ فلا يَكونُ المَرْءُ بَخيلاً كَمَنْ قُيِّدَتْ يَدُهُ إلى عُنُقِهِ بالغُلِّ فلا يَسْتَطيعُ الإنْفاقَ ، ولا يَكونُ مُسْرِفاً كَمَنْ يَبْسُطُ يَدَهُ فلا يَبْقى بِكَفِّهِ شَيءٌ ، فإنَّ البُخْلَ والإسْرافَ يُؤَدِّيانِ إلى أَنْ يُلامَ فاعِلُهُما مِنَ اللهِ وَمِنَ النَّاسِ وَمِنَ النَّفْسِ ، فَكلاهُما سُلوكٌ مَذْمومٌ غَيْرُ مَرْضِيٍّ عنهُ . ويُؤَدِّي الإسْرافُ إلى أَنْ يَنْدَمَ فاعِلُهُ بِسبَبِ تَضْييعِهِ ما يَمْلِكُ ، وانْقِطاعِهِ بِذَلِكَ عَنِ الإنْفاقِ وَفِعْلِ الخَيرِ .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾

أَيْ إنَّ تَوْسيعَ الرِّزْقِ وتَضْييقَهُ على العِبادِأَمْرٌ تابِعٌ لإرادَةِ اللهِ تَعالى وَحِكْمَتِهِ وَشُمولِ عِلْمِهِ سُبْحانَهُ بِعبادِهِ ، فإنَّهُ خَبيرٌ بِهِمْ بَصيرٌ بِأَحْوالِهِمْ ، يَعْلَمُ مَنْ يُصْلِحُهُ سَعَةُ الرِّزْقِ والغِنى ويُفْسِدُهُ الفَقْرُ ، ويَعْلَمُ أَنَّ مِنْ عِبادِهِ مَنْ لا يُصْلِحُهُ إلاّ الفَقْرُ ، وَقَدْ تَكونُ السَّعَةُ أَوِ الضِّيقُ ابْتلاءً لِلْعِبادِ واخْتِباراً لَهُمْ ، فَهُوَ سُبحانَهُ خَبيرٌ بِأَحْوالِ عِبادِهِ بَصيرٌ بِهِمْ .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أَنَّ الرِّزْقَ بِيَدِهِ نَهى عَمَّا كانَ يَفْعَلُهُ أَهْلُ الجاهِليَّةِ مِنْ قَتْلِ أَوْلادِهِمْ ، وكانَ مُعْظَمُهُمْ يَخُصُّ البناتِ بالقَتْلِ خَوْفاً مِنَ الفَقْرِ والحاجَةِ المُتَوقَّعَةِ مِنْ بقائِهِمْ ، فإنَّ رِزْقَ هَؤلاءِ الأَوْلادِ وَرِزْقَكُمْ وَرِزْقَ جَميعِ الخَلْقِ مَكفولٌ مِنَ اللهِ ؛ فَهُوَ الَّذي يَرْزُقُهُمْ ويَرْزُقُكُمْ ويَرْزُقُ جَميعَ خَلْقِهِ ، لا تَنْفَدُ خَزائِنُهُ وَلاَ يَمْنَعُ مِنْ فَضْلِهِ ، فَقَتْلُ الأَوْلادِ إِثْمٌ كَبيرٌ وَذَنْبٌ عَظيمٌ ، فإنَّ في ذَلِكَ قَتْلاً لِلنَّفْسِ وَتَجاوُزاً لِحدودِ اللهِ .

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾

أَيْ ولا تَدْنوا مِنَ الزِّنى ولا تُقاربوهُ وهذا النَّهْيُ أَبْلَغُ مِنْ عِبارةِ : لا تَزْنوا ، لأنَّه يُفيدُ النَّهْيَ عن مُقَدِّماتِ الزِّنى كالخَلْوَةِ والتَبرُّجِ والاخْتلاطِ والنَّظَرِ بِشَهْوةٍ . واللَّمْسُ والغَمْزُ وَنَحْوَها مِنَ الأُمورِ الّتي تَجرُّ إلى الزِّنى ، فالنَّهْيُ عَنِ القُرْبِ أَبْلَغُ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الفِعْلِ .

ثُمَّ عَلَّلَ سُبْحانَهُ هَذا النَّهْيَ بِقَوْلِهِ ﴿إنَّهُ كانَ فاحِشَةً وساءَ سَبيلا﴾ أيْ فِعْلاً قَبيحاً وأمْراً مُسْتَنْكراً وَسُلوكاً للطّريقِ السَّيّءِ المُفضي إلى عَذابِ اللهِ تَعالى وَغَضَبِه . والزِّنى يُؤَدِّي إلى اخْتِلاطِ الأَنْسابِ وَفَسادِ المُجْتَمَعِ وانْتِشارِ الأَمْراضِ الخَبيثَةِ النّاتِجَةِ عَنْ هذا الفِعْلِ القَبيحِ .

وكانَ النَّهْيُ عَنْ هَذا الفِعْلِ السَّيّءِ بالنَّهْيِ عَنْ قُرْبانِهِ ، لأنَّهُ مِنَ الأَفْعالِ الّتي تَميلُ إليْها النُّفوسُ ، وتَدْفَعُ نَحْوَها الأهواءُ ، وتَجُرُّ إليْها الشَّهْوةُ ، فَلَزِمَ النَّهْيُ عَنِ القُرْبِ مِنَ الزِّنى المُتَضَمِّنِ النَهْيَ عَنْ فِعْلِهِ مِنْ بابِ أَوْلَى .

﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ .

أَيْ : ولا تَعْتَدوا بالقَتْلِ على النَّفْسِ الإنْسانِيَّةِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ قَتْلَها ، ما لَمْ تَرْتَكِبْ جُرْماً يَسْتَوْجِبُ قَتْلَها شَرْعاً كالرِّدَّةِ أَوِ القَتْلِ العَمْدِ ، فإنَّ القَتْلَ مِنْ أَعْظَمِ الجَرائِمِ وأَفْظَعِها .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أَنَّهُ جَعَلَ لِوَلِيِّ مَنْ قُتِلَ ظُلْماً بِغَيْرِ حَقٍّ سُلْطَةً على القاتِلِ بالاقْتِصاصِ مِنْهُ ، أَوْ أَخْذِ الدِّيَةِ مِنْهُ ، أَوِ العَفْوِ عَنْهُ والتَّنازُلِ عَنِ الدِّيَةِ ، فَلا يَجوزُ لِلوَلِيِّ أَنْ يَتجاوزَ ذَلِكَ الحَقَّ فَيَقْتُلَ غَيْرَ القاتِلِ ، أَوْ يَعْتَدِيَ فَيَقْتُلَ أَكْثَرَ مِنْ واحِدٍ بواحِدٍ ، أَوْ يُقْدِمَ على الاقْتِصاصِ مِنَ القاتِلِ بِنَفْسِهِ أَوْ أَنْ يُمَثِّلَ بِهِ ، فإنَّ إنْزالَ القِصاصِ بالقاتِلِ ، لا يُقيمُهُ إلاَّ الحاكِمُ أَوْ مَنْ يَنوبُ عَنْهُ ، وحَسْبُ الوَلِيِّ أَنَّ اللهَ قَدْ نَصَرَهُ على خَصْمِهِ فَلْيَكُنْ عادِلاً في قِصاصِهِ ، والوَلِيُّ هُوَ مَنْ لَهُ حَقُّ المُطالَبَةِ بِدَمِ المَقْتولِ مِمَّنْ يَرِثُهُ كأَبيهِ وابْنِهِ وأَخيهِ ، ومَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ فالحاكِمُ وَلِيُّهُ .

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ نَهى اللهُ تَعالى عَنْ إتْلافِ النُّفوسِ بالقَتْلِ ، أَتْبَعَهُ بالنَّهْيِ عَنْ إتْلافِ الأَمْوالِ ، فإنَّها أَعَزُّ الأَشْياءِ بَعْدَ النُّفوسِ ، وأَوْلى الأَمْوالِ بالاعْتِناءِ والحِفْظِ مالُ اليَتيمِ لِصِغَرِهِ ، وضَعْفِهِ ، فَنَهى سُبْحانَهُ الأَوْصِياءَ عَنِ القُرْبِ مِنْ مالِ اليَتيمِ ، وفي ذَلِكَ مُبالَغَةٌ في النَهْيِ عَنِ التَّعَرُّضِ لَهُ ، إلاَّ أَنْ يَكونَ التَّصَرُّفُ بِمالِ اليَتيمِ بالطَّريقَةِ الّتي هِيَ أَحْسَنُ ، كأَنْ يَعْمَلَ على إنْمائِهِ وتَكْثيرِهِ ويأْكُلَ مَعَهُ إذا احْتاجَ ، ويَأْخُذَ مِنْهِ شَيئاً إنْ كانَ فَقيراً . ويَسْتَمِرُّ الوَصِيُّ بِحِفْظِ مالِ اليَتيمِ حَتّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَيَصيرَ بالِغاً عاقِلاً راشِداً فَيُسَلِّمَهُ أَمْوالَهُ بأَمانَةٍ وَحُسْنِ أداءٍ .

ثُمَّ أَمَرَ سُبْحانَهُ بالوَفاءِ بالعَهْدِ ، وهُوَ كُلُّ ما مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُراعَى ويُحْفظَ ، والوَفاءُ بِالعَهْدِ هُوَ القِيامُ بِحَقِّهِ والمُحافَظَةِ عَلَيْهِ وإنْفاذِهِ دُونَ تَخاذُلٍ وَتَباطُؤٍ .

﴿إنَّ العَهْدَ كانَ مَسْؤولا﴾ أيْ مَطْلوباً الوفاءُ بِهِ والمَحافَظَةُ عَلَيْهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ عِبادَةُ اللهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ .

٢ـ بِرُّ الوالدَيْنِ والإحْسانُ إليْهما .

٣ـ إيتاءُ الأقارِبِ حَقَّهُمْ وَرِعايَةُ المِسْكينِ وابْنِ السَّبيلِ .

٤ـ القَوْلُ الحَسَنُ عِنْدَما لا يَسْتطيعُ المَرْءُ الإعانَةَ على الحاجَةِ .

٥ـ الإنْفاقُ باعْتِدالٍ مِنْ غَيْرِ تَقْتيرٍ ولا إسْرافٍ .

٦ـ اجتنابُ الزِّنا ، وَرِعايَةُ الأَوْلادِ ، وَحُرْمَةُ قَتْلِهِمْ خَوْفاً مِنَ الفَقرِ .

٧ـ حُرْمَةُ قَتْلِ النَّفْسِ المَعصومَةِ .

٨ـ الحِفاظُ على أَمْوالِ الأَيْتامِ وَحُرْمَةُ أَكْلِها ، والوَفاءُ بالعُهودِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بماذا شَبَّهَتِ الآيةُ الكَريمةُ البَخيلَ ، وَبِماذا شَبَّهَتِ المُسْرِفَ ؟ وما نَتيجَةُ البُخْلِ والإسْرافِ .

٢ـ لماذا لا يُعَدُّ بَسْطُ الرِّزْقِ إكْراماً مِنَ اللهِ لِمَنْ بُسِطَ لَهُ في رِزْقِهِ ؟

٣ـ لماذا كانَ بَعْضُ الجاهِليينَ يَقْتُلونَ أَوْلادَهُمْ ؟

٤ـ لماذا كانَ النَّهْيُ عَنِ الزِّنا بِصيغَةِ (ولا تَقْرَبوا الزِّنا) ؟

٥ـ أـ اذْكُرْ ثلاثاً مِنْ مُقَدِّماتِ الزِّنا .

ب ـ اذْكُرْ ثلاثاً مِنْ مَساوِىءِ الزِّنا .

٦ـ ما المُرادُ بِوَلِيِّ القَتيلِ ؟ وما مَعْنى نَهْيِهِ عَنِ الإسْرافِ في القَتْلِ ؟

٧ـ ما الحالاتُ الَّتي يَجوزُ فيها التَّعامُلُ بِمالِ اليَتيمِ ؟

٨ـ إلى مَتى يَسْتَمِرُّ الوَصِيُّ في حِفْظِ مالِ اليَتيمِ ؟

٩ـ ما مَعْنى العَهْدِ ؟ وما مَعْنى الوَفاءِ بِهِ ؟

١٠ـ متى تكونُ النَّفْسُ مَعْصومَةً يَحْرُمُ قَتْلُها ؟

١١ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ على كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أ ـ يُؤَدِّي البُخْلُ إلى لَوْمِ النَّاسِ لِلْبَخيلِ على هَذا السُّلوكِ المَذْموم .

ب ـ تَضْييقُ الرِّزْقِ لا يَعْني غَضَبَ اللهِ وسَخَطَهُ على مَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ .

ج ـ كانَ بَعْضُ النَّاسِ يَقْتُلونَ أَوْلادَهُمْ خَشْيَةَ الفَقْرِ .

د ـ النَّهْيُ عَنِ القُرْبِ مِنَ المُحَرَّماتِ الَّتي قَدْ تَميلُ إِلَيْها النُّفوسُ لِلْمُبالَغَةِ في التَّحْذيرِ مِنْها .

هـ ـ يُقْتَلُ مَنْ قَتَلَ غَيْرَهُ عَمْداً دُونَ سَبَبٍ .

و ـ لا يَجوزُ لِوَلِيِّ القَتيلِ أَنْ يَقْتُلَ غَيْرَ القاتِلِ .

ز ـ لا يَجوزُ لِوَلِيِّ القَتيلِ أَنْ يَأْخُذَ ثَأْرَهُ بِيَدِهِ دُونَ إِذْنِ الحاكِمِ أَوْ أَمْرِهِ .

ح ـ يَجوزُ لِلْوَصِيِّ الأَكْلُ مَعَ اليَتيمِ مِنْ مالِهِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما وَصَفَ اللهُ بِهِ عِبادَهُ في شَأْنِ الإِنْفاقِ كما جاءَ في سورَةِ الفُرْقانِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مَرَضَيْنِ خَبيثَيْنِ مُعْدِيَيْنِ انْتَشرا بَيْنَ النَّاسِ بِسَبَبِ الزِّنى والشُّذوذِ الجِنْسِيِّ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الأَضْرارُ النَّاجِمَةِ عَنِ انْتِشارِ عادَةِ الثَّأْرِ .

٤ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً يُبَيِّنُ صِفاتِ المُنافِقينَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّلاثونَ

سورَةُ الإِسْراءِ ـ القِسْمُ السّابِعُ

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بالقِسْطاسِ المُسْتَقيم : بالميزانِ العَدْلِ .

تَأْويلا : عاقِبَةً .

لا تَقْفُ : لا تَتَّبِعْ .

مَرَحاً : مُخْتالاً مُتَكَبِّراً .

مَدْحوراً : مُبْعَداً مِنْ رَحْمَةِ اللهِ .

أَفَأَصْفاكُمْ : هَلْ خَصَّكُمْ .

التَّفْسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَتِمَّةُ الوَصايا الحَكيمَةِ الَّتي أَوْصى اللهُ تَعالى بِها عِبادَهُ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾ .

يَأْمُرُ اللهُ تَعالى عِبادَهُ المُؤْمِنينَ أَنْ يُوفوا الكَيْلَ إذا كالوا لِغَيْرِهِمْ ، وأَنْ يَزِنوا بالميزانِ العادِلِ

لِغَيْرِهِمْ ، فلا يُنْقِصوا مِنَ الكَيْلِ ، ولا يُخْسِروا الميزانَ ، فإنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ في الدُّنْيا ، لأنَّهُ يُرَغِّبُ النَّاسَ في التَّعامُلِ مَعَهُمْ ، وأَحْسَنُ عاقِبَةً ومآلاً في الآخِرَةِ لِما يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الأَجْرِ ، والثَّوابِ مِنَ اللهِ تعالى .

وتَخْصيصُ الأَمْرِ بالوَفاءِ في الكَيْلِ ، والميزانِ إذا كانَ لِلْغَيْرِ ، لأنَّهُ الحالُ الَّذي يَقَعُ فيهِ التَّطْفيفُ ، بِخلافِ حالِ الاكْتِيالِ على النَّاسِ فلا يَحْصُلُ فيهِ تَطْفيفٌ ، لأنَّ الإنْسانَ حَريصٌ على نَفْسِهِ ولا يَتهاوَنُ في أَخْذِ حَقِّهِ كامِلاً .

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾

أيْ : قِفْ عِنْدَ حَدِّ عِلْمِكَ ولا تَتَكَلَّمْ بما لا تَعْلَمُ ، ولا تَسِرْ وَراءَ الظُّنونِ والشُّبُهاتِ ، واعْلَمْ أنَّكَ سَتُسْأَلُ يَوْمَ القيامَةِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَسَتُسْأَلُ عَنْ سَماعِ اللَّغْوِ والكَذِبِ والغِيْبَةِ وكَلامِ الزُّورِ ، وَسَتُسْأَلُ عَنْ رُؤْيَةِ المُنْكَراتِ والعَوْراتِ ، وَسَتُسْأَلُ عَنْ مَيْلِ قَلْبِكَ إلى المُحَرَّماتِ والشَّهَواتِ ، وَسَتُسْأَلُ أَعْضاؤُكَ مِنْ سَمْعٍ وبَصَرٍ وَقَلْبٍ وَغَيْرِها عَمّا اسْتَعْمَلْتَها فيهِ ، فَتَنْطِقُ بالحَقِّ وتَشْهَدُ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ فَكُنْ على حَذَرٍ واتَّقِ اللهَ فيما تَفْعَلُ وتَتْرُكُ .

﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾

أيْ : ولا تَمْشِ مُخْتالاً مُتَكَبِّراً مُسْرِفاً في فَرَحِكَ ، مُتَعالِياً بِقُوَّتِكَ أَوْ جاهِكَ أو مالِكَ أَوْ مَنْصِبِكَ ، وكَيْفَ تَتَكَبَّرُ أَيُّها الإنْسانُ في الأَرْضِ وأَنْتَ لا تَقْدِرُ أَنْ تَنْقُبَها مِنْ شِدَةِ وَطْئِكَ عَلَيْها بِقَدَمَيْكَ ؟ وكَيْفَ تَتطاوَلُ على النَّاسِ وأَنْتَ لا تَبْلُغُ مَدى الجِبالِ في الارْتِفاعِ مَهْما تَعالَيْتَ ؟ فأَنْتَ مَخلوقٌ ضَعيفٌ لا يَليقُ بِكَ التَّكَبُّرُ ، فَتَواضَعْ في مَشْيِكَ وفي تَعامُلِكَ مَعَ غَيْرِكَ .

﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾

أيْ : كُلُّ تِلْكَ الأَفْعالِ الّتي نَهى اللهُ تَعالى عَنْ عَمَلِها مَكْروهٌ عِنْدَ اللهِ فاجْتَنِبْها لِتَنالَ رِضى اللهِ .

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾ .

الإشارَةُ بِـ (ذَلِكَ) إلى ما ذُكِرَ في هَذِهِ الآياتِ مِنْ أَوامِرَ ونَواهٍ ، أيْ : ذَلِكَ الَّذي أَمَرْناكَ بِهِ وَنَهَيْناكَ عَنْهُ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ ﷺ ، بَعْضُ ما أَوْحاهُ اللهُ إِلَيْكَ مِنْ كَلامِهِ المُحْكَمِ ، وَشَرْعِهِ السَّوِيِّ ، فَتَمَسَّكْ بِهِ أَنْتَ وَمَنْ تَبِعَكَ واعْمَلْ بِما فيهِ مِنْ أَمْرٍ ، وَكُفَّ عَمَّا فيهِ مِنْ نَهْيٍ .

ثُمَّ نَهى سُبْحانَهُ عَنِ الشِّرْكِ بِهِ وَبَيَّنَ أَنَّ جَزاءَ مَنْ يُشْرِكُ مَعَ اللهِ إلهاً آخَرَ أَنْ يُلْقى في جَهَنَّمَ مَلوماً مِنْ نَفْسِهِ وَمِنَ الآخَرينَ ، وَمُبْعَداً مَطْروداً مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى ، فَكانَ أَوَّلُ هذهِ الآياتِ وآخِرُها في النَّهْيِ

عَن الشِّرْكِ ، لِتأكيدِ التَّوْحيدِ وتَقريرِه ، ولِلتَّنْبيهِ ، على أنَّهُ مَبدأُ الأمْرِ ومُنْتَهاهُ ، وَقدْ خُتِمَتِ الآيةُ الأُولى بِبيانِ حالِ الشِّرْكِ في الحياةِ الدُّنْيا ، وخُتِمَتِ الآيةُ الأُخْرى بِبيانِ حالِهِ في الحَياةِ الآخِرَةِ .

﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾

بَعْدَ أنْ نَهى اللهُ تَعالى عَنِ الشِّرْكِ ، أتبَعَ ذَلِكَ بالذَّمِّ والتَّسْفيهِ لِلْمُشْرِكينَ الَّذينَ زَعَموا أنَّ المَلائِكَةَ بَناتُ اللهِ ، فقالَ لَهُمْ : هَلْ خَصَّكُمْ رَبُّكُمْ بالبنينِ وَهُمْ أفْضَلُ الأولادِ مِنْ وُجْهَةِ نَظَرِكُمْ ، واخْتارَ لِذاتِهِ مِنَ الملائكةِ بناتٍ لَهُ ، وهُنَّ الصِّنْفُ الأدْنى والأقَلُّ شَأْناً مِنَ الأوْلادِ كما تَزْعُمونَ ؟ فَكَيْفَ تَنْسُبونَ إليْهِ الجِنْسَ الَّذي تَكْرَهونَهُ ، وتُفَضِّلونَ أنْفُسَكُمْ عَلَيْهِ باخْتيارِكُمُ البَنينَ ؟ إنَّكُمْ بافْترائِكُمْ أنَّ المَلائِكَةَ بَناتُ اللهِ تَقولونَ على اللهِ قَوْلاً مُنْكراً ، عَظيماً في الإثْمِ ، فإنَّهُ سُبْحانَهُ واحِدٌ أحَدٌ لا والِدَ لَهُ ، ولا وَلَدَ ، تَعالى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبيراً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ لِلالْتِزامِ بِأمْرِ اللهِ تَعالى مَنافِعُ دُنيويَّةٌ زِيادَةً على الأجْرِ العَظيمِ عِنْدَ اللهِ .

٢ـ وُجوبُ مُراعاةِ إيفاءِ الكَيْلِ والعَدْلِ في الوَزْنِ ، وحُرْمَةُ التَّطْفيفِ فِيهِما .

٣ـ حُرْمَةُ القَوْلِ أوِ العَمَلِ دُونَ عِلْمٍ .

٤ـ حُرْمَةُ التَكَبُّرِ والاخْتِيالِ في المَشْي .

٥ـ مُناقَشَةُ المُشْرِكينَ في عَقيدَتِهِمُ الفاسِدَةِ ، وإثباتُ بُطْلانِها وإقامَةُ الحُجَّةِ عَلَيْهِم .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما فائِدَةُ الوَفاءِ بالكَيْلِ والعَدْلِ في المِيزانِ في الدُّنْيا وفي الآخِرَةِ ؟

٢ـ ما سَبَبُ النَّهْي عَنِ اتِّباعِ ما لَيْسَ بِهِ عِلْمٌ ؟

٣ـ عَنْ أيِّ شَيءٍ تُسأَلُ الأعْضاءُ يَوْمَ القِيامَةِ ؟ وكَيْفَ تُجيبُ ؟

٤ـ ما وَجْهُ تَذْكيرِ المُتَكَبِّرِ بِأنَّهُ لَنْ يَخْرِقَ الأرْضَ وَلَنْ يَبْلُغَ الجبالَ طُولاً .

٥ـ بماذا وَصَفَ اللهُ سُبْحانَهُ ما في هذِهِ الآياتِ الكَريمَةِ مِنْ وَصايا ؟

٦ـ ما سَبَبُ إعادَةِ النَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ في آخِرِ هَذِهِ الآياتِ ؟

٧ـ كَيْفَ أَبْطَلَ سُبْحانَهُ زَعْمَ المُشْرِكينَ أَنَّ المَلائِكَةَ بناتُ اللهِ ؟

تَعَلَّمْ :

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشي في حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ إذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إلى يَوْمِ القِيامَةِ »[١] .

نَشاطٌ :

١ـ بَيَّنَتْ سُورَةُ المُطَفِّفينَ صُورَةَ التَّطْفيفِ في الكَيْلِ والمِيزانِ ، اقْرَأَ الآياتِ الَّتي بَيَّنَتْ ذَلِكَ واكْتُبْ كَيْفَ يَكونَ ذَلِكَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اقرأ الآيَةَ مِنْ سورَةِ يس ، الّتي تُخْبِرُ أَنَّ الأَيْدي والأَرْجُلَ تَشْهَدُ على صاحِبِها يَوْمَ القِيامَةِ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

* * *

---

(١) رواه البخاري في كتاب اللباس ، باب من جر ثوبه من الخيلاء ، رقم الحديث ٥٤٥٢ . ورواه مسلم في كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه ، ومعنى : مرجل جمته : مسرح رأسه ، والجمة الشعر الذي يتدلى إلى الكتفين .

يتجلجل : يغوص في الأرض .

الدَّرسُ الحَادِي والثَّلاثونَ

سورَةُ الإسْراءِ - القِسْمُ الثّامِنُ

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- صَرَّفْنا : بيَّنَّا بِصُوَرٍ مُخْتَلِفَةٍ .
- لِيَذَّكَّروا : لِيَتَّعِظوا .
- نُفورا : إعْراضاً .
- لابْتَغَوْا : لَطَلَبوا .
- لا تَفْقَهونَ : لا تَفْهَمونَ .
- حِجاباً مَسْتوراً : ساتِراً مَعنوِيّاً غَيْرَ مُشاهَدٍ .
- أَكِنَّةً : أغْطِيَةً .
- وَقْراً : صَمَماً .



التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكريمةِ إقامةُ الدَّليلِ الواضحِ على إبْطالِ تَعدُّدِ الآلهةِ ، والإخْبارُ عَنْ تَسبيحِ كُلِّ شَيْءٍ للهِ تَعالى ، وأنَّ المُشْرِكينَ لا يَنْتَفِعون مِنْ تِلاوةِ القُرْآنِ الكريمِ لِقَساوةِ قُلوبِهِمْ .

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾

أيْ : وَلَقَدْ بَيَّنّا وأكَّدْنا العِبَرَ والعِظاتِ والأَحْكامَ في هذا القُرْآنِ بأساليبَ مُتَنوِّعَةٍ وصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ ، لِيَتَذَكَّرَ هؤلاءِ المُشْرِكونَ ويَتَّعِظوا ويَعْتَبِروا ، فيَهْتَدوا إلى الحَقِّ ويُؤْمِنوا باللهِ رَبِّهِمْ ، وَلكِنَّ هَؤلاءِ الضّالينَ المُكَذِّبينَ لا يُريدونَ هِدايَةً ولا رَشاداً ، فإنَّهُمْ مَعَ تَكْرارِ التَّذْكيرِ وتأْكيدِ الدَّعْوَةِ إلى الخَيْرِ لا يَزْدادونَ إلاّ بُعْداً عَنِ الحَقِّ وإصْراراً على الباطِلِ وإعْراضاً عَنِ التَدبُّرِ والانْتِفاعِ بما في القُرْآنِ الكريمِ .

﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾

قُلْ يا أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ لِهؤلاءِ المُشْرِكينَ الَّذينَ يَزْعُمونَ أنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرى مِنَ الأَصْنامِ وَغَيْرِها : لَوْ صَحَّ ما تَزْعمونَهُ وَتَفْتَرونَهُ مِنْ وُجودِ آلِهَةٍ مَعَ اللهِ لَطَلَبَ هؤلاءِ الآلِهَةُ بِكُلِّ جُهْدِهِمْ وقُوَّتِهِمْ أَنْ يَسْلُكوا طَريقاً إلى اللهِ ذي السُّلْطانِ ، لِيُشارِكوهُ الأَمْرَ وَيُنازِعوهُ في مُلْكِهِ وَيَتَقاسَموهُ مَعَهُ ، كَما هُوَ شَأْنُ الشُّرَكاءِ ، وَعادَةُ الحُكّامِ فيما بَيْنَهُمْ ، ولَكِنَّ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لأَنَّ هذهِ الآلِهَةَ الَّتي تَزْعُمونَها عاجِزَةٌ لا تَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ نَفْسِها شَيْئاً فَضْلاً عَنْ أَنْ تَمْلِكَ أَمْرَ غَيْرِها .

وَمِثْلُ هذهِ الآيةِ قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون : ٩١] .

﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾

تَنَزَّهَ اللهُ سُبْحانَهُ وَتعالى عُلُوّاً كَبيراً عمّا يَقولُهُ المُشْرِكونَ في شَأْنِهِ مِنْ نِسْبَةِ الشَّريكِ والوَلَدِ لَهُ ، فإنَّهُ سُبْحانَهُ هُوَ الواحِدُ الأَحَدُ ، لا شَريكَ لَهُ ولا وَلَدَ .

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ .

أيْ : تُنَزِّهُ اللهَ تَعالى وَتُقَدِّسُهُ وَتُمَجِّدُهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَمَنْ فيهِنَّ مِنْ مَخلوقاتٍ كَثيرةٍ مُتَنوِّعَةٍ ، والأَرْضُ وَمَنْ فيها مِنْ إنْسٍ وَجِنٍّ وَجَماداتٍ ونَباتاتٍ وَحيواناتٍ وَغَيْرِها مِمّا نَعْلَمُهُ ولا نَعْلَمُهُ ، فَكُلُّ

المَخلوقاتِ تُسَبِّحُ اللهَ تعالى وتُنَزِّهُهُ وتَحْمَدُهُ ، وَلَكِنَّكُمْ أَيُّها البَشَرُ لا تَفْهمونَ تَسْبيحَهُمْ ، فإنَّهُ بِهَيْئَةٍ وَطَريقَةٍ غَيْرِ مَعْلومَةٍ لَكُمْ ، وَبِلُغَةٍ تَخْتَلِفُ عَنْ لُغَتِكُمْ ، وَلَيْسَتْ في مُسْتوى إدْراكِكُمْ .

وفي هذا الإخبارِ عَنْ تَسْبيحِ كُلِّ شَيْءٍ للهِ تعالى ، تَنْبيهٌ لِلْبَشَرِ أَنْ يُداوِموا على التَّسْبيحِ والحَمْدِ وطاعَةِ اللهِ تَعالى حَتَّى لا يكونَ الإنْسانُ الَّذي كَرَّمَهُ اللهُ وفَضَّلَهُ أَقَلَّ مِنْ غَيْرِهِ في طاعَةِ اللهِ وَذِكْرِهِ وتَسْبيحِهِ وتَمْجيدِهِ ، وَلِذا كانَ خَتْمُ الآيَةِ بِقَوْلِهِ : ﴿إنَّهُ كانَ حَليماً غَفوراً﴾ لِحَثِّ البَشَرِ على المُبادَرَةِ إلى التَّسْبيحِ والطَّاعَةِ ، فاللهُ حَليمٌ بِهِمْ ، لا يُعاجِلُ مُسيئَهُمْ بالعِقابِ بَلْ يُمْهِلُهُ لَعَلَّهُ يَرْجِعُ ويَنْزَجِرُ . وغَفورٌ لِمَنْ تابَ مِنْهُمْ وآمَنَ وانْتَظَمَ في سِلْكِ المُسَبِّحينَ الحامِدينَ للهِ رَبِّ العالَمينَ .

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أَنَّهُ إذا قَرَأَ القُرْآنَ على المُشْرِكينَ لِيَدْعوهُمْ بِهِ إلى اللهِ تَعالى لِيُؤْمِنوا بِهِ ويَعْبُدوهُ وَحْدَهُ ، جَعَلَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُمْ حاجِزاً يحولُ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ فَهْمِ القُرْآنِ وإدْراكِ ما فيهِ مِنَ الهِدايَةِ ، عُقوبَةً مِنَ اللهِ تَعالى لَهُمْ على كُفْرِهِمْ ، فَهُمْ يَسْمَعونَ الآياتِ وَلَكِنَّهُم لا يَتَدبَّرونَ مَعناها ولا يتَأَثَّرونَ بِها ولا يَنْتَفِعونَ مِنْها .

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾ .

وَجَعَلْنا على قُلوبِ هَؤلاءِ الَّذينَ لا يُؤْمِنونَ بالآخِرَةِ أَغْطِيَةً تَسْتُرُها عَنْ فَهْمِ القُرْآنِ ، وجَعَلْنا في آذانِهِمْ صَمَماً يَمْنَعُهُمْ مِنْ سَماعِهِ والانْتِفاعِ بِهِ ، وإذا سَمِعَكَ هؤلاءِ المُشْرِكونَ تَقْرَأُ آياتٍ مِنَ القُرْآنِ وَتَدْعو إلى تَوْحيدِ اللهِ وَذَمِّ آلِهَتِهِمْ وأَصْنامِهِمْ ، انْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ وَرَجَعوا على أعْقابِهِمْ مُعْرِضينَ عَنْ سَماعِ كلامِ اللهِ الدَّاعي إلى تَوْحيدِهِ وتَمْجيدِهِ ، فَهُمْ يَسْمَعونَ الآياتِ ولَكِنَّهُمْ لا يَنْتَفِعونَ فيها ، ولا يَتَدبَّرونَ مَعْناها فكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعوا شَيْئاً .

وإسْنادُ الفِعْلِ إلى اللهِ تَعالى في قَوْلِهِ (جَعَلْنا) لِلدَّلالَةِ على أَنَّهُ أَمْرٌ ثابِتٌ فيهِمْ لا يَزولُ عَنْهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ أَهَمِيَّةُ التَّنْويعِ في أُسْلوبِ الدَّعْوَةِ لَعَلَّ في بَعْضِها مِنَ التَّأْثيرِ ما لا يُوجَدُ في غَيْرِها .

٢ـ جَوازُ الاسْتِدلالِ بالأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ لإحْقاقِ الحَقِّ وإثْباتِهِ .

٣ـ كُلُّ مَنْ في السَّماواتِ والأَرْضِ مِنْ مَخْلوقاتٍ تُسَبِّحُ اللهَ وتَحْمَدُهُ بِكَيْفِيَّةٍ غَيْرِ مَعْلومَةٍ لِلْبَشَرِ .

٤ـ الإنسانُ أَوْلى مِنْ غَيْرِهِ بالتَّسْبيحِ والتَّحْميدِ فَهُوَ المَخْلوقُ المُفَضَّلُ بالعَقْلِ على سائِرِ المَخلوقاتِ .

٥ـ كَمْ مِنْ سامعٍ لِلْقُرآنِ غَيْرُ مُنْتَفعٍ بِهِ ولا عاملٍ بما فيه .

٦ـ وُجوبُ تَدبُّرِ مَعاني الآياتِ والإنْصاتِ لَها والعَمَلِ بِمُقْتَضاها لِئَلاّ يَكونَ المَرْءُ شَبيهاً بالمُشْرِكينَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما فائِدَةُ تَصْريفِ الآياتِ وتَنْويعِ أُسْلوبِ التَّذْكيرِ في القُرآنِ الكَريمِ ؟

٢ـ كَيْفَ أَبْطَلتِ الآيةُ الكَريمَةُ اعْتِقادَ المُشرِكينَ وُجودَ آلِهَةٍ مَعَ اللهِ ؟

٣ـ ماذا يَسْتَفيدُ المَرءُ العاقِلُ مِنْ إعْلامِهِ بِتَسْبيحِ كُلِّ شَيْءٍ للهِ تَعالى ؟

٤ـ هل يُمْكِنُ للإنْسانِ مَعْرِفَةُ كَيْفيةِ تَسْبيحِ المَخْلوقاتِ الأُخْرى ؟

٥ـ ما وَجْهُ خَتْمِ آيةِ الإخْبارِ عَنْ تَسْبيحِ المَخْلوقاتِ للهِ تَعالى بِقَوْلِهِ : ﴿إنَّهُ كانَ حَليماً غفورا﴾ ؟

٦ـ ما مَعْنى : ﴿حِجاباً مَسْتورا﴾ ؟

٧ـ بَيِّنْ حالَ المُشْرِكينَ عِنْدَ اسْتِماعِهِمْ لِتِلاوَةِ القُرآنِ الكَريمِ كَما بَيَّنَتْهُ الآياتُ الكَريمَةُ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةً مِنْ سُورَةِ الكَهْفِ تُشيرُ إلى التَّصْريفِ لِلنّاسِ في القُرْآنِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حديثاً يَذْكُرُ تَسْبيحَ الحَصى بَيْنَ يَدَيْ رَسولِ اللهِ ﷺ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مِنْ سُورَةِ نُوحٍ الآياتِ الّتي بَيَّنَتْ كَيْفَ كانَ قَوْمُهُ يَسْتَقْبِلونَ دَعْوَتَهُ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّانِي والثَّلاثونَ

سورَةُ الإسْراءِ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ

نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

نَجْوى : يَتحدَّثونَ سِرّاً .

رُفاتاً : حُطاماً ، فُتاتاً .

يَكْبُرُ : يَعْظُمُ .

فَطَرَكُمْ : خَلَقَكُمْ على غَيْرِ مِثالٍ سابقٍ .

فَسَيُنْغِضونَ : يُحَرِّكونَ رُؤوسَهُمْ تعَجُّباً .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ كَشْفُ أَسْرارِ المُشرِكينَ الَّتي كانوا يَتَناجَوْنَ بِها ، والرَّدُّ عَلَيْهِم في إنْكارِهِمُ البَعْثَ بَعْدَ المَوْتِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ .

هذا إخْبارٌ بإحاطَةِ عِلْمِ اللهِ تَعالى بكُلِّ شَيْءٍ ، ومِنْ ذَلِكَ عِلْمُهُ بحالِ المُشْرِكينَ وَهُمْ يَسْتَمِعونَ لِقراءَةِ رَسولِ اللهِ ﷺ القُرآنَ فَتراهُمْ يَسْخَرونَ مِنْها وَيَسْتَهْزِئونَ بها وَيَلْغَوْنَ في أثنائِها ، وَعِلْمُهُ بحالِ المُشْرِكينَ وُهَمْ يَتَناجَوْنَ فيما بَيْنَهُمْ وَيُوصي بَعْضُهُم بَعْضاً بعَدمِ اتِّباعِ رَسولِ اللهِ ﷺ فيما يَدْعوهُمْ إليْهِ ، واتِّهامِهِ بأنَّهُ رَجُلٌ أَصابَهُ السِّحْرُ ، فأَخْرَجَهُ عَنْ وَعْيِهِ وَصَوابِهِ .

والمَقْصودُ مِنْ كَشْفِ حالِ المُشْرِكينَ ، تَهديدُهُمْ ، وإنْذارُهُمْ وتَسْلِيَةُ الرَسولِ ﷺ .

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾

أيْ : انْظُرْ وتأَمّلْ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ مُتَعَجِّباً مِنْ سَفاهَتِهِمْ كَيْفَ تَطاوَلوا عَلَيْكَ وَزَعموا أنَّكَ مَسْحورٌ ، ووصَفوكَ مِنْ قَبْلُ بالجنونِ والكَهانَةِ وزَعَموا أنَّكَ شاعِرٌ وَساحِرٌ ، فَضلّوا بكَلامِهِمْ عَنِ الحَقِّ ، وتَحَيَّروا في أَمْرِهِمْ مَعَكَ ، ولَمْ يَهْتَدوا إلى طريقٍ يَنالُ مِنْكَ أَوْ يَصْرِفُ النَّاسَ عَنْكَ .

﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ﴾

في هذهِ الآيةِ إخْبارٌ عَنْ ضَلالٍ آخَرَ مِنْ ضلالاتِ المُشْرِكينَ وَهُوَ اسْتِبْعادُهُمُ البَعْثَ بَعْدَ المَوْتِ ، فَقالوا مُنْكِرينَ ذَلِكَ الأَمْرَ غايَةَ الإنْكار : أَئِذا مِتْنا وَصِرْنا عِظاماً بالِيةً ، وَحُطاماً مُفَتَّتاً أَنُبْعَثُ مِنْ قُبورِنا ، ونُخْلَقُ خَلْقاً جديداً ، فَرَدَّ اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ بما يُؤَكِّدُ حُصولَ البَعْثِ :

﴿ ۞ قُل كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ ﴾

أيْ قُلْ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ لِهؤلاءِ المُنْكِرينَ لِلْبَعْثِ : كُونوا إنْ اسْتَطَعْتُمْ حِجارةً كالَّتي تَعْبُدونَها مِنْ دونِ اللهِ أَوْ حديداً كالَّذي تَسْتَعْمِلونَهُ في شُؤونِ حياتِكُمْ .

﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾ .

أَوْ كونوا خَلْقاً آخَرَ سِوى الحِجارَةِ والحَديدِ مِمَّا يَعْظُمُ وَيُسْتَبْعَدُ في ظَنِّكُمْ قَبولُهُ لِلْحَياةِ ، فإنَّ اللهَ لا يُعْجِزُهُ أَنْ يُعيدَكُمْ إلى الحياةِ مَرَّةً أُخْرى ، ويُحاسِبَكُمْ على أعْمالِكُمْ ويُجازِيكُمْ عَلَيْها بما تَسْتَحِقّونَ .

فالمَقْصودُ مِنْ الجُمْلَةِ الكريمَةِ بيانُ أَنَّ قُدْرَةَ اللهِ تَعالى لا يُعْجِزُها شَيْءٌ وأَنَّهُ سُبْحانَهُ قادرٌ على البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ مَهْما تَطاولَ الزَّمَنُ ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ﴾ أيْ فَسَيقولُ لَكَ المُشْرِكونَ في اسْتِغْرابٍ واسْتِبْعادٍ : مَنْ يَسْتَطيعُ أَنْ يُعيدَنا إلى الحَياةِ بَعْدَ أَنْ نكونَ عِظاماً وحُطاماً أَوْ حِجارةً أَوْ

حديداً ﴿ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ فقُلْ لَهُمْ أيّها الرّسولُ الكَريمُ : إنَّ اللهَ الّذي خَلَقَكُمْ أوّلَ مَرَّةٍ على غيْرِ مِثالٍ سابقٍ قادرٌ على أَنْ يُعيدَكُمْ إلى الحَياةِ مَرَّةً أُخْرى .

﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ﴾ حينما يَسْمَعُ المُشْرِكونَ هذا الجَوابَ سَيُحَرِّكونَ رُؤوسَهُمْ مُسْتَنْكِرينَ ومُسْتَغْرِبينَ ، قائلينَ في دَهْشَةٍ وتَكْذيبٍ : مَتى يَكونُ ذَلِكَ اليومُ الَّذي نَعودُ فيهِ إلى الحَياةِ . ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ فقُلْ لَهُمْ : سَيَكُونُ هذا البَعْثُ قَريباً ، فإنَّ كُلَّ آتٍ قَريبٌ .

﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾

أيْ سَتُبْعَثونَ يَوْمَ يَدْعوكُمُ الدّاعي إلى القِيامِ مِنَ القُبورِ فَتُلَبُّونَ نِداءَهُ بِسُرْعَةٍ وانْقيادٍ وأَنْتُمْ تَحْمَدونَ اللهَ تَعالى على كَمالِ قُدْرَتِهِ ، ناسينَ ما كُنْتُمْ تَزْعُمونَهُ في الدُّنْيا مِنْ إنْكارِ البَعْثِ والنُّشورِ ، وتَحْسَبونَ أنَّكُمْ ما لَبِثْتُمْ في الأَرْضِ وفي القُبورِ إلاَّ زَمَناً قَليلاً لِهَوْلِ ما تَرَوْنَ مِنْ أحداثِ يَوْمِ القِيامَةِ .

والمُرادُ بالدَّعْوَةِ : النَّفْخَةُ الثّانِيَةُ في الصُّورِ ، كَما جاءَ في آياتٍ أُخْرَى ، مِنْها قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر : ٦٨] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ إحاطَةُ عِلْمِ اللهِ تَعالى بِكُلِّ شَيْءٍ ، فلا تَخْفى عَلَيْهِ دَسائِسُ أَعْداءِ هذا الدِّينِ ومَكْرُهُمْ بِهِ وَكَيْدُهُمْ .

٢ـ عَدَمُ قُدْرَةِ المُشْرِكينَ على هَدْمِ هذا الدِّينِ والقَضاءِ عَلَيْهِ .

٣ـ تَبيينُ ما كانَ عَلَيْهِ المُشْرِكونَ مِنَ اسْتِبْعادِ البَعْثِ واسْتِنْكارِهِ .

٤ـ جَوازُ مُجاراةِ الخَصْمِ وافْتِراضِ مُسْتَحيلاتٍ مَعَهُ لإقْناعِهِ ومُحاوَرَتِهِ .

٥ـ المُحاوَرَةُ بالأُسلوبِ الهادِئِ المُقْنِعِ .

٦ـ الأهوالُ والأَحْداثُ العَظيمَةُ تُنْسي المَرْءَ ما قَبْلَها مِنْ سُرورٍ ورَغَدِ حياةٍ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماذا كانَ المُشْركونَ يَفْعلونَ في أَثْناءِ سَماعِهِمُ الآياتِ ؟ وماذا كانوا يَفْعَلُون بَعْدَ ذَلِكَ ؟

٢ـ لماذا اخْتَلَفَتْ أقوالُ المُشْرِكينَ في الرَّسولِ ﷺ ؟

٣ـ بماذا أَمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أنْ يَرُدَّ على المُشْرِكينَ في اسْتِبْعادِهِمُ البَعْثَ ؟

٤ـ لماذا يَحْسَبُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ أَنَّهم لَمْ يَعيشوا إلاَّ زَمناً قليلاً ؟

٥ـ بَيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أـ نَحْنُ أَعْلَمُ بما يَسْتَمِعونَ بهِ إذْ يَسْتَمِعونَ إليْكَ .

ب ـ انْظُرْ كَيْفَ ضَربوا لَكَ الأَمْثالَ فَضَلّوا .

ج ـ فلا يَسْتَطيعون سَبيلاً .

د ـ أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ في صُدوركُمْ .

هـ ـ فَسَيُنْغِضونَ إليْكَ رُؤوسَهُمْ .

و ـ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ .

ز ـ فَتَسْتَجيبونَ بِحَمْدِهِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةَ سُورَةِ يس الدَّالَّةَ على مَقولَةِ الكافِرينَ واسْتِغْرابِهِمْ أَمْرَ البَعْثِ .

❋ ❋ ❋

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الإِسْراءِ ـ القِسْمُ العاشِرُ

وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَنْزَغُ بَيْنَهُم : يُفْسِدُ بَيْنَهُمْ .

وَكيلا : مُوَكَّلاً إليْكَ أَمْرُهُمْ .

زَبورا : كِتابا .

تَحْويلا : نَقْلَهُ إلى غَيْرِكُمْ .

الوَسيلَةَ : القُرْبَةَ بالطَّاعَةِ .

مَحْذوراً : جَديراً أنْ يُحْذَرَ .

مَسْطوراً : مَكْتوباً .

التَّفْسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَوْجيهٌ لِلْمُسْلِمِ كَيْ يَحْذَرَ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطانِ ، وَإِخْبارٌ بِشُمولِ عِلْمِ اللهِ

تَعالى ، وتَحْذيرُ المُشْركينَ مِنَ الهَلاكِ والتَّعْذيبِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ .

أيْ : قُلْ أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ لِلْمُؤْمِنينَ الَّذين تَشرَّفوا بالانْتِسابِ إليَّ ، أنَّ يَقولوا فيما بَيْنَهُمْ وفي تَعامُلِهِمْ مَعَ غَيْرِهِمُ الكَلِمَةَ الحَسَنَةَ الطَّيِّبَةَ ، وأنْ يَدعو إلى اللهِ بالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ، وأنْ يُقابلوا الإساءَةَ بالإحْسانِ ، فَيُبْطِلوا بذَلِكَ كَيْدَ الشَّيْطانِ الَّذي يُفْسِدُ بَيْنَ النَّاسِ وَيُثيرُ بَيْنَهُمُ العَداوَةَ والبَغْضاءَ وَيَبُثُّ بَيْنَهُمُ الأحْقادَ ، ويُغْريهِمْ بالكُفْرِ والآثامِ وَيُزَيِّنُ القَبيحَ ويَدْفَعُ إلَيْهِ ، ويُقَبِّحُ الحَسَنَ وَيُنَفِّرُ مِنْهُ ، فَهُوَ عَدوٌّ ظاهِرُ العَداوَةِ لِلإنْسانِ ، وَلِذا يَنْبَغي الحَذَرُ مِنْهُ واللُّجوءُ إلى اللهِ تَعالى لِدَفْعِ شَرِّهِ وَرَدِّ كَيْدِهِ بالاسْتِعاذَةِ مِنْهُ .

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ ﴾

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ عِبادَهُ جَميعاً أنَّهُ أعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِم ، وأنَّهُ يَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ مِنْهُم ، أَيْ مَنْ يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ مِنْهُم ، وَهُمُ المُهْتَدونَ الطَّائِعونَ ، والمُلْتَزِمونَ بِأَمْرِهِ في الحَذَرِ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطانِ ، ويُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ ، أيْ مَنْ يَسْتَحِقُّ العَذابَ وَهُمُ المُشْرِكونَ ، والمُسْتَجيبونَ لِنَزْغِ الشَّيْطانِ وإضْلالِهِ ، وإنَّ مُهِمَّتَكَ أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ هِيَ التَّبْليغُ والدَّعْوَةُ إلى الإسْلامِ ، وَلَمْ يُوكَلْ إلَيْكَ أَمْرُ النَّاسِ في إجْبارِهِمْ وإكْراهِهِمْ على الدُّخولِ في الإسْلامِ .

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾

ولا يَقْتَصِرُ عِلْمُ اللهِ تَعالى على البَشَرِ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ في السَّماواتِ والأَرْضِ ، لا تَخْفى عَلَيْهِ خافِيَةٌ فِيهِما ولا يَغيبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ في السَّماواتِ ولا في الأَرْضِ ، ولا أصْغَرُ مِنْها ولا أكْبَرُ .

وَيَعْلَمُ الطَّائِعينَ مِنْ عِبادِهِ وَمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْهُمُ الاصْطِفاءَ والاخْتيارَ ، فَيَخْتارُ مَنْ يَشاءُ مِنْهُم لِلنُّبوَّةِ ، وَهُمْ صَفْوَةُ البَشَرِ وَخيرَةُ الخَلْقِ ، وَهُمْ مُتَفاوِتونَ فيما بَيْنَهُمْ ، فَقَدْ فَضَّلَ سُبْحانَهُ بَعْضَ النَّبِيِّينَ على بَعْضٍ ، فَمِنْهُمُ الكَليمُ ، والخَليلُ ، والمُؤَيَّدُ بِروحِ القُدُسِ .

﴿وآتَيْنا داودَ زَبورا﴾ أيْ وَفَضَّلْنا داودَ عَلَيْهِ السَّلامُ بإنْزالِ كِتابٍ عَلَيْهِ . وَوَجْهُ تَخْصيصِ داودَ عَلَيْهِ السَّلامُ بالذِّكْرِ التَّنبيهُ إلى أنَّ فَضْلَهُ ومَنْزِلَتَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمْ تَكُنْ بِسَبَبِ كَوْنِهِ مَلِكاً ، إنَّما كانَ ذَلِكَ بالنُّبوَّةِ وإنْزالِ الزَّبورِ عَلَيْهِ ، فالكُتُبُ المُنْزَلَةُ على الأَنْبياءِ شَهادَةٌ مِنَ اللهِ تَعالى بِفَضْلِهِمْ .

﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ .

أيْ : قُلْ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ لِلْمُشْرِكينَ الَّذينَ يَعْبدونَ غَيْرَ اللهِ ، ويَدَّعونَ كَذِباً أَنَّها آلِهَةٌ ، قُلْ لَهُمْ على سَبيلِ التَّحَدِّي : اطْلبوا مِنْ آلِهَتِكُمْ الّتي تَعْبُدونَها أَنْ تَدْفَعَ عَنْكُم ما يَنْزِلُ بِكُمْ مِنْ ضُرٍّ كالمَرَضِ والقَحْطِ والفَقْرِ ، أَوْ أنْ تَنْقُلَهُ عَنْكُم إلى غَيْرِكُمْ فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ ذَلِكَ ، وَهِيَ لا تَسْتَطيعُ ، فاتْرُكوا عِبادَتَها ، وأَخْلِصوا العِبادَةَ لِمَنْ يَقْدِرُ عَلى دَفْعِ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَجَلْبِ الخَيْرِ لَكُمْ ، وَهُوَ اللهُ سُبْحانَهُ .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ .

سَببُ النُّزولِ : عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : كانَ نَفَرٌ مِنَ الإِنْسِ يَعْبدونَ نَفَراً مِنَ الجِنِّ فَأَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الجِنِّ ، واسْتَمْسَكَ الإِنْسُ بِعبادَتِهِمْ ، فَنَزَلَتْ هذهِ الآيَةُ[1] .

هذهِ الآيَةُ تُبَيِّنُ أَنَّ بَعْضَ المَعبودينَ مِنْ دُونِ اللهِ قَدْ يَكونونَ مِنَ المُؤْمِنينَ باللهِ ، كَهؤلاءِ النَّفَرِ مِنَ الجِنِّ ، وَعيسى بنِ مَرْيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وعُزَيْرٍ ، والملائكةِ ، وأَنَّ هَؤلاءِ عُبِدوا مِنْ دونِ اللهِ دُونَ عِلْمِهِمْ أَوْ دُونَ رِضاهُمْ ، وأَنَّهُمْ يَتَقرَّبونَ إلى رَبِّهِمْ وخالِقِهِمْ بالطّاعاتِ ، ويَتنافَسونَ في التَقرُّبِ إِليْهِ ، ويَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ ويَخافونَ مِنْ عذابِهِ ، وإنَّ عذابَ اللهِ لَجديرٌ أَنْ يُحْذَرَ مِنْهُ لِعَظَمَتِهِ وشِدَّتِهِ فإذا كانَ هؤلاءِ المُعْبودونَ يَطْلبونَ التَقرُّبَ مِنَ اللهِ ويَتَوسَّلونَ إليْهِ بالطّاعَةِ والعِبادَةِ فَكَيْفَ تَعبدونَهُمْ ؟ وتَتْرُكونَ عِبادَةَ اللهِ ؟

وفي الآيَةِ التّالِيَةِ تَهْديدٌ شَديدٌ لِلْمُشْرِكينَ إنِ اسْتَمَرّوا على كُفْرِهِمْ وَعِبادَةِ غَيْرِ اللهِ تَعالى فإنَّ مِنْ سُنَّةِ اللهِ تَعالى إهْلاكُ المُكَذِّبينَ .

﴿ وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ .

أيْ : ما مِنْ قَرْيَةٍ مِنْ قُرى الكُفَّارِ الظّالِمينَ إلاَّ سَيُهْلِكُ اللهُ أَهْلَها بأنْ يُبيدَهُمْ جَميعاً كما حَصَلَ مَعَ قَوْمِ نُوحٍ وهُودٍ وصالِحٍ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، أَوْ يُعَذِّبَهُمْ عَذاباً شَديداً دونَ الإهْلاكِ وَذَلِكَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وخطاياهُمْ ، وهذا الإهْلاكُ أَو التَّعذيبُ أَمْرٌ ثابتٌ مَكْتوبٌ في اللَّوحِ المَحْفوظِ .

وتَقْييدُ الإهْلاكِ بأَنَّهُ (قَبْلَ يَوْمِ القِيامَةِ) لأنَّ الإهْلاكَ يوْمَ القيامةِ يَشْمَلُ جَميعَ القُرى ، وتَخْصيصُ الإهْلاكِ بِقُرَى الكُفّارِ والظّالِمينَ مَأْخوذٌ مِنْ آياتٍ أُخْرى كَقَوْلِهِ تَعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ

(١) رواه مسلم في كتاب التفسير ، باب في قوله تعالى : ﴿أولئك الذين يدعون. . .﴾ رقم الحديث ٧٤٧١ .

يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ۝٥٩ ﴾ [القصص : ٥٩] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ أهميَّةُ الْتِزامِ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ ومُقابَلَةِ الإساءَةِ بالإحْسانِ .

٢ـ التَّحْذيرُ مِنْ وَساوِسِ الشَّيْطانِ وكَيْدِهِ ، وَعَدَمُ الوُقوعِ في إغْراءاتِهِ وَحَبائِلِه .

٣ـ البُعْدُ عَنْ رَمْيِ المُؤْمِنينَ بِما يُؤَجِّجُ نارَ الفِتَنِ والأَحْقادِ فيما بَيْنَهُمْ والانْشغالُ عَنْ ذَلِكَ بالدَّعْوَةِ .

٤ـ عِلْمُ اللهِ تَعالى شامِلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ ، فَهُوَ يَعْلَمُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ وَمَنْ يَسْتَحِقُّ العَذابَ .

٥ـ إقامَةُ الحُجَّةِ على المُشْرِكينَ بِعَدَمِ قُدْرَةِ مَعْبوديهِمْ على جَلْبِ النَّفْعِ لَهُمْ أَوْ دَفْعِ الضُّرِّ عَنْهُم ، وأَنَّ بَعْضَ مَنْ يَعْبُدونَهُمْ مُؤْمنينَ باللهِ قائمينَ بطاعَتِه .

٦ـ اسْتِحْقاقُ الكُفّارِ الهَلاكَ في الدُّنْيا والعَذابَ في الآخِرَةِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا أَمَرَ اللهُ عِبادَهُ أَنْ يَقولوا الَّتي هيَ أَحْسَنُ ؟

٢ـ ما مُهِمَّةُ الرَّسولِ ﷺ كَما بَيَّنَتْها الآيةُ الكَريمَةُ ؟

٣ـ ما سَبَبُ تَخْصيصِ داودَ عَلَيْهِ السَّلامُ بالذِّكْرِ ؟

٤ـ على ماذا يَدُلُّ عَدَمُ اسْتِطاعَةِ المَعْبودينَ كَشْفَ الضُّرِّ أَوْ تَحويلَهُ عَنْ عابِديهِمْ .

٥ـ ما القُرى المَقْصودَةُ بالإهْلاكِ والتَّعْذيبِ ؟

٦ـ ما سَبَبُ نُزولِ الآيةِ (٥٧) ؟

٧ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ على كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أ ـ مُحاوَلَةُ الشَّيْطانِ الإفْسادَ بَيْنَ النَّاسِ .

ب ـ عَداوَةُ الشَّيْطانِ للإِنْسانِ .

ج ـ عِلْمُ اللهِ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ وَمَنْ يَسْتَحِقُّ العَذابَ .

د ـ تَفْضيلُ بَعْضِ النَّبيينَ على بَعْضٍ .

هـ ـ اسْمُ الكِتابِ المُنَزَّلِ على داودَ عَلَيْهِ السَّلامُ : الزَّبورُ .

و ـ المَعْبودونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَسْتَطيعونَ إزالَةَ الضُّرِّ عَنْ عابديهِمْ .

ز ـ بَعْضُ المَعْبودينَ مِنْ دُونِ اللهِ يَتَقرَّبونَ إلى اللهِ بطاعَتِهِ .

ح ـ المَعْبودُ مِنْ دُونِ اللهِ لا يُؤاخَذُ على ذَلِكَ إنْ كانَ لا يَعْلَمُ بِهِ أَوْ لا يَرْضاهُ .

ط ـ الكُفْرُ بَعْدَ بُلوغِ الدَّعْوَةِ ومَعْرِفَةِ الحَقِّ سَبَبٌ للإِهْلاكِ أَوِ التَّعذيبِ الشَّديدِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً شَريفاً يُبَيِّنُ فَضْلَ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ .

٢ـ اكْتُبِ اسْمَ النَّبيِّ الَّذي خَصَّهُ اللهُ تَعالى بِكُلٍّ مِمّا يلي :

أ ـ خليلِ اللهِ .

ب ـ كليم اللهِ .

ج ـ أَفْضَلِ الرُّسُلِ وخاتَمِهِمْ .

د ـ روحِ اللهِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الإِسْراءِ - القِسْمُ الحادي عَشَرَ

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بالآياتِ : بِالمُعْجزاتِ .

مُبْصِرَةً : بَيِّنَةً واضِحَةً .

فَظَلَموا بِها : فَكَفروا بِها .

أَحاطَ بالنَّاسِ : شَمَلَهُم بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ .

الرُّؤْيا : ما يَراهُ الإِنْسانُ في مَنامِهِ .

الشَّجَرَةَ المَلْعونَةَ : شَجَرَةُ الزَّقوم .

طُغْياناً : مُجاوَزَةً لِلْحَدِّ .

أَرَأَيْتَكَ : أَخْبِرْني .

لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ : لأَسْتَوْلِيَنَّ عَلَيْهِمْ وأَقودَهُم .



في هَذهِ الآياتِ الكَريمَةِ الإخْبارُ عَنْ تَكذيبِ الأَولينَ بالمُعْجِزاتِ ، وَعَنْ قِصَّةِ آدمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهما قالَ : سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبيَّ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفا ذَهباً وأَنْ يَنْحِّي الجِبالَ عَنْهُم لِيَزْرَعوا الأَرْضَ ، فَأَوْحى اللهُ تَعالى إليْهِ : إنْ شِئْتَ أَفْعَلُ ذَلِكَ لَهُمْ فإنْ تأَخَّروا عَنِ الإيمانِ عاجَلْتُهُمْ بالعُقوبَةِ ، وإنِ شِئْتَ اسْتَأْنَيْتُ بِهِم عَسى أَنْ أَجْتَبي مِنْهُمْ مُؤْمنينَ ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : بَلْ تَسْتَأْني بِهِمْ يا رَبُّ[1] .

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ في هذهِ الآيةِ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لِما طَلَبَهُ المُشْرِكونَ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ مِنَ الآياتِ والمُعْجِزاتِ ، لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ سَيُكَذِّبونَ بها إذا جاءَتْهُمْ كَما كَذَّبَ بِأَمْثالِها الأُمَمُ السَّابِقَةُ ، فَيَسْتَحِقّونَ بِذَلِكَ الإهْلاكَ كما أُهْلِكَ مَنْ قَبْلَهُمْ إنفاذاً لِسُنَّةِ اللهِ تَعالى في عِبادِهِ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [غافر : ٢٢] .

واللهُ تَعالى يُريدُ لِهذهِ الأُمَّةِ أَنْ تُؤَخَّرَ إلى يَوْمِ القِيامَةِ ، أَمَّا الأَقْوامُ السَّابِقونَ فَقَدْ كانوا يَطْلُبونَ الآياتِ فإذا جاءَتْ كما طَلَبوا وَلَمْ يُؤْمِنوا بها أُهْلِكوا كَما حَصَلَ مَعَ ثَمودَ قَوْمِ صالحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَدْ آتاهُمُ اللهُ تَعالى النَّاقَةَ لِتَكونَ دَليلاً على صِدْقِ نَبِيِّهِمْ ، وآيَةً مُبْصِرَةً تُبَيِّنُ الحَقَّ ، لَكِنَّهُمْ كَفَروا بِها وَقَتَلوها ، فاسْتَحَقّوا العَذابَ فأَهْلَكَهُمُ اللهُ تَعالى .

﴿وما نُرْسِلُ بالآياتِ إلّا تَخْويفا﴾ وما نُنْزِلُ المُعْجِزاتِ المُقْتَرَحَةَ إلاّ لإنذارِ الأُمَمِ وتَخْويفِهِمْ وَلِتَكونَ سَبَباً لِهِدايَتِهِمْ وإيمانِهِمْ ، فإذا أَصرّوا على الكُفْرِ والتَّكْذيبِ اسْتَحقّوا الهَلاكَ والدَّمارَ .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾ .

أَيْ : واذْكُرْ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ ما أَخْبَرْناكَ بِهِ مِنْ إحاطَةِ عِلْمِ اللهِ تَعالى وَقُدْرَتِهِ بالنَّاسِ جَميعاً ، وفي هذا التَّذْكيرِ تَسْلِيَةٌ لِرَسولِ اللهِ ﷺ مِمَّا كانَ يُلاقيهِ مِنْ تَكْذيبِ قَوْمِهِ ، وَمِنْ ذَلِكَ تَكْذيبُهُمْ إيَّاهُ فيما

---

(١) رواه أحمد في المسند ١/ ٢٥٨ رقم الحديث ٢٢١٧ . والحاكم ٢/ ٣٦٢ . والطبري ١٥/ ١٠٨ .

أَخْبَرَهُمْ بِهِ مِمَّا رَآهُ لَيلةَ الإسراءِ والمِعْراجِ مِنْ عَجائِبِ قُدْرَةِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ ، وما أَخْبَرَهُم بِهِ عَنِ الشَّجَرَةِ المَلْعونَةِ شَجَرَةِ الزَّقّومِ ، فكانَ ذَلِكَ فِتْنَةً لَهُمُ ازدادوا بها تَكْذيباً واسْتِهْزاءً ، وارْتَدَّ بَعْضُ ضُعفاءِ الإيمانِ عَنْ دِينِهِمْ .

﴿ونُخَوِّفُهُم فما يَزيدُهُمْ إلاّ طُغياناً كَبيراً﴾ أي : ونُخَوِّفُ هَؤلاءِ المُشْرِكينَ بأنْواعِ العَذابِ وبالإهْلاكِ ونُذَكِّرُهُمْ بِما أصابَ الأُمَمَ السَّابِقَةَ مِنْ دَمارٍ ، فما يَزيدُهُمْ تَخويفُنا إلاَّ تَمادِياً في الكُفْرِ وإمْعاناً في الضَّلالِ والطُّغْيانِ .

وسَمَّى اللهُ تَعالى ما رآهُ النَّبيُّ ﷺ لَيْلَةَ المِعْراجِ رُؤيا وَهِيَ رُؤْيا يَقَظَةٍ لا مَنامٍ ، لِحُصولِها لَيْلاً وَبِسُرْعَةٍ خاطِفَةٍ كَأَنَّها رُؤيا مَنامٍ .

وسَمَّى شَجَرَةَ الزَّقّومِ : الشَّجَرَةَ المَلْعونَةَ ، لأنَّها تَخْرُجُ في أَصْلِ الجَحيمِ ، ولأَنَّها طَعامُ المَلْعونينَ ، ولأنَّ طَعامَها مُؤْذٍ ضارٌّ وَمَنْظَرُها كَريهٌ قَبيحٌ ، وَقَدِ اسْتَهْزَأَ أبو جَهْلٍ بها قائِلاً : كَيْفَ تَنْبُتُ شَجَرَةٌ في النَّارِ الَّتي تَحْرِقُ الشَّجَرَ وَغَيْرَهُ ، قالَ ذَلِكَ جَهْلاً مِنْهُ بِقُدْرَةِ اللهِ الَّتي لا يُعْجِزُها شَيْءٌ ، وَقِياساً مِنْهُ لِنارِ الآخِرَةِ وَشَجَرِها على نارِ الدُّنْيا ، وَشَتَّانَ ما بَيْنَهُما .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ ﴾

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تَعالى طُغْيانَ الكافِرينَ وَعَدَمَ انْتِفاعِهِمْ بالآياتِ عَقَّبَ بِذِكْرِ إبليسَ ورَفْضِهِ السُّجودَ لآدَمَ ، وَهُوَ إشارَةٌ إلى أَنَّ طُغْيانَ الإنْسانِ سَبَبُهُ إغْواءُ الشَّيْطانِ ، أَيْ : واذْكُروا وَقْتَ أَنْ أَمَرْنا المَلائِكَةَ بالسُّجودِ لآدَمَ ، سُجودَ تَحِيَّةٍ وتَكْريمٍ ، فَسَجدوا امْتِثالاً لأَمْرِنا لَكِنَّ إبْليسَ لَمْ يَسْجُدْ وأَعْلَنَ حَسَدَهُ لآدَمَ وتَكَبُّرَهُ عَلَيْهِ ، وأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ فَكَيْفَ يَسْجُدُ وَهُوَ المَخْلوقُ مِنْ نارٍ لِمَنْ خُلِقَ مِنْ طينٍ ؟ والاسْتِثْناءُ في الآيَةِ مُنْقَطِعٌ لأنَّ إبْليسَ لَيْسَ مِنَ المَلائِكَةِ وَدَخَلَ مَعَهُمْ بالأَمْرِ بالسُّجودِ لِمُلازَمَتِهِ إيَّاهُمْ وتَشَبُّهِهِ بِهِمْ حِينَها .

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ .

قالَ إبْليسُ لِرَبِّهِ : أَخْبِرْني عَنْ هذا المَخْلوقِ الَّذي فَضَّلْتَهُ عَلَيَّ ، لِماذا فَضَّلْتَهُ عَلَيَّ وأَمَرْتَني بالسُّجودِ لَهُ وأَنا أَفْضَلُ مِنْهُ ؟ لَئِنْ مَدَدْتَ في عُمْري إلى يَوْمِ القِيامَةِ لأَسْتَوْلِيَنَّ على ذُرِّيَّتِهِ وأَقودَهُمْ إلى الفَسادِ والضَّلالِ ، إلاَّ عَدَداً قليلاً مِنْهُمْ لا أَقْدِرُ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ عِبادُكَ المُخْلَصونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ رَحْمَةُ اللهِ بِهذِهِ الأُمَّةِ وإرادَتُهُ عَدَمَ إهْلاكِها إهْلاكاً كُلِّياً عامّاً وتَأْخيرُها إلى يَوْمِ القِيامَةِ .

٢ـ حُصولُ بَعْضِ الظَّواهِرِ الكَوْنِيَّةِ لِتَخْويفِ العِبادِ وتَذْكيرِهِمْ باللهِ كالزَّلازِلِ والبَراكينِ والكُسوفِ والرَّعْدِ وغَيْرِها .

٣ـ تَكْذيبُ الكَفَرَةِ بِأَنْباءِ الغَيْبِ الَّتي أَخْبَرَ اللهُ وأَخْبَرَ بِهِ الرَّسولُ ﷺ اعْتِماداً على اسْتِبْعادِ عُقولِهِمْ لَها .

٤ـ ذَمُّ الغُرورِ والكِبَرِ ، والاعْتِدادِ بالنَّفْسِ وتأكيدُ أَنَّها سَبَبٌ لِما يَتْلوها مِنَ المَعاصي .

٥ـ إظْهارُ عَزْمِ إبْليسَ على إغْواءِ البَشَرِ وإضْلالِهِمْ لِلْحَذَرِ مِنْهُ وإفْشالِ ما عَزَمَ عَلَيْهِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما سَبَبُ نُزولِ الآيةِ (٥٩) ؟

٢ـ ما سَبَبُ عدمِ اسْتِجابَةِ اللهِ لِطَلَبِ المُشْرِكينَ حُصولَ مُعْجِزاتٍ حِسِيَّةٍ ؟

٣ـ ماذا رَأى رَسولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الإسْراءِ والمِعراجِ ؟

٤ـ ما سَبَبُ تَسْمِيَةِ رُؤْيَةِ الرَّسولِ ﷺ لِما رآهُ لَيْلَةَ الإسْراءِ والمِعراجِ رُؤيا ؟

٥ـ ما الشَّجَرَةُ المَلْعونَةُ في القُرْآنِ ؟ وَلِماذا وُصِفَتْ بِالْمَلْعُونَةِ ؟

٦ـ ما سَبَبُ رَفْضِ إبْليسَ السُّجودَ لآدَمَ ؟

٧ـ لِماذا طَلَبَ إبْليسُ تَأْخيرَ وَفاتِهِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ ؟

٨ـ مَنْ هِيَ الفِئَةُ القَليلَةُ الَّتي لا يَسْتَطيعُ الشَّيْطانُ السَّيْطَرَةَ عَلَيْها ؟

٩ـ بَيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أ ـ وآتينا ثَمودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَموا بِها .

ب ـ وإذْ قُلْنا لَكَ إنَّ رَبَّكَ أحاطَ بالنَّاسِ .

ج ـ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إلى يَوْمِ القيامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَتَهُ إلاَّ قليلاً .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ كَيْفَ أَهْلَكَ اللهُ تَعالى قَوْمَ صالِحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، ودَليلَ ذَلِكَ مِنَ القُرْآنِ الكَريم .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَةَ أَشْياءَ رَآها رَسولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ المِعْراجِ وأخْبَرَنا عَنْها .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةَ سُورةِ الكَهْفِ الَّتي تُبَيِّنَ أنَّ إبْليسَ مِنَ الجِنِّ ولَيْسَ مِنَ المَلائِكَةِ .

❋ ❋ ❋

الدَّرْسُ الخامِسُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الإِسْراءِ - القِسْمُ الثّاني عَشَرَ

قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِي ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مَوْفوراً : كامِلاً .

واسْتَفْزِزْ : اسْتَخِفَّ وأَزْعِجْ .

أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ : صِحْ عَلَيْهِمْ .

بَخَيْلِكَ : بالرُّكْبانِ مِنْ جُنودِكَ .

غُروراً : باطِلاً .

سُلطانٍ : تَسَلُّط .

يُزْجي : يُجْري وَيَسوقُ بلُطْفٍ .

يَخْسِفَ بِكُمْ : يُغَيِّبَكُمْ تَحتَ الأَرْضِ .

حاصِباً : ريحاً تَرْميكُمْ بالحَصْباءِ وَهِيَ الحِجارَةُ .

قاصِفاً : مُهْلِكاً .

تَبيعا : طالِباً بالثَّأْرِ لَكُمْ مِنّا .



التَّفْسيرُ :

بَعْدَ أَنْ طَلَبَ إبْليسُ إمْهالَهُ إلى يَوْمِ الدِّينِ وأَظْهَرَ عَداوَتَهُ للإنْسانِ واجْتِهادَهُ في إضْلالِهِ ، تَوَعَّدَهُ اللهُ تَعالى على ذَلِكَ ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ ﴾

قالَ اللهُ تَعالى لإبْليسَ مُتَوَعِّداً زاجِراً : امْضِ في طَريقِ إغْوائِكَ وإضْلالِكَ لِبَني آدمَ ، فَمَنْ أطاعَكَ مِنْهُمْ فَمَصيرُكَ وإياهُمْ جَهَنَّمُ تُجْزَوْنَ فيها جَزاءً كامِلاً تامّاً لا نَقْصَ فيهِ .

ويُفْهَمُ مِنْ هذهِ الآيَةِ حُصولُ الاسْتِجابَةِ لِطَلَبِ إبْليسَ بِتَأْخيرِ مَوْتِهِ .

ووَرَدَ في آياتٍ أُخْرى تَبْيينُ أَنَّ تَأْخيرَ مَوْتِهِ ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحجر : ٣٨] ولَيْسَ ﴿إلى يَوْمِ يُبْعَثونَ﴾ [الحجر : ٣٦] كما طَلَبَ اللَّعينُ .

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ .

أيْ : وابْذُلْ جُهْدَكَ في إغْواءِ بَني آدمَ وإضْلالِهِمْ واسْلُكْ في سَبيلِ ذَلِكَ جَميعَ وسائِلِكَ وأساليبِكَ ، فاسْتَخِفَّ بِمَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم ، واخْدَعْهُم بِصَوْتِكَ الدّاعي إلى الفَسادِ والمَعْصيَةِ ، وَجَنِّدْ جُنْدَكَ بِمُخْتَلِفِ أَنْواعِهِمْ مِنْ فُرْسانٍ وَمُشاةٍ وَغَيْرِهِمْ ، وَصِحْ بِهِمْ مُنادِياً إيّاهُمْ إلى المَعاصي والذُّنوبِ ، واجْمَعْهُمْ واحْشُدْهُمْ لِتَسْتَعينَ بِهِمْ وَلِتُنَوِّعَ بِواسِطَتِهِمْ أساليبَ الإغْواءِ ، وَشارِكْهُمْ بالأَمْوالِ بِأنْ تُزَيِّنَ لَهُمُ التَّعَلُّقَ بِها وجَمْعَها مِنَ الطُّرُقِ الحَرامِ ، وإنْفاقَها في غَيْرِ وُجوهِها ، وتَنْمِيَتَها بالرِّبا ، وشارِكْهُمْ بالأَوْلادِ بِأَنْ تَدْفَعَهُمْ إلى تَنْشِئَةِ أَبْنائِهِمْ عَلى الكُفْرِ والضَّلالِ ، واخْدَعْهُمْ بالمَواعيدِ الكاذِبَةِ مُزَيِّناً لَهُمُ الشَّرَّ مُقَبِّحاً لَهُمُ الخَيْرَ .

ثُمَّ حَذَّرَ سُبْحانَهُ عِبادَهُ مِنْ وُعودِ الشَّيْطانِ الكاذِبَةِ ، فَهِيَ أَوْهامٌ خادِعَةٌ وَوُعودٌ باطِلَةٌ لا يَنْبَغي لِلْعاقِلِ أَنْ يَغْتَرَّ بِها أَوْ يُصَدِّقَها . والالْتِفاتُ في آخِرِ الآيَةِ لِتَحْقيرِ شَأْنِ الشَّيْطانِ بالإعْراضِ عَنْ مُخاطَبَتِهِ .

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾

أيْ : إنَّ عِبادِيَ الصّالِحينَ الَّذينَ الْتَزَموا بِأَمْري وأطاعوني لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ تَسَلُّطٌ بالإغْواءِ والإضْلالِ ، وكَفى باللهِ تَعالى عاصِماً وحافِظاً لَهُمْ مِنْ مَكْرِكَ وَشَرِّكَ وَكَيْدِكَ .

﴿ رَبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ ﴾

بَعْدَ أَنْ أَخْبرَ سُبْحانَهُ عَنْ فَضْلِهِ عَلَى عِبادِهِ بحمايَتِهِمْ مِنْ كَيْدِ إبْليسَ إذا اعْتَصَموا بِهِ ، أَخْبرَ في هَذِهِ الآيةِ عَنْ فَضْلِهِ عَلَيْهِمْ بِتَسْخيرِ السُّفُنِ لَهُمْ ، فَهِي تَجْري في البَحْرِ ناقِلَةً النَّاسَ وأَمْتِعَتَهُم وَتِجارَتَهُمْ ، ويَسْتَخْدِمونَها في طَلَبِ رِزْقِ اللهِ والانْتِقالِ بَيْنَ البِلادِ واسْتِخْراجِ خَيْراتِ البِحارِ ، وهذا التَّسْخيرُ والتَّيْسيرُ مِنْ مَظاهِرِ رَحْمَةِ اللهِ بِعِبادِهِ .

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ .

وإذا تَعَرَّضْتُمْ لأَخْطارِ البِحارِ مِنْ نَحْوِ اشْتِدادِ العواصِفِ وَهَيجانِ البَحْرِ وارْتِفاعِ أَمْواجِهِ ، وأَوْشَكْتُم على الغَرَقِ ، ذَهَبَ مِنْ أَذْهانِكُم كُلُّ مَعبودٍ سوى اللهِ ، وأَخْلَصْتُم لَهُ الدُّعاءَ لِيُنْجيَكُمْ وَيَكْشِفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ ، فَلَمَّا نَجّاكُمُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ ، وأَوْصَلَكُمْ إلى البَرِّ سالِمينَ تَرَكْتُمْ دعاءَهُ والتَّضَرُّعَ إلَيْهِ ، ونَسيتُمْ شُكْرَ نِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ ، وكانَ الإنْسانُ جَحوداً لِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ .

وفي قَوْلِهِ تَعالى : ﴿وكانَ الإنْسانُ كَفورا﴾ الْتِفاتٌ مِنَ الخِطابِ إلى الغَيْبَةِ فكأَنَّهُ إعْراضٌ عَنْ خِطابِهِمْ لإعْراضِهِمْ عَنْ شُكْرِ نِعْمَةِ اللهِ ، والمَقْصُودُ بالإنْسانِ جِنْسُهُ ، وفيهِ إشارَةٌ إلى أَنَّ هذهِ طَبيعَةُ مُعْظَمِ البَشَرِ وعامَّتِهِمْ .

﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ ﴾ .

أيْ : عِنْدَما نَجَوْتُمْ مِنَ الغَرَقِ فَهَلْ آمِنْتُمْ أَنَّ اللهَ الَّذي أَنْقَذَكُمْ مِنْ أَهْوالِ البَحْرِ ومَخاطِرِهِ قادِرٌ على أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ بِزِلْزالٍ مُدَمِّرٍ أَوِ انهِيارٍ مُرْعِبٍ أَوْ يَقْلِبَها بِكُمْ فَتُصْبِحونَ في باطِنِها ، أَوْ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ ريحاً شَديداً تَرْميكُمْ بالحَصْباءِ الَّتي تُهْلِكُكُمْ ، ولا تَجِدونَ حِينئذٍ مَنْ تَكِلونَ إلَيْهِ أُمورَكُمْ وتَحْتَمونَ بِهِ لِيَدْفَعَ عَنْكُمْ عَذابَ اللهِ تَعالى .

﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾ .

وهَلْ أَمِنْتُمْ أَيُّها النَّاسُ بَعْدَ نَجاتِكُمْ مِنَ البَحْرِ أَنْ يُعيدَكُمُ اللهُ تَعالى إلَيْهِ مَرَّةً أُخْرى لِسَبَبٍ مِنَ الأَسْبابِ الَّتي تَحْمِلُكُمْ على ذَلِكَ ، فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ ريحاً مُدَمِّرَةً مُهْلِكَةً فَيُغْرِقَكُمْ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ ، ثُمَّ لا تَجِدوا لَكُمْ في هَذهِ الحالِ أحداً يَنْصُرُكُمْ عَلَيْنا ، أَوْ مُتابِعاً لَنا يَطْلُبُ الثَّأْرَ لَكُمْ مِنَّا .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ التَحْذيرُ مِنَ اتِّباعِ إبْليسَ فإنَّ جَزاءَهُ وَجزاءَ مَنْ اتَّبَعَهُ جَهَنَّمُ .

٢ـ تَعَدُّدُ طُرُقِ الغِوايَةِ وأَساليبِها ، ومُحاولَةُ الشَّيْطانِ تَزْيينَها لِلإنْسانِ حَتَّى يَقودَهُ إلى الضَّلالِ والرَّدى .

٣ـ العاقِلُ المُؤْمِنُ لا يَغْتَرُّ بِوعودِ الشَّيْطانِ وأَكاذيبِهِ .

٤ـ في حالِ الشِّدَّةِ والضُّرِّ يَلْجَأُ جَميعُ النَّاسِ إلى اللهِ لِكَشْفِ الشِّدَّةِ والضُّرِّ عَنْهُم ، فإذا زالَتْ عادَ مُعْظَمُهُم إلى ما كانوا فيهِ مِنْ غَفْلَةٍ وَجُحودٍ .

٥ـ قُدْرَةُ اللهِ تَعالى على إهْلاكِ الكافِرينَ والانْتِقامِ مِنْهُم ، في البَحْرِ والبَرِّ بالإغْراقِ أَوْ بِالخَسْفِ أَوْ بالرِّيحِ أَو بِما يَشاءُ سُبْحانَهُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذْكُرْ وسائِلَ الشَّيْطانِ في إغْواءِ الإنْسانِ وإضْلالِهِ .

٢ـ مَنِ النّاجونَ مِنْ وَساوِسِ الشَّيْطانِ وَكَيْدِهِ ؟

٣ـ لماذا يَتْرُكُ الإنْسانُ دُعاءَ اللهِ تَعالى والاسْتِغاثَةَ بِهِ بَعْدَ كَشْفِ الضُّرِّ عَنْهُ ؟

٤ـ هَلْ يَكونُ الإنْسانُ بِمَأْمَنٍ مِنْ عَذابِ اللهِ إذا وَصَلَ إلى البَرِّ ؟

٥ـ بَيِّنْ مَعْنى كُلٍّ مِمَّا يَلي :

أـ واسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ .

ب ـ وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ .

ج ـ وشارِكْهُم في الأَمْوالِ والأَوْلادِ .

د ـ وَعِدْهُمْ وما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إلاَّ غُروراً .

هـ ـ يُزْجي لَكُمُ الفُلْكَ في البَحْرِ .

و ـ وكانَ الإنْسانُ كَفوراً .

ز ـ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً .

ح ـ ثُمَّ لا تَجِدوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبيعاً .

فائدةٌ :

قالَ مُجاهِدُ بنُ جبرٍ المَكيّ تِلميذُ ابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ : « صَوْتُ الشَّيْطانِ : الغِناءُ والمَزاميرُ واللَّهْوُ »[1] .

نَشاطٌ :

١ ـ بيَّنَ لَنا رَسُولُ اللهِ ﷺ كَيْفَ نَنْجو مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطانِ وَكَيْدِهِ ، اكْتُبْ ذَلِكَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ أَهْلَكَ اللهُ تَعالى أَقْواماً وأَشْخاصاً بالخَسْفِ والحاصِبِ ، فَمَنْ هُمُ المُهْلَكونَ بِهذيْنِ العَذابَيْنِ .

* * *

---

(١) الطبري ، جامع البيان ١٥/ ١١٨ ، والقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٨٨ .

الدَّرْسُ السَّادِسُ والثَّلاثونَ

سورةُ الإسْراءِ - القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بإمامِهِمْ	: بِمَنْ كانوا يَأْتَمّونَ بِهِ .
فَتيلاً	: الخَيْطُ في شِقِّ النَّواةِ ، والمُرادُ بِهِ المِقْدارُ البالغُ الغايةِ في الدِّقَّةِ .
لَيَفْتِنونَكَ	: لَيَصْرِفونَكَ .
لِتَفْتَرِيَ	: لِتَخْتَلِقَ .
تَرْكَنُ	: تَميلُ .
ضِعْفَ الحياةِ	: عَذاباً مُضاعَفاً فيها .

التَّفْسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ الكَريمَةُ بِإِظْهارِ عَدَدٍ مِنْ صُورِ تَكْريمِ اللهِ تَعالى للإنْسانِ وتَفْضيلِهِ على كَثيرٍ مِنَ المَخْلوقاتِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ عَنْ تكريم بَنِي آدمَ جَميعاً ، وَمِنْ مَظاهِرِ هذا التَّكْريم : أَنَّهُ مَيَّزَ الإنْسانَ بالعَقْلِ والنُّطْقِ ، وَجعَلَهُ في أحْسَنِ تَقْويمٍ ، مُنْتَصِبَ القامَةِ سَوِيَّ الخِلْقَةِ ، وسَخَّرَ لَهُ الكَثيرَ مِنَ المَخْلوقاتِ الأُخْرَى ، لِيَنْتَفِعَ مِنْها في أُمورِ مَعاشِهِ وَسَخَّرَ لَهُ في البَرِّ والبَحْرِ ما يَحْمِلُهُ ويَنْقُلُهُ مِنْ مَكانٍ إلى آخرَ ، وَرَزَقَهُ أَنْواعاً مُتَعَدِّدَةً مِنَ الطَّيِّباتِ مِمَّا يُؤْكَلُ وَيُشْرَبُ وَيُلْبَسُ وَيُنْتَفَعُ بِهِ ، وفَضَّلَهُ على كَثيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضيلاً عَظيماً .

فَعلى الإنْسانِ أَنْ يَشْكُرَ هذهِ النِّعْمَةَ لِيُحافِظَ على هذا التَّكْريمِ والتَّفْضيلِ ، فإنَّ الكُفْرَ باللهِ تَعالى وَجُحودَ نِعَمِهِ يَنْزِلُ بالإنْسانِ ويَحُطُّ مِنْ قِيمَتِهِ ويَجْعَلُهُ شَرَّ الخلائِقِ وأَقَلَّها : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] وهذا التَّفْضيلُ يَصْحَبُهُ تَكْليفٌ ، يَعْقُبُهُ يَوْمَ القِيامَةِ حِسابٌ ، وَلِذَلِكَ قالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾ .

انتُقَلَتِ الآياتُ لِبيانِ أحْوالِ البَشَرِ يَوْمَ القيامَةِ بَعْدَ بَيانِ تَكْريمِهِمْ وتَفْضيلِهِمْ في الدُّنْيا ، فَفي يَوْمِ القِيامَةِ يُدْعى كُلُّ أُناسٍ مَعَ إمامِهِمُ الَّذي كانوا يأْتَمّونَ بِهِ في الدُّنْيا ، لِيَقِفوا بَيْنَ يَدي اللهِ ويُحاسَبوا على أعْمالِهِمْ ، فَمَنْ أُعْطِيَ كِتابَ أَعْمالِهِ بِيَدِهِ اليُمْنى كانَ ذَلِكَ علامةَ القَبولِ ، ويَقْرَأُ هُؤلاءِ كِتابَهُمْ بِفَرَحٍ وَسُرورٍ ، ولا يُنْقَصونَ مِنْ ثَوابِ أَعْمالِهِمْ المَكْتوبَةِ في صَحائِفِهِمْ أَيَّ شَيْءٍ وَلَوْ كان بِقَدَرِ الفَتيلِ ـ خَيْطِ نَواةِ التَّمْرِ ـ الَّذي يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ في الصِّغَرِ والقِلَّةِ .

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾

وَمَنْ كانَ في هذه الحياةِ الدُّنْيا أَعْمى البَصيرةِ عَنْ حُجَجِ اللهِ وآياتِهِ بِسَبَبِ انْغِماسِهِ في الكُفْرِ والضَّلالِ ، فَهُوَ في الآخِرَةِ أَشَدُّ عَمىً وأَضَلُّ عَمَّا كانَ عَلَيْهِ في الدُّنْيا ، لأَنَّه في الدُّنْيا كانَ يُمْكِنُهُ تَدارُكُ تَقْصيرِهِ ، والتَّوْبَةُ مِنْ فِعْلِهِ ، أَمَّا في الآخِرَةِ فَلا يُمْكِنُهُ ذَلِكَ .

وهذا الفَريقُ هُوَ المُقابِلُ لِلْفَريقِ الأوَّلِ ، فَهؤلاءِ يُعْطَوْنَ كِتابَهُمْ بِشِمالِهِمْ ، ويُعاقَبونَ على أَفْعالِهِمُ السَّيِّئَةِ ويُعَذَّبونَ بِسَبَبِها في نارِ جَهَنَّمَ .

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ ﴾ .

تُبيِّنُ هذهِ الآيةُ وما بَعْدَها اجْتهادَ المُشركينَ في الكَيْدِ برسولِ اللهِ ﷺ وَصَرْفِهِ عَنْ تَبْليغِ رِسالَةِ ربِّهِ ، وأنَّ اللهَ تَعالى ثَبَّتَهُ وَحفظَهُ مِنْ كَيْدِهِمْ .

فَقَدْ قاربَ هَؤلاءِ المُشْركونَ بما بَذَلُوهُ مِنْ جُهْدٍ عَظيمٍ وما اقْتَرَحوهُ عَلَيْكَ أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ مِنْ تنازُلاتٍ أَنْ يَصْرِفوكَ عَمَّا أَوْحينا إليْكَ مِنَ القُرْآنِ لِكَيْ تَخْتَلِقَ وتَفْتَري عَلَينا قَوْلاً غَيْرَهُ ، وَلَو اسْتَمَعْتَ إلَيْهِم وَوافَقْتَهُمْ على مُقْتَرَحاتِهِمُ الفاسِدَةِ لَقَرَّبوكَ مِنْهُمْ ، وَجَعَلوكَ صَديقاً لَهُمْ .

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾

لَوْلا : حَرْفُ امْتِناعٍ لِوجودٍ ، أيْ : وَلَوْلا أَنْ عَصَمْناكَ وَحَفِظناكَ مِنْهُمْ ، لَقارَبْتَ أَنْ تَميلَ إليْهِمْ مَيْلاً قَليلاً لِشِدَّةِ احْتيالِهِمْ عَلَيْكَ ، وخِداعِهِمْ لَكَ وَمَكْرِهِمْ بِكَ ، وَلَكِنَّ تَثْبيتَنا لَكَ واعْتِناءَنا بِكَ حالَ دُونَ ذَلِكَ ، فَلَمْ تَمِلْ إلَيْهِمْ أَدْنى مَيْلٍ .

﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾

أيْ : لَوْ قارَبْتَ أَنْ تَميلَ إلَيْهِمْ لأَنْزَلْنا بِكَ عَذاباً مُضاعَفاً في الدُّنْيا ، وَعَذاباً مُضاعَفاً في الآخِرَةِ ، بِحَيْثُ يَكونُ عَذابُكَ ضِعْفَ عذابِ غَيْرِكَ لَوْ فَعَلَ مِثْلَ هذا الفِعْلِ ، لأنَّ الخَطأَ يَعْظُمُ بِمقْدارِ عَظَمَةِ صاحِبِهِ ، ثُمَّ لا تَجِدُ أَحَداً يَنْصُرُكَ وَيُعينُكَ ويَدْفَعُ عَنْكَ عَذابَ اللهِ ، إذْ لا سُلْطانَ لأَحَدٍ أمامَ سُلْطانِ اللهِ .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَكْريمُ الإنْسانِ وَتَفْضيلُهُ عَلى مُعْظَمِ المَخْلوقاتِ يَقْتَضي شُكْرَ المُنْعِمِ المُكْرِمِ .

٢ـ التَّرْغيبُ في الاقْتِداءِ بالصَّالِحينَ ومُتابَعَتِهِمْ ، والتَّرْهيبُ مِنَ الاقْتِداءِ بِأَهْلِ الشَّرِّ والفَسادِ ومُتابَعَتِهِمْ ، حَيْثُ يُحْشَرُ المَرْءُ مَعَ مَنْ كانَ يَأْتَمُّ بِهِ في الدُّنْيا .

٣ـ الثَّباتُ على الحَقِّ وَعَدَمُ الالْتِفاتِ إلى مُحاوَلاتِ التَّثْبيطِ والتَّوهينِ بالإغْراءِ أَوْ بالتَّهْديدِ مَهْما عَظُمَتْ هذهِ المُحاوَلاتُ وكَثُرَتْ .

٤ـ اللَّجُوءُ إلى اللهِ تَعالى ، وطَلَبُ التَّثْبيتِ مِنْهُ ، حَتَّى لا يَضْعُفَ المُسْلِمُ أمامَ جُهودِ أَعْدائِهِ لإفْسادِهِ .

٥ـ عِصْمَةُ النَّبيِّ ﷺ مِنْ مُجاراةِ المُشْرِكينَ والرُّكونِ إليْهِمْ .

٦ـ كُلّما كانَ الإنسانُ أَعْلَمَ كانَ عِصْيانُهُ أَعْظَمَ .

٧ـ عِظَمُ جَريمَةِ الانْحرافِ عَنِ المَنْهَجِ الرَّبانيِّ الإلهيِّ القُرْآنيِّ مَهْما قَلَّ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما المُرادُ بِتكْريمِ بَني آدَمَ ؟

٢ـ لِماذا أَرادَ المُشْرِكونَ صَرْفَ النَّبيِّ ﷺ عَنْ تَبليغِ الرِّسالَةِ ؟

٣ـ هَلِ اسْتَجابَ الرَّسولُ ﷺ لِكَيْدِ المُشرِكينَ ؟

٤ـ ما سَبَبُ تَشديدِ العُقوبَةِ لَهُ ﷺ لَوْ أنَّه اسْتَجابَ لِكَيْدِ المُشْرِكينَ ؟

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآياتِ الكَريمَةِ ثَلاثَةَ دُروسٍ لِلدُّعاةِ السَّائِرينَ على مَنْهَجِ النَّبيِّ ﷺ تُعينُهُمْ على الثَّباتِ في وَجْهِ كَيْدِ الأعداءِ ؟

٦ـ بَيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أـ وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَني آدَمَ .

ب ـ يَوْمَ نَدْعو كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمِ .

ج ـ ولا يُظْلَمونَ فَتيلا .

دـ وإذاً لاتَّخَذوكَ خَليلاً .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أَحَدَ هَذهِ المَطالِبِ الَّتي طَلَبَتْها قُرَيْشٌ مِنَ الرَّسولِ ﷺ .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الإِسْراءِ ـ القِسْمُ الرَّابِعَ عَشَرَ

وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لَيَسْتفِزونَكَ : لَيُزْعِجونَكَ .

خِلافَكَ : بَعْدَكَ .

تَحويلاً : تَغْييراً .

لِدُلوكِ الشَّمْسِ : مَيْلِها عَنْ وَسَطِ السَّماءِ إلى جِهَةِ الغَرْبِ .

غَسَقِ اللَّيْلِ : ظُلْمتِهِ .

قُرْآنَ الفَجْرِ : صَلاةَ الصُّبْحِ وما يُقْرأُ فيها مِنْ قُرآنٍ .

فَتَهَجَّدْ : اسْتَيْقِظْ لَيْلاً لِلصَّلاةِ .

نافِلَةً : زائِدةً على الفَريضَةِ .

مَقاماً مَحْموداً : مَوْقِفاً تُحْمَدُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ الشَّفاعَةُ العُظْمى .

زَهَقَ : زالَ .

خَسارا : هَلاكاً .

التَّفْسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ الكَريمةُ بالإخْبارِ عَنْ مَكيدَةٍ أُخْرى لِلْمُشرِكينَ ، إذْ هَمّوا بإخْراجِ الرّسولِ ﷺ مِنْ مَكّةَ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٧٦﴾ .

أيْ : قارَبَ المُشْرِكونَ مِنْ أَهلِ مَكّةَ أنْ يُزْعِجوكَ أيُّها الرّسولُ الكَريمُ بِعَداوَتِهِمْ وَشِدَّةِ إيذائِهِمْ ، ويُخْرِجوكَ مِنْ مَكّةَ وَهِيَ الأَرْضُ الّتي وُلِدْتَ فيها وبَقيتَ فيها ، وَلَوْ أنَّهُمْ اسْتَفَزّوكَ وأَجْبَروكَ على الخُروجِ لَما بَقَوْا بَعْدَ خُروجِكَ إلاّ وَقْتاً قليلاً يَهْلَكونَ بَعْدَهُ جَميعاً . وَلَكِنَّ إرادَةَ اللهِ شاءَتْ أنْ يَأْمُرَ نَبيَّهُ ﷺ بالخُروجِ مُهاجِراً إلى المَدينةِ قُبَيْلَ أنْ يَتَمَكَّنَ المُشرِكونَ مِنْ إخْراجِهِ تَمْكيناً لِلدَّعْوَةِ مِنَ المُضيِّ في طَريقِها لأداءِ مُهِمَّتِها وَهِيَ هِدايَةُ النّاسِ ، وَلِعِلْمِهِ سُبْحانَهُ أنَّ مِنْ هؤلاءِ المُشْرِكينَ وَمِنْ أبْنائِهِمْ مَنْ سَيُسْلِمُ ويَكونُ مِنْ جُنْدِ الإسْلامِ .

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۝٧٧﴾

أيْ : هذا الّذي أخْبَرْناكَ بِهِ مِنْ إهْلاكِ الّذينَ يُخْرِجونَ رَسولَهُمْ ، هُوَ ما حَصَلَ مَعَ المُرْسَلينَ مِنْ قَبْلِكَ ، وَهُوَ مِنْ سُنَّةِ اللهِ تَعالى الّتي لا تتغيَّرُ ولا تَتَبَدَّلُ ، وَلَوْ أنَّ قَوْمَكَ أخْرَجوكَ لَهَلَكوا جَميعاً تَنْفيذاً لِهَذِهِ السُّنَّةِ الّتي لا تَبْديلَ لَها ولا تَغْييرَ .

وبَعْدَ أنْ ذَكَرَ سُبْحانَهُ مُحاوَلاتِ المُشْرِكينَ إيذاءَ النَّبيِّ ﷺ والتآمُرَ لإخْراجِهِ ، أمَرَهُ بالصَّلاةِ الّتي تُعينُهُ على الثَّباتِ والصَّبْرِ ومُواجَهَةِ كَيْدِ المُشْرِكينَ ، فَقالَ تَعالى :

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾ .

أيْ : أَدِّ الصَّلاةَ مُسْتَوْفِيَةً أرْكانَها وشُروطَها ، مِنْ وَقْتِ زَوالِ الشَّمْسِ وَمَيَلانِها عَن وَسَطِ السَّماءِ ، إلى وَقْتِ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وسَوادِهِ ، وهَذا الوَقْتُ يَشْمَلُ صَلاةَ الظُّهْرِ والعَصْرِ والمَغْرِبِ والعِشاءِ ، وأَفْرَدَ سُبْحانَهُ صلاةَ الفَجْرِ بالذِّكْرِ وَرَغَّبَ فيها بِقَولِهِ : ﴿إنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهودا﴾ تَشْهَدُهُ المَلائِكَةُ ويَشْهَدُهُ الصّالِحونَ مِنَ المُؤْمِنينَ ، ويَحْصُلُ فيهِ تَبدُّلُ الحالِ مِنَ الظُّلْمَةِ إلى الضِّياءِ ومِنَ النّومِ إلى اليَقَظَةِ .

وسُمِّيَتْ صَلاةُ الصُّبح قُرْآناً لأنَّ القراءَةَ فيها أَكْثَرُ مِنْ سائِرِ الصَّلَواتِ غالِباً ، وَهُوَ مِنْ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ باسْمِ بَعْضِهِ ، وأُظْهِرَ (قُرْآنُ الفَجْرِ) في المَوْضِعِ الثَّاني بَدَلاً مِنْ إضْمارِهِ للاعْتِناءِ بِشأْنِهِ والاهْتِمام بِهِ .

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾

أيْ : قُمْ بَعْدَ نَوْمِكَ لأداءِ صَلاةٍ زائِدَةٍ عَنِ الصَّلواتِ المَفْروضَةِ لِيَبْعَثَكَ رَبُّكَ يَوْمَ القِيامَةِ ، ويُقيمَكَ مُقاماً يَحْمَدُكَ فيهِ الخلائِقُ جَميعاً ، وَذلِكَ حينَ يَشْفَعُ رَسولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ القِيامَةِ لِلْبَشَرِ جَميعاً حينَ يُنْقَلونَ مِنْ مَوْقِفِ الحَشْرِ إلى الحِسابِ ، بَعْدَ أَنْ يَعْتَذِرَ عَنْ تِلْكَ الشَّفاعَةِ غَيْرُهُ مِنَ الأَنْبِياءِ .

فَلَفْظُ (عَسى) في كَلامِ اللهِ يُفيدُ اليَقينَ والجَزْمَ لا التَّرَجِّي .

وفي الآيةِ إشارَةٌ إلى فَضْلِ التَّهَجُّدِ وَقِيامِ اللَّيْلِ وَعَظيمِ مَنْزِلَتِهِ ، وأَنَّهُ يُؤَدِّي إلى القُرْبِ مِنَ اللهِ وَنَيْلِ المَنازِلِ العالِيَةِ ، وَقَدِ امْتَدَحَ اللهُ تَعالى مَنْ يَقومونَ اللَّيْلَ في أَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ مِنْها قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السجدة : ١٦] وقولُه : ﴿ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ [آل عمران : ١٧] .

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ ﴾

أيْ : وادْعُ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ رَبَّكَ قائِلاً : يا رَبِّ أَدْخِلْني إدْخالاً مَرْضِيّاً صادِقاً في كُلِّ ما أَدْخُلُ فيهِ مِنْ أَمْرٍ أَوْ مكانٍ ، وأَخْرِجْني إخْراجاً مَرْضِيّاً صادِقاً مِنْ كُلِّ أَمْرٍ أَوْ مَكانٍ ، واجْعَلْ لِي مِنْ عِنْدِكَ حُجَّةً تَنْصُرُني بِها عَلى مَنْ خالَفَني ، وَقُوَّةً تُؤَيِّدُني بها لِنُصْرَةِ دينِكَ .

وَقَدْ نَزَلَتْ هذهِ الآيةُ عِنْدَما أُمِرَ الرَّسولُ ﷺ بالهِجْرَةِ ، فَهِيَ وإنْ كانَتْ عامَّةً في كُلِّ أَمْرٍ ، فأَوَّلُ ما يَدْخُلُ فِيها ، دُخولُ المَدينةِ والخُروجُ مِنْ مَكَّةَ .

﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ ﴾ .

أيْ : قُلْ أَيُّها الرَّسولُ الكريمُ على سَبيلِ الشُّكْرِ للهِ والاسْتِبْشارِ بِنَصْرِهِ : جاءَ الحَقُّ الواضِحُ الظّاهِرُ وَهُوَ الإسْلامُ ، وَزالَ الباطِلُ واضْمَحَلَّ وُجودُهُ وَهَلَكَ الكُفْرُ والشِّرْكُ ، ﴿إنَّ الباطِلَ كانَ زَهوقاً﴾ أيْ : غَيْرَ مُسْتَقِرٍّ ولا ثابِتٍ ولا بَقاءَ لَهُ وإنْ طالَ بِهِ الزَّمَنُ وَكَثُرَ المُتَمَسِّكونَ بِهِ .

وفي هَذهِ الآيَةُ الوَعْدُ بِنَصْرِ الإسْلامِ وظُهورِهِ على الشِّرْكِ ، والتَّبْشيرُ بِزَوالِ الباطِلِ وانْتِهائِهِ وَعَدَمِ بَقائِهِ ، وَقَد تَلى الرَّسولُ ﷺ هذهِ الآيَةَ عِنْدَما كانَ الصَّحابَةُ يُطَهِّرونَ الكَعْبَةَ والمَسْجِدَ الحَرامَ مِنَ الأَصْنامِ بَعْدَ دُخولِهِمْ مَكَّةَ مُنْتَصِرينَ .

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ .

أيْ : ونُنَزِّلُ مِنْ آياتِ القُرْآنِ الكريم ما يَشْفِي القُلوبَ مِنْ أَمْراضِ الجَهْلِ والضَّلالِ ، والرَّيْبِ والهَوى والشُّحِّ والحَسَدِ ، والنِّفاقِ والرِّياءِ ، وغَيْرِها ، وما هُوَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنينَ الَّذين يَعْمَلونَ بما فيهِ مِنْ أَوامِرَ تَقودُهُمْ إلى رَحْمَةِ اللهِ ، أَمَّا الظَّالِمونَ فإنَّهُم كُلَّما سَمِعوا القُرْآن ازْدادوا ضَلالاً وَهلاكاً لأنَّهُمْ لا يُصَدِّقونَ بِهِ ، وإِسْنادُ زِيادَةِ ضَلالِهِمْ وهَلاكِهِمْ إلى القُرْآنِ باعْتِبارِهِ سَبَباً لِذَلِكَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ التَّرْغيبُ في التَّهَجُّدِ ، وَبَيانُ فَضْلِ صَلاةِ الصُّبْحِ .

٢ـ الجَزْمُ بالمَقامِ المَحْمودِ لِنَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ .

٣ـ ضَعْفُ الباطِلِ وَسُرْعَةُ انْهِزامِهِ إذا صارَعَ الحَقَّ وقاوَمَهُ .

٤ـ القرآنُ شِفاءٌ لأَمْراضِ القُلوبِ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنينَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ أَمْرِ الرَّسولِ ﷺ بالهِجْرَةِ بَدَلَ أَنْ يُخْرِجَهُ المُشْرِكونَ ؟

٢ـ كَيْفَ يُمْكِنُ اسْتِخْراجُ مَواقيتِ الصَّلواتِ الخَمْسِ مِنَ الآيةِ (٧٨) ؟

٣ـ ما وَجْهُ تَسْمِيَةِ صَلاةِ الصُّبْحِ قُرآناً ؟

٤ـ ما المُرادُ بالتَّهَجُّدِ ؟ والمَقامِ المَحْمودِ ؟

٥ـ ما المُرادُ بِمُدْخَلِ صِدْقٍ ، ومُخْرَجَ صِدْقٍ ؟

٦ـ هَلْ يُمْكِنُ لِلْباطِلِ مُواجَهَةُ الحَقِّ والانْتِصارُ عَلَيْهِ ؟ ما دَليلُ إجابَتِكَ مِنَ الآيةِ الكَريمَةِ ؟

٧ـ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ الآياتُ شِفاءً لِقَوْمٍ وخُسْراناً لآخَرينَ ؟

مِنَ الهَدْيِ النَّبويِّ :

١ـ عَنْ جابرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضيَ اللهُ عَنْهُما ، أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ ، قالَ : « مَنْ قالَ حينَ يَسْمَعُ النِّداءَ : اللَّهُمَّ رَبَّ هَذهِ الدَّعوةِ التَّامَّةِ والصَّلاةِ القائِمَةِ آتِ مُحَمَّداً الوَسيلَةَ والفَضيلَةَ وابْعَثْهُ مَقاماً مَحْموداً الذي وَعَدْتَهُ ، حَلَّتْ لَهُ شَفاعَتي يَوْمَ القِيامَةِ »[١] .

٢ـ عَنْ حَفْصَةَ بنتِ عُمَرَ رَضيَ اللهُ عَنْهُما ، أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ » فكانَ ـ أيْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضيَ اللهُ عَنْهُما ـ بَعْدَ ذلِكَ لا يَنامُ مِنَ اللَّيلِ إلاَّ قليلاً[٢] .

٣ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ : « فَضْلُ صلاةِ الجَميعِ على صَلاةِ الواحِدِ خَمْسٌ وعِشْرونَ دَرَجَةً ، وتَجْتَمِعُ ملائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلائِكَةُ النَّهارِ في صلاةِ الصُّبْحِ » يَقولُ أَبو هُرَيْرَةَ : اقْرَؤوا إنْ شِئْتُم ﴿وقرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كانَ مَشهودا﴾[٣] والمُرادُ بِصَلاةِ الجَميعِ : صَلاةُ الجَماعَةِ .

٤ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعودٍ رَضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : دَخَلَ النَّبيُّ ﷺ مَكَّةَ ، وَحَوْلَ البَيْتِ سِتّونَ وَثَلاثُ مِئَةِ نُصُبٍ[٤] ، فَجَعَلَ يَطْعَنُها بِعودٍ في يَدِهِ ويَقُولُ : ﴿جاءَ الحَقُّ وزَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهوقا﴾[٥] .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ وَقْتَ بِدايةِ كُلٍّ مِنَ الصَّلَواتِ الخَمْسِ المَفْروضَةِ ونِهايَتِها .

٢ـ اذْكُرْ حَديثاً شَريفاً يُبَيِّنُ فَضْلَ قِيامِ اللَّيلِ واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان ، باب الدعاء عند النداء ، رقم الحديث ٥٨٩ .

(٢) رواه البخاري في كتاب التهجد ، باب فضل قيام الليل ، رقم الحديث ١٠٧٠ ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهماورقم الحديث ٢٤٧٩ .

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب ٢٠٨ ، رقم الحديث ٤٤٤٠ .

(٤) النصب : الصنم .

(٥) رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب ٢١٠ ، رقم الحديث ٤٤٤٣ .

الدَّرْسُ الثَّامِنُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الإِسْراءِ - القِسْمُ الخامِسَ عَشَرَ

وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

نَأى بجانبِهِ : تَكَبَّرَ وَتباعَدَ .

يُؤوساً : شَديدَ اليَأْس .

شاكِلَتِهِ : مَذْهَبِهِ وَطَرِيقَتِهِ .

الرّوحُ : ما بِها تَكونُ حَياةُ الإنسانِ .

وَكيلا : ناصِراً وَمُعيناً .

ظَهيرا : مُعيناً .

التَّفْسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ الكَريمَةُ بِتَبيينِ حالِ الإنْسانِ عِنْدَ اليُسْرِ والعُسْرِ ، والخَيْرِ والشَرِّ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ ﴾

أيْ : وإذا أَنْعَمْنا على الإنْسانِ بأَنْواع النِّعَم المُتعدِّدَة كالصِّحَّةِ والغِنى والأَمْن ، أَعْرَضَ عَنْ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ وَعَنْ تَذَكُّرِ المُنْعِم وابْتَعَدَ عَنْ طاعَةِ اللهِ تَعالى وَعِبادَتِهِ ، وإذا مَسَّهُ الشَّرُّ مِنْ مَرَضٍ أَوْ فَقْرٍ أَوْ بَلاءٍ كانَ شَديدَ اليَأْسِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ .

والمُرادُ بالإنْسانِ في الآيَةِ مُعْظَمُ النَّاسِ لا جَميعَهُمْ ، فإنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَيْسَ على مِثْلِ هَذِهِ الحالَةِ ، بَلْ تَجِدُهُ يَشْكُرُ نِعْمَةَ اللهِ تَعالى عَلَيْهِ وَيَلْجأُ إليْهِ سُبْحانَهُ عِنْدَ الحاجَةِ .

وفي الآيَةِ إسْنادُ النِّعْمَةِ إلى اللهِ تَعالى فَهُوَ المُنْعِمُ على خَلْقِهِ بِجَميعِ النِّعَمِ ، أَمَّا الشَرُّ فلا يُنسَبُ إليْهِ سُبْحانَهُ تَأَدُّباً .

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾

أيْ : قُلْ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ لِلنَّاسِ ، كُلُّ واحِدٍ مِنْكُمْ يَعْمَلُ على مَنْهَجِهِ وَطَريقَتِهِ الَّتي تَتَناسَبُ مَعَ عَقيدَتِهِ وتَفْكيرِه ، فَرَبُّكُمْ الَّذي خَلَقَكُمْ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدى إلى طَريقِ الخَيْرِ وَبِمَنْ ضَلَّ عَنْهُ ، وَسَيَجْزِي كُلاً بما يَسْتَحِقُّ ، وفي هذا تَبْشيرٌ لِلْمُؤْمنينَ بِحُسْنِ الجَزاءِ والعاقِبَةِ ، وَوَعيدٌ لِلْكافِرينَ بِسُوءِ المَصيرِ والمآلِ .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

سَبَبُ النُّزول : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : قالَتْ قُرَيْشٌ لِلْيَهودِ أَعْطونا شَيْئاً نَسْأَلُ هذا الرَّجُلَ فَقالوا : سَلوهُ عَنِ الرُّوحِ ، فَسَأَلوهُ فأَنْزَلَ اللهُ الآيَةَ[1] .

وإنَّما طَلَبَ اليَهودُ مِنَ المُشْركينَ السُّؤالَ عَنِ الرَّوحِ لِيَخْتَبِروا صِدْقَ النَّبيِّ ﷺ ، فإنَّ الَّذي عِنْدَهُمْ في التَّوْراةِ أنَّ الرُّوحَ مِمَّا انْفَرَدَ اللهُ تَعالى بِعِلْمِهِ ، فكانَ الجَوابُ مُطابِقاً لِما عِنْدَهُمْ وَدَليلاً على صِدْقِ النَّبيِّ ﷺ ، والمَقْصودُ بالسُّؤالِ مَعْرِفَةُ حَقيقَةِ الرّوحِ وماهِيَّتِها ، وكَيْفِيَّةِ مُخالَطَتِها لِلأَجْسادِ ، وَخُروجِها مِنْها ، وكانَ الجَوابُ على السُّؤالِ بِرَدِّ العِلْمِ بِها إلى اللهِ تَعالى ، فَهِيَ شَيْءٌ لا يَعْلَمُهُ إلاّ اللهُ ، ولا يَنْبَغِي الخَوْضُ فِيها أَوْ البَحْثُ عَنْها بَلْ يُوكَلُ العِلْمُ بِحَقيقَتِها إلى خالِقِها والعالِمِ بِها ، فَهُوَ العالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، أَمَّا أَنْتُمْ أَيُّها البَشَرُ فإنَّ ما عِنْدَكُمْ مِنَ العِلْمِ قليلٌ بالنِّسْبَةِ إلى عِلْمِ اللهِ تَعالى .

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ ﴾

أيْ : لَوْ أَرَدْنا لَمَحَوْنا هذا القُرْآنَ الَّذي أَنْزَلْناهُ عَلَيْكَ مِنْ صَدْرِكَ وَمِنْ صُدورِ أَتْباعِكَ ، وَمَحَوْناهُ كَذلِكَ مِنَ المُصْحَفِ حَتَّى لا يَبْقى لَهُ أَثَرٌ ، ثُمَّ لا يَسْتَطيعُ أَحَدٌ أَنْ يَرُدَّهُ إليْكَ بَعْدَ ذَهابِهِ .

---

(١) رواه الترمذي في كتاب التفسير ، رقم الحديث ٣٠٦٥ ، وأحمد في المسند ١/ ٢٥٥ ، رقم الحديث ٢٠٩٥ .

﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ ﴾ .

لَكِنْ أبْقيناهُ مَحفوظاً في صَدْرِكَ وَصُدورِ أَصْحابِكَ ، رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ، إنَّ فَضْلَ اللهِ تَعالى كانَ عَلَيْكَ أَيُّها الرَّسولُ فَضْلاً كَبيراً ، فَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيْكَ القُرْآنَ وأَبْقاهُ في صَدْرِكَ وَجَعَلَكَ خاتِمَ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ ، وأَعْطاكَ المُقامَ المَحْمودَ يَوْمَ القِيامَةِ .

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ .

أيْ : قُلْ أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ لِلْمُشْركينَ الَّذينَ لا يُؤْمِنونَ بكَ وَبِما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ ، ويَدَّعونَ أنَّ هذا القُرآنَ مِنْ عِنْدِكَ ، قُلْ لَهُم : لَئِنِ اجْتَمَعَ الإنْسُ جَميعاً مِنْ مُخْتَلَفِ الأَماكِنِ والأَزْمِنَةِ ، واجْتَمَعَ مَعَهُمُ الجِنُّ كَذلِكَ ، واتَّفَقوا على أَنْ يَأْتوا بِمِثْلِ هذا القُرْآنِ الَّذي يُنْكِرونَ كَوْنَهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، لا يُمْكِنُهُم ذَلِكَ وَلَوْ أعانَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِمُخْتَلِفِ أَنْواعِ المَعونَةِ والمُساعَدَةِ الَّتي يَسْتَطيعونَها .

فَفي هذهِ الآيةِ الكَريمَةِ إثْباتُ إعْجازِ القُرْآنِ الكَريمِ ، وَعَدَمِ قُدْرَةِ الإنْسِ والجِنِّ مُجْتَمِعينَ ومُتَعاوِنينَ على الإتْيانِ بِمِثْلِهِ وُهَو المُعْجِزَةُ الخالِدَةُ الباقِيَةُ إلى قِيامِ السَّاعَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ التَّحْذيرُ مِنْ كُفْرِ النِّعَمِ وَجُحودِها .

٢ـ البُعْدُ عَنِ الجِدالِ والمِراءِ بِرَدِّ العِلْمِ إلى اللهِ تَعالى .

٣ـ قُصورُ قُدُراتِ البَشَرِ ، عَنْ مَعْرِفَةِ حَقيقَةِ الرُّوحِ .

٤ـ فَضْلُ اللهِ تَعالى على رَسولِهِ وَعَلى المُؤْمِنينَ بِحِفْظِ القُرْآنِ في صُدورِهِمْ وَصُحُفِهِمْ .

٥ـ عَجْزُ الإنْسِ والجِنِّ عَنِ الإتْيانِ بِمِثْلِ القُرْآنِ وَلَوْ أعانَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً على ذَلِكَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ كَيْفَ يَتَصَرَّفُ الإنْسانُ الجاحِدُ في كُلٍّ مِنْ حالَتي الخَيْرِ والشَّرِّ ؟

٢ـ ما وَجْهُ الوَعْدِ لِلْمُؤمِنينَ والوَعيدِ لِلْكافِرينَ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ على شاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى سَبيلا﴾ ؟

٣ـ ما سَبَبُ نُزولِ قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ويَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ . . .﴾ ؟

٤ـ بِماذا أجابَ اللهُ تَعالى على سُؤالِ المُشْرِكينَ عَنِ الرُّوحِ ؟

٥ـ ما العلاقَةُ بَيْنَ عَدَمِ إجابَةِ السائِلينَ عَنْ ماهِيَّةِ الرُّوحِ وَحَقيقَتِها ، وَخَتْمِ الآيَةِ بِقَوْلِهِ تَعالى : ﴿وما أُوتيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَليلا﴾ ؟

٦ـ على ماذا يَدُلُّ عَجْزُ الإنْسِ والجِنِّ عَنِ الإتْيانِ بِمِثْلِ القُرْآنِ ؟

٧ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ على كُلٍّ مِمّا يَلِي :

أـ التَأَدُّبُ مَعَ اللهِ بِعَدمِ نِسْبَةِ الشَّرِّ إليْهِ .

ب ـ عَدَمُ قُدْرَةِ الإنْسانِ على اسْتيعابِ حَقيقَةِ الرُّوحِ .

ج ـ رَحْمَةُ اللهِ بِرَسولِهِ ﷺ وَبالمُؤْمنينَ وَعَظيمُ فَضْلِهِ عَلَيْهِمْ بِعَدَمِ إذْهابِ القُرآنِ مِنْ صُدورِهِمْ وَصُحُفِهِمْ .

د ـ القُرآنُ كلامُ اللهِ المُعْجِزُ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما قالَهُ سَيِّدُنا إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنِ المَرَضِ والشِّفاءِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ التَّاسِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الإسْراءِ - القِسْمُ السَّادِسَ عَشَرَ

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

صَرَّفْنا : بيَّنَّا بأَساليبَ مُتعدِّدَةٍ .

فأَبى : فرَفَضَ .

كَفورا : جَحوداً .

تَفْجُرَ : تَشُقَّ وتَفْتَحَ .

يَنبوعا : عَيْنَ ماءٍ .

كِسَفاً : قِطَعاً .

قَبيلا : مُقابِلينَ لَنا .

زُخْرُف : ذَهَب .

تَرْقى : تَصْعَدُ .

التَّفْسيرُ :

بَعْدَ أَنْ بيَّنَ سُبْحانَهُ في الآيةِ السَّابقةِ عجْزَ الإنْسِ والجنِّ عَنِ الإتْيانِ بِمِثْلِ القُرْآنِ ، بَيَّنَ في هَذهِ الآياتِ اسْتِمْرارَ الكُفَّارِ على كُفْرِهِمْ ، وطَلَبَهُمْ عَدداً مِنَ المُعْجِزاتِ والخَوارقِ مِنَ الرَّسولِ ﷺ إمْعاناً مِنْهُم في الضَّلالِ والعِنادِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾

أيْ : وَلَقَدْ بيَّنَّا الحَقَّ والهدايةَ والحُجَجَ والبَراهينَ لِلنَّاسِ جَميعاً في هذا الكِتابِ بِأَساليبَ مُتعدِّدَةٍ ، وَعِباراتٍ مُتَنَوِّعَةٍ ، إلاَّ أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ رَفَضوا الإيمانَ بِهِ وَجَحدوا آياتِهِ وامْتَنعوا عَنِ الاسْتِجابَةِ لِهَدْيِهِ وإرْشادِهِ .

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ ﴾

وقالَ المُشْركونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ لِلرَّسولِ ﷺ : لَنْ نُصدِّقَكَ وَنَسْتَجيبَ لِدَعْوَتِكَ حَتَّى تَشُقَّ لَنا مِنْ أَرْضِنا هَذهِ ؛ أَرْضِ مَكَّةَ المَشْهورَةَ بِقِلَّةِ المِياهِ ، عَيْنَ ماءٍ لا يَنْقَطِعُ ماؤُها .

﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ ﴾

أَوْ يَكونَ لَكَ بُستانٌ يَحْتَوي على أشْجارِ النَّخيلِ والعِنَبِ ، وتَجْعَلَ الأَنْهارَ تَنْفَجِرُ فَتَسيرُ في وَسَطِها وَبَيْنَ أَشْجارِها بِغَزارَةٍ وَكَثافَةٍ .

وسَبَبُ تَخْصيصِهِمْ النَّخيلَ والأعْنابَ بالذِّكْرِ أَنَّهما مِنْ أَهمِّ الثِّمارِ وأَشْهَرِها عِنْدَهُمْ ، وَلِما لَهُما مِنَ الفَوائِدِ الكَثيرَةِ المُتَنوِّعَةِ .

﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ ﴾

أَوْ تَجْعَلَ السَّماءَ تَتساقَطُ عَلَيْنا قِطَعاً مُتَناثِرةً كَما تَوعَّدْتَنا بِذلكَ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ تَأْتِيَ باللهِ سُبْحانَهُ فَنَراهُ عِياناً ، وَتَأْتِيَ بالمَلائِكَةِ بِحَيْثُ يَكونونَ مُقابِلينَ لَنا نُعايِنُهُمْ وَنَراهُم .

﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ .

أَوْ يَكونَ لَكَ قَصْرٌ عَظيمٌ مَشيدٌ مِنَ الذَّهَبِ وَلَيْسَ مِنَ الطِّينِ والحَجرِ ، أَوْ تَصْعَدَ إلى السَّماءِ وَلَنْ نُصَدِّقَ صُعودَكَ إلى السَّماءِ إنْ حَصَلَ حَتَّى تَعودَ مَعَكَ بِكِتابٍ مُنَزَّلٍ مِنَ اللهِ نَقْرؤهُ وَنَفْهَمُ ما فيهِ ، وَيَشْهَدُ لَكَ أَنَّكَ رَسولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ حَقّاً ، فإنَّكَ إنْ فَعَلْتَ ذلكَ صَدَّقناكَ وآمَنَّا بِكَ واتَّبَعْناكَ .

هَذِه المَطالِبُ طَلَبَها المُشْرِكونَ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ لِتَكونَ دَليلاً على صِدْقِهِ وَصِدْقِ رِسالَتِهِ ، وَهِي تَدُلُّ دَلالَةً واضِحَةً على تَعنُّتِهِمْ وَعِنادِهِمْ في طَلَبِ أَشياءَ خارِقَةٍ ، وَلِذا أَمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أَنْ يُجيبَهُمْ بِما يُشيرُ إلى سَفاهَتِهِمْ في طَلَبِ هَذِهِ الأَشْياءِ ، وَبِما يَتَضَمَّنُ تَنْزيهَ اللهِ تَعالى أَنْ يَسْتَجيبَ إلى مَطالِبِ المُشْرِكينَ ، وَهُوَ سُبْحانَهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَنْ يَسْتَجيبوا وَيُؤْمِنوا لَوْ حَصَلَ ما طَلَبوهُ ، وَبِما يُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّهُمْ يُخاطِبونَ بَشَراً مِثْلَهُمْ أَرْسَلَهُ اللهُ تَعالى إلَيْهِمْ فَهُوَ لَيْسَ إلَهاً حَتَّى يُحَقِّقَ لَهُمْ مِثْلَ هَذِهِ الطَّلَباتِ المُتَعَنِّتَةِ .

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ ﴾ .

المُرادُ بِالنَّاسِ في هَذِهِ الآيَةِ مَنْ سَبَقَ ذِكْرُهُمْ ، وَهُمُ المُشْرِكونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَمَنْ شابَهَهُمْ في طَريقَةِ تَفْكيرِهِمْ ، فَإِنَّ الَّذي صَرَفَهُمْ عَنِ الإيمانِ وَمَنَعَهُمْ مِنْهُ مَعَ وُجودِ الباعِثِ لَهُ ، وَهُوَ إِرْسالُ الرَّسولِ ﷺ فيهِمْ ، ظَنُّهُمْ أَنَّ الرِّسالَةَ لا تَكونُ إلاَّ في المَلائِكَةِ ، وَأَنَّهُ لا يُمْكِنُ لِلرَّسولِ أَنْ يَكونَ مِنَ البَشَرِ ، وَقَدْ صَرَّحوا بِظَنِّهِمْ هذا وَقالوهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ .

﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾ .

أَمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أَنْ يَرُدَّ على قَوْلِ المُشْرِكينَ المانِعِ لَهُمْ مِنَ الإيمانِ بِأَنَّهُ لَوْ كانَ أَهْلُ الأَرْضِ مَلائِكَةً يَمْشونَ عَلَيْها ساكِنينَ فيها بِاطْمِئْنانٍ واسْتِقْرارٍ لأَرْسَلْنا إلَيْهِمْ رَسولاً مِثْلَهُمْ مِنَ المَلائِكَةِ .

فَإِنَّ الرَّسولَ يَنْبَغي أَنْ يَكونَ مِنْ جِنْسِ مَنْ أُرْسِلَ إلَيْهِمْ لِيَتَمَكَّنوا مِنْ فَهْمِ مَقالِهِ وَمُخاطَبَتِهِ وَمُحادَثَتِهِ والأُنْسِ بِهِ .

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ ﴾

قُلْ أَيُّها الرَّسولُ لِهَؤلاءِ المُكَذِّبينَ المُتَعَنِّتينَ : كَفى بِاللهِ تَعالى شاهِداً على صِدْقي وَأَدائي الرِّسالَةَ كَما أَمَرَني ، فَإِنَّهُ سُبْحانَهُ الخَبيرُ بِأَحْوالِ عِبادِهِ جَميعاً ، البَصيرُ بِما يَعْمَلونَ ، وفي هذا تَسْلِيَةٌ لِلرَّسولِ ﷺ عَمَّا أَصابَهُ مِنْ أَذىً ، وَتَهْديدٌ لَهُمْ حَيْثُ آذَوْا رَسولَهُمُ الَّذي أُرْسِلَ لِهِدايَتِهِمْ وَسَعادَتِهِمْ .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، مِنها :

١ـ تَبْيينُ الأَمْرِ بِأَكْثَرَ مِنْ وَجْهٍ بِأَساليبَ عِدَّةٍ يُعينُ على فَهْمِهِ والإِقْناعِ بِهِ .

٢ـ تَعَنُّتُ المُشْركينَ وَعِنادُهم ، واخْتراعُهُمْ مَطالِبَ مُتَعدِّدَةٍ تَحولُ بَيْنَهُم وَبَيْنَ الإيمانِ .

٣ـ سُخْفُ عُقولِ المُشْركينَ الَّذينَ رَضوا أَنْ يكونَ الإِلهُ حَجَراً ، وأَنْكَروا أَنْ يَكونَ الرَّسولُ بَشَراً .

٤ـ سُنَّةُ اللهِ إرْسالُ الرُّسُلِ مِنَ البَشَرِ فإنَّهُ أَدْعى إلى التَّفاهُمِ والأُنْسِ والتَّجانُسِ بينَهُمْ وبَيْنَ المَدْعوّينَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما فائِدَةُ تَصْريفِ الآياتِ ؟

٢ـ عَدِّدِ المَطالِبَ الَّتي طَلَبَها المُشْرِكونَ مِنَ الرَّسولِ ﷺ حتَّى يُصَدِّقوهُ .

٣ـ بماذا أَمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أَنْ يَرُدَّ على مُقْتَرحاتِ المُشْرِكينَ ؟

٤ـ ما السَّبَبُ الدَّاعِي لإرْسالِ الرُّسُلِ مِنَ البَشَرِ ، والمانِعُ مِنْ إرْسالِ الرُّسُلِ مِنَ المَلائِكَةِ ؟

٥ـ على أيِّ شَيْءٍ أُمِرَ الرَّسولُ ﷺ أَنْ يَكْتَفيَ بِشهادَةِ اللهِ تَعالى ؟

٦ـ بَيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمَّا يَلي :

أ ـ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأَرْضِ يَنْبوعا .

ب ـ أَوْ تَأْتِيَ باللهِ والمَلائِكَةِ قَبيلا .

ج ـ أَوْ يَكونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ .

د ـ قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إلاَّ بَشَراً رَسولا .

هـ ـ قُلْ كَفى باللهِ شَهيداً بَيْني وبَيْنَكُمْ .

نَشاطٌ :

١ـ اذْكُرِ الآيَةَ الكَريمَةَ مِنْ سُورَةِ سَبأ الَّتي يُخْبِرُ فيها سُبْحانَهُ عَنْ قُدْرَتِهِ إنْ شاءَ عَلى إسْقاطِ السَّماءِ كِسَفاً .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أَمْراً واحِداً مِمّا طَلَبَهُ اليَهودُ مِنْ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، وأَمْراً واحِداً مِمَّا طَلَبَهُ النَّصارى مِنْ عِيسى عَلَيْهِ السَّلامُ .

الدَّرْسُ الأَرْبَعونَ

سورَةُ الإسْراءِ - القِسْمُ السّابعَ عَشَرَ

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَوْلِياءُ : نُصَراءُ .

خَبَتْ : سَكَنَ لَهيبُها .

سَعيرا : تَوَقُّداً .

رُفاتا : حُطاماً ، فُتاتاً .

أَجَلا : وَقْتاً لِلْبَعْثِ .

قَتورا : مُبالِغاً في البُخْلِ .

التَّفْسيرُ :

تُبَيِّنُ هذهِ الآياتُ الكَريمَةُ مَصيرَ الكافِرينَ يَوْمَ القِيامَةِ ، وتُقيمُ الدَّليلَ على إمْكانِ البَعْثِ ، وتُخْبِرُ عَنْ بُخْلِ الإنْسانِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ .

أيْ : وَمَنْ يُوَفِّقْهُ اللهُ تعالى للإيمان والعَمَلِ الصَّالح بِسَبَبِ حُسْنِ عَمَلِهِ وإخْلاصِهِ فيهِ فَهُوَ المُهْتَدي ، وَمَنْ يُضْلِلْهُمُ اللهُ ويَخْذُلْهُمْ عَنِ الحَقِّ بِسَبَبِ سُوءِ أعْمالِهِمْ وَعَدَمِ رَغْبَتِهِمْ في الاهْتِداءِ ، فَلَنْ تجِدَ لَهُمْ نُصَراءَ يَنْصرونَهُمْ وَيُنْقِذونَهُمْ مِن عَذابِ اللهِ ، ويُحْشَرونَ يَوْمَ القِيامَةِ في وَضْعٍ مُهينٍ ، حَيْثُ يَمْشُونَ على وُجوهِهِمْ ، وَقَدْ فَقَدوا القُدْرَةَ على البَصَرِ والسَّمْعِ والكَلامِ ، ثُمَّ تُعادُ إلَيْهِمْ هذهِ الحَواسُّ مَرَّةً أُخْرى عِنْدَما تَسْحَبُهُمُ المَلائِكَةُ على وُجوهِهِمْ إلى جَهَنَّمَ الَّتي هِيَ مُسْتَقَرُّهُمْ وَمقامُهُمْ ، يُصْلَوْنَ فيها العَذابَ الدائِمَ الشَّديدَ ، وَكُلَّما ضَعُفَتْ نارُها وَسَكَنَ لَهيبُها زادَها اللهُ تَوَقُّداً واشْتِعالاً .

﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴾ .

ذَلِكَ العَذابُ الشَّديدُ لَهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بآياتِنا الدَّاعِيةِ إلى الإيمانِ والدَّالَّةِ على وَحْدانيَّتِنا وَعَظَمَتِنا وَبِسَبَبِ إنْكارِهِمُ البَعْثَ بَعْدَ المَوْتِ ، وقَوْلِهِمْ : أئِذا مِتْنا وأصْبَحنا عِظاماً بالِيَةً وقِطَعاً مُتَناثِرَةً ، أَيَصِحُّ أَوْ يُمْكِنُ أَنْ نُبْعَثَ بَعْدَ ذَلِكَ خَلْقاً جديداً تَدُبُّ فيهِ الحياةُ ؟

﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ .

أجابَ اللهُ تَعالى على سُؤالِ مُنْكِري البَعْثِ بما يُقْنِعُ كُلَّ ذي عَقْلٍ سَليمٍ ويُزيلُ شُبْهَتَهُمُ الَّتي تَعَلَّقوا بِها ، فَقَدْ عَلِموا أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ وَهُما أَعْظَمُ مِنَ البَشَرِ ، وأقَرّوا بِذَلِكَ ، فَكَيْفَ يُقِرّونَ بِقُدْرَةِ اللهِ على خَلْقِ هذهِ الأجْرامِ العَظيمَةِ ويُنْكِرونَ قُدْرَتَهُ على إعادَةِ خَلْقِهِمْ ، وَهُوَ أَمْرٌ أَيْسَرُ وأَهْوَنُ بالنِّسْبَةِ لِلْبَشَرِ ، وَجَعَلَ اللهُ وَقْتاً مُحَدَّداً لِبَعْثِ النَّاسِ أحياءً لِلْحِسابِ والجَزاءِ وَهُوَ يَوْمُ القِيامَةِ ، إلاَّ أَنَّ الَّذينَ ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ بالكُفْرِ ، وَعَدَمِ الإيمانِ بالبَعْثِ لَمْ يُؤْمِنوا بِذَلِكَ وأَصَرّوا على الكُفْرِ وإنْكارِ البَعْثِ مَعَ وُضوحِ الدَّليلِ وظُهورِ الحُجَّةِ .

وَقَوْلُهُ تَعالى (مِثْلَهُمْ) أَيْ إيّاهُمْ ، فإنَّ مِثْلَ الشَيءِ مُساوٍ لَهُ ، فَجازَ التَّعْبيرُ بِهِ عَنِ الشَّيْءِ ، كَقَوْلِهِمْ : مِثْلُكَ لا يَفْعَلُ هذا ؛ أيْ : أَنْتَ لا تَفْعَلُهُ .

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾

قُلْ أيُّها الرَّسولُ لِهؤلاءِ الَّذينَ طَلَبوا مِنْكَ أَنْ تُفَجِّرَ لَهُمُ الأَنْهارَ ، وَتُشَقِّقَ لَهُمْ عُيونَ الماءِ ، وَسائِرَ لِطَلَباتِ المُتَعَنِّتَةِ : لَوْ أَنَّكُم أَيُّها الكافِرونَ تَمْلِكونَ التَّصَرُّفَ في خَزائِنِ أرْزاقِ اللهِ ، الَّتي لا تَنْفَدُ

ولا تنتهي لأمسكتُمْ عَنِ الإنْفاقِ ولَمَنْعتُمْ وُصولَها إلى الخَلْقِ خَوْفاً مِنَ الفَقْرِ ، فإنَّ الطَّمَعَ والبُخْلَ مِنْ طَبيعةِ الإنْسانِ الَّذي لَمْ يُهَذِّبْ نَفْسَهُ ولَمْ يَنْزِعِ الشُّحَّ مِنْها بالإيمانِ باللهِ الرَّازِقِ الكَريمِ .

وفي الآيةِ الكَريمَةِ تَبيينُ شِدّةِ البُخْلِ عِنْدَ الإنْسانِ بِأَبْلَغِ بَيانٍ ، حَيْثُ أَفادَتْ أَنَّ النَّاسَ لَوْ مَلَكوا خَزائِنَ رَحْمَةِ اللهِ الَّتي لا تَتَناهى ، وانْفَرَدوا بِمُلْكِها مِنْ غَيْرِ مُنازِعٍ لأَمْسَكوا عَنِ النَّفَقَةِ مِنْ غَيْرِ داعٍ إلاَّ خَشْيَةَ الفَقْرِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الهُدَى والضَّلالُ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ .

٢ـ عَذابُ جَهَنَّمَ دائِمٌ مُسْتَمِرٌّ ، لا تَخْبو نارُها ولا يَنْقَطِعُ عَذابُها وَهِيَ مَأوىً لِلْكافِرينَ .

٣ـ إقامَةُ الدَّليلِ على البَعْثِ بالخَلْقِ ، فَمَنْ كانَ قادِراً على الخَلْقِ كانَ على إعادَتِهِ أَقْدَرَ .

٤ـ الشُّحُّ والبُخْلُ مِنْ طَمَعِ الإنْسانِ الَّذي لَمْ يُهَذِّبْ نَفْسَهُ بالإيمانِ والتَّقْوى .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئِلَةِ التالِيَةِ :

١ـ صِفْ حالَ الضَّالِّينَ وَقْتَ الحَشْرِ كما بَيَّنَتْهُ الآيَةُ الكَريمَةُ ؟

٢ـ لِماذا يُزادُ في إيقادِ النَّارِ ، وإشْعالِها كُلَّما سَكَنَ لَهيبُها ؟

٣ـ ما الدَّليلُ الَّذي ذَكَرَتْهُ الآيَةُ الكَريمَةُ لإثْباتِ البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ ؟

٤ـ ماذا يَفْعَلُ الإنْسانُ لَوْ مَلَكَ خَزائِنَ رَحْمَةِ اللهِ ؟

٥ـ بَيَّنَتِ الآيَةِ الكَريمَةُ شِدَّةَ البُخْلِ عِنْدَ الإنْسانِ مِنْ وُجوهٍ عِدَّةٍ ، اذْكُرْها .

٦ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ الكَريمَةِ على كُلٍّ مِمَّا يلي :

أـ الهُدَى والضَّلالُ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ .

ب ـ يُحْشَرُ الظَّالِمونَ يَوْمَ القِيامَةِ على وُجوهِهِمْ .

ج ـ لا تَضْعُفُ نارُ جَهَنَّمَ ولا تَخْبو .

د ـ جَزاءُ مُنْكري البَعْثِ العذابُ في جَهَنَّمَ .

هـ ـ اللهُ الَّذي خَلَقَ السّماواتِ والأَرْضَ قادِرٌ على إعادَةِ الخَلْقِ .

و ـ مِنْ طَبْعِ الإِنْسانِ البُخْلُ والإمْساكُ خَشْيَةَ الفَقْرِ .

تَعَلَّمْ :

عَنْ قَتادةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً قالَ : يا نَبِيَّ اللهِ كَيْفَ يُحْشَرُ الكافِرُ على وَجْهِهِ ؟ قالَ : أَلَيْسَ الَّذي أَمْشاهُ عَلى الرِّجْلَيْنِ في الدُّنْيا قادِراً على أَنْ يُمْشِيَهُ على وَجْهِهِ يَوْمَ القيامةِ ؟ قالَ قَتادَةُ : بَلى وَعِزَّةِ رَبِّنا[١] .

نَشاطٌ :

اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةً كَريمةً وحديثاً شَريفاً يُبَيِّنانِ أَنَّ الكُفّارَ يُحْشَرونَ ويُكَبُّونَ في جَهَنَّمَ على وُجوهِهِمْ .

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب كيف الحشر ، رقم الحديث ٦١٥٨ .

الدَّرْسُ الحادي والأربعونَ

سورَةُ الإسْراءِ - القِسْمُ الثامِنَ عَشَرَ

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

آياتٍ بيِّناتٍ : مُعْجزاتٍ واضِحاتٍ .

بَصائِر : حُجَجاً تَهْدي إلى الحَقِّ وتُبَصِّرُ بِهِ .

مَثْبورا : هالِكاً .

يَسْتَفِزَّهُمْ : يُزْعِجُهُمْ .

لَفيفاً : مُجْتَمِعينَ .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَبيينٌ أَنَّ الخوارِقَ والمُعْجزاتِ يُمْكِنُ أَنْ تَحْصُلَ لِلنَّبِيِّ ، وَمَعَ ذَلِكَ لا يُؤْمِنُ قَوْمُه بها وَيَسْتَمِرّونَ في كُفْرِهِمْ وَعِنادِهِمْ ، وهذا ما حَصَلَ مَعَ قومِ فِرْعَوْنَ عِنْدَما رَأَوْا آياتِ اللهِ الباهِرَةِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾ .

أيْ : وَلَقَدْ أَعْطَيْنا نَبِيَّنا مُوسى عَلَيْهِ السلامُ تِسْعَ مُعْجِزاتٍ واضِحاتٍ تَدُلُّ على صِدْقِهِ ، وَمِنْ هَذهِ المُعْجِزاتِ العصا واليَدُ .

وهذهِ المُعْجِزاتُ شاهَدَها فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ولَمْ يُؤْمِنوا بِها فَكانَتْ حُجَّةً عليْهِمْ .

ثُمَّ تَوَجَّهَ الخِطابُ في الآيَةِ إلى النَّبيِّ ﷺ لِيَسْأَلَ بَني إسْرائِيلَ عَنْ تِلْكَ المُعْجِزاتِ ، فإنَّهُمْ يَعْلَمونَها لأنَّها ذُكِرَتْ في التَّوْراةِ . والهَدَفُ مِنَ السُّؤالِ أَنْ يَظْهَرَ لِعامَّةِ بَني إسْرائِيل وَعُلَمائِهِمْ وَلِلْمُشْرِكينَ صِدْقَ رسولِ اللهِ ﷺ .

وَقَدْ قابَلَ فِرْعَونُ هذهِ المُعْجِزات بالتَّكْذيبِ ، واتِّهامِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ بأنَّهُ مَسْحورٌ ، قَدْ سَحَرَهُ السَّحَرَةُ فأفْسَدوا عَقْلَهُ ، وأَصْبَحَ يَتَكَلَّمُ بالباطِلِ وبالكَلامِ غَيْرِ السَوِيِّ ، يُريدُ بِذَلِكَ صَرْفَ النَّاسِ عَنْهُ والتَّهْوينَ مِنْ شَأْنِهِ .

﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

قالَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ لِفِرْعَوْنَ رَدّاً على افترائِهِ عَلَيْهِ وتَكْذيبِهِ لِلْمُعْجزاتِ وَزَعْمِهِ أَنَّها مِنَ السِّحْرِ : لَقَدْ عَلِمْتَ يا فِرْعَوْنُ أَنَّ هذهِ المُعْجِزاتِ ما أَنْزَلَها إلاَّ اللهُ رَبُّ السَّمواتِ والأَرْضِ لِتكونَ شاهِدَةً على صِدْقي وحُجَجاً تَهْدي إلى الحَقِّ ، ولكنَّكَ مُكابِرٌ مُعانِدٌ ، وإنِّي لأَعْلَمُ أنَّكَ يا فِرْعَوْنُ هالِكٌ بِسَبَبِ كُفْرِكَ وَجُحودِكَ الحَقَّ .

﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ ﴾

فأرادَ فِرْعَونُ بَعْدَ أَنْ هَدَّدَهُ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ وَوَبَّخَهُ على تَكْذيبِهِ بالآياتِ والمُعْجِزاتِ ، أَنْ يَطْرُدَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ الَّتي يُقيمونَ مَعَهُ فِيها وأَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهُمْ ، وكانَتِ النَّتيجَةُ انْقلابَ الأَمْرِ عَلَيْهِ حَيْثُ أَغْرَقَهُ اللهُ تَعالى وَجُنْدَهُ الَّذينَ كانوا مَعَهُ جَميعاً ، فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُم أَحَدٌ .

﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ .

وَقُلْنا مِنْ بَعْدِ إغْراقِ فِرْعَوْنَ لِبني إسْرائِيلَ عَلى لِسانِ نَبِيِّهِمْ عَلَيْهِ السَّلامُ : اسْكُنوا الأَرْضَ ، فإذا جاءَ يَوْمُ القِيامَةِ جِئْنا بِكُمْ مِنْ قُبورِكُمْ إلى المَحْشَرِ مُجْتَمِعينَ ، فيكُمُ المُؤْمِنُ والكافِرُ والبَرُّ والفاجِرُ ، ثُمَّ نَحْكُمْ بَيْنَكُمْ ونُمَيِّزُ سُعَداءَكُمْ مِنْ أَشْقيائِكُمْ .

والمُرادُ بالأَرْضِ في الآيَتيْنِ الأَرْضُ عامَّةً ، أَمَّا الأَرْضُ الَّتي أرادَ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ جُزْءٍ مِنْها ، وَهِيَ أَرْضُ مِصْرَ ، فَأَسْكَنَهُمْ اللهُ أَرْضاً خَيْراً مِنْها وَهِيَ أَرْضُ فِلَسْطينَ .

وَبَعْدَ انْتِهاءِ الحَديثِ عَمَّا حَصَلَ بَيْنَ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ وَفِرْعَوْنَ وما انْتَهى الأَمْرُ إليْهِ مِنْ إهْلاكِ فِرْعَوْنَ ، عادتِ الآياتُ لِلْحَديثِ عَنِ القُرْآنِ الكَريمِ ، فَقالَ تَعالى :

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) ﴾

أيْ : إنَّ هذا القُرْآنَ نَزَلَ مُلْتَبِسا بالحَقِّ ، مُشْتَمِلاً على كُلِّ ما هُوَ حَقٌّ مِنْ عَقائِدَ وَعِباداتٍ وَقَصَصٍ وَغَيْرِها ، وما أرْسلناكَ أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ إلاَّ مُبَشِّراً لِمَنْ آمَنَ بِكَ وأَطاعَكَ وَمُنْذراً لِمَنْ عَصاكَ وكَذَّبَكَ ، فَهذِهِ مُهِمَّتُكَ النَّبيلَةُ وَيَكْفيكَ شَرَفاً وَفَخْراً أَنْ تَكونَ المُبَلِّغَ عَنِ اللهِ تَعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ المُعْجزاتُ وَحْدَها لا تَكْفي لِهدايَةِ الإنْسانِ ، ولابُدَّ مِنَ التَّوْفيقِ الإلهِيِّ للهدايَةِ .

٢ـ تأْكيدُ المَعْلومَةِ وتَثْبيتُها مِنَ الخَصْمِ لإقامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ .

٣ـ مَنْطِقُ الطُّغاةِ حينَ يَكْشِفُ الحَقُّ عَنْ ضَلالِهِمْ وكَذِبِهِمْ ، هُوَ الاتِّهامُ والافْتِراءُ .

٤ـ إرادةُ اللهِ تَعالى هِيَ الغالِبَةُ ، وإرادَةُ العَبْدِ تابِعَةٌ لإرادَتِهِ سُبْحانَهُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الهَدَفُ مِنْ سُؤالِ بَني إسْرائيلَ عَنْ مُعْجزاتِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٢ـ ما مَوْقِفُ فِرْعَونَ مِنَ المُعْجزاتِ الَّتي أَيَّدَ اللهُ تَعالى بِها مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٣ـ بماذا رَدَّ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ على فِرْعَونَ ؟

٤ـ ماذا أرادَ فِرْعونُ أَنْ يَفْعَلَ بِمُوسى وَمَنْ مَعَهُ ؟ وَلِماذا لَمْ يَفْعَلْ ما عَزَمَ عَلَيْهِ ؟

٥ـ ما مُهِمَّةُ الرَّسولِ ﷺ ؟

٦ـ بَيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أ ـ فَقالَ لَهُ فِرْعَونُ إنِّي لأظَنُّك يا مُوسى مَسْحورا .

ب ـ فأرادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الأَرْضِ .

ج ـ وقُلْنا مِنْ بَعْدِهِ لِبَني إسْرائِيلَ اسْكُنوا الأَرْضَ .

د ـ وبالحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ .

نَشاطٌ :

١ ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ باقي المُعْجِزات الّتي أتاها اللهُ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ .

٢ ـ قارِنْ بَيْنَ مُوقِفِ فِرْعَونَ وَقَوْمِهِ مِنْ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَمَوْقِفِ مُشْرِكي قُرَيْشٍ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ مِنْ خِلالِ هَذهِ الآياتِ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّانِي والأَرْبَعونَ

سورةُ الإسْراءِ ـ القِسْمُ التَّاسِعَ عَشَرَ

وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فَرَّقناهُ : بيَّنَّاهُ وَفصَّلْناهُ .

على مُكْثٍ : على مَهْلٍ .

يَخِرّونَ لِلأَذْقانِ : يَسْقطونَ في وُجوهِهِمْ .

التَّفْسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمَةِ التَنْويهُ بِشَأْنِ القُرْآنِ العَظيم ، والثَّناءُ على المُؤْمنينَ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ الَّذينَ تَأَثَّروا عِنْدَ سَماعِهِ ، والأَمْرُ بِحَمْدِ اللهِ وَتَكْبيرِهِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بيَّنَ سُبْحانَهُ في الآيَةِ السَّابِقَةِ نُزولَ القُرْآنِ بالحَقِّ ، بيَّنَ في هَذهِ الآيَةِ أَنَّهُ أَنْزَلَ القُرْآنَ لِيَكونَ فارِقاً بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ ، والإيمانِ والكُفْرِ ، والخَيْرِ والشَّرِّ ، الحلالِ والحَرامِ ، وتَفْصِيلِ الأَحْكامِ

والأَمْثالِ ، وأنَّهُ أَنْزَلَهُ مُفرَّقاً مُنَجَّماً لِيَقْرَأَهُ الرَّسولُ ﷺ على النَّاسِ على مَهْلٍ وتؤُدَةٍ حَتَّى يَتَيَسَّرَ لَهُم حِفْظُهُ وَفَهْمُهُ ، وحَتَّى يَتَمكنَّوا مِنْ تَطبيقِ أحْكامِهِ وتَشْريعاتِهِ عَلَى الوَجْهِ الأَحْسَنِ والأَمْثَلِ .

﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾

هَذهِ الآيَةُ تَهديدٌ وَوَعيدٌ لِلمُشْركينَ الَّذينَ سَمِعوا القُرْآنَ وَلَمْ يُؤْمِنوا بِهِ ، فَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أَنْ يَقولَ لَهُمْ : آمِنوا بِهذا القُرْآنِ أَوْ لا تُؤْمِنوا بِهِ ، فإنَّ إيمانَكُمْ بِهِ لا يَزيدُهُ كَمالاً كما أَنَّ كُفرَكُمْ بِهِ لا يُنْقِصُ مِنْ شَأْنِهِ شَيْئاً ، وإنَّ عُلماءَ أَهْلِ الكِتابِ الَّذينَ قَرأوا الكُتُبَ المُنَزَّلَةَ قَبْلَ القُرْآنِ وتَبيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ ، إذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ القُرْآنُ يَسْقُطونَ على وُجُوهِهِمْ ساجِدينَ للهِ تَعالى ، تَعْظيماً لأَمْرِهِ وَشُكْراً لَهُ لإنْجازِ ما وَعَد بِهِ في الكُتُبِ السَّابِقَةِ مِنْ إرْسالِ مُحمَّدٍ ﷺ وإنْزالِ القُرْآنِ عَلَيْهِ .

﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ ﴾

ويقولونَ في سُجودِهِمْ : تَنَزَّهَ رَبُّنا عَنْ كُلِّ ما يَقولُهُ الكافِرونَ الجاهِلونَ بِشَأْنِهِ ، وتَنزَّهَ رَبُّنا أَنْ يُخْلِفَ وَعْدَهُ بإرْسالِ النَّبيِّ المُبَشَّرِ بِهِ ، إنَّ وَعْدَ رَبِّنا كائِنٌ لا مَحالَةَ .

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ .

وَيَسْقُطونَ ساجِدينَ عَلى وُجوهِهِمْ باكِينَ عِنْدَ اسْتِماعِ القُرْآنِ ، وَيَزيدُهُمُ القُرْآنُ تَذَلُّلاً وَخُضوعاً للهِ ، كَما يَزيدُهُمْ عِلْماً وإيماناً .

وإعادَةُ ذِكْرِ السُّجودِ في هذهِ الآيةِ لاخْتِلافِ سَبَبِ كُلٍّ مِنْهُما ، فالسُّجودُ الأَوَّلُ كانَ لِتَعْظيمِ أَمْرِ اللهِ وَشُكْرِهِ على إنْجازِ وَعْدِهِ ، والسُّجودُ الثَّاني لِتَأَثُّرِهِمْ بآياتِ القُرْآنِ الكريمِ .

وَذُكِرَتِ الأَذْقانُ في المَرَّتَيْنِ لِلدِّلالَةِ على تَمْكينِهِمُ الوُجوهَ كُلَّها مِنَ الأَرْضِ لِقوَّةِ الرَّغْبَةِ في السُّجودِ .

وفي هذهِ الآيةِ ذِكْرُ البُكاءِ المُصاحِبِ لِلسُّجودِ ، وَهُوَ البُكاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَعالى ، وَذُكِرَ الخُشوعُ الَّذي يَنْبَغي أَنْ تُزَيَّنَ بِهِ جَميعُ العِباداتِ .

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ إذا صَلَّى بِأَصْحابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بالقُرْآنِ ، فإذا سَمِعَهُ المُشْركونَ سَبّوا القُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ ومَنْ جاءَ بِهِ ، فَقالَ اللهُ تَعالى لِنَبيِّهِ ﷺ ﴿ولا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ﴾ أيْ بِقِراءَتِكَ فَيَسْمَعَكَ المُشْركونَ فَيَسُبّوا القُرْآنَ ﴿ولا تُخافِتْ

بِها﴾ عَنْ أَصْحابِكَ فلا تُسْمِعُهُمْ ﴿وابْتَغِ بَيْنَ ذلك سَبيلا﴾[1] .

يَأْمُرُ اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَقولَ لأَتْباعِهِ جَميعاً : اللهُ هُوَ الرَّحْمَنُ فإنَّكُمْ إِنْ دَعَوْتُمُ اللهُ أَوْ دَعَوْتُمُ الرَّحْمنَ فَقَدْ أَصَبْتُم فإِنَّهُ سُبْحانَهُ لَهُ الأَسْماءُ الحُسْنى الدَّالَّةُ على غايَةِ الكَمالِ ، وما تَوَهَّمَهُ الجاهِلَونَ مِنْ تَعدُّدِ الآلِهَةِ تَبَعاً لِتَعدُّدِ الأَسْماءِ حِينَ سَمِعوكَ تَقولُ في دُعائِكَ : يا اللهُ ، يا رحْمنُ ، إنّما هو جَهْلٌ فاضِحٌ مِنْهُمْ يَدُلُّ على عَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ بالخالِقِ العَظيمِ وأَسْمائِهِ الحُسْنى .

ولا تَجْهَرْ أَيُّها النَّبيُّ في قراءتِكَ في أثناءِ الصَّلاةِ فَيَسْمَعَكَ المُشْرِكونَ فَيَسُبّوا القرآنَ ، ولا تُخْفِضْ صَوْتَكَ كثيراً بالقِراءَةِ فلا يَسْمَعُكَ مَنْ يَكونُ خَلْفَكَ ، بَلِ اسْلُكْ في ذَلِكَ طَريقاً وَسطاً ، واجْعَلْ قِراءَتَكَ بَيْنَ الجَهْرِ والمُخافَتَةِ .

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ .

وقُلْ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ : الحَمْدُ الكامِلُ والثناءُ المُطْلَقُ للهِ وَحْدَهُ ، الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً لاسْتِغْنائِهِ عَنْهُ ، وَعَدَمِ حاجَتِهِ إليْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَريكٌ في المُلْكِ فَهُوَ مالِكُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سُبْحانَهُ ناصِرٌ يَنْصُرُهُ وَيَحْميهِ مِنَ الذُّلِّ فَهُوَ المُعِزُّ ومالِكُ المُلْكِ ، وَكَبِّرْ رَبَّكَ تَكْبيراً وَعَظِّمْهُ تَعْظيماً بَليغاً يَليقُ بِجَلالِ وَجْهِهِ وعَظيمِ سُلْطانِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ اسْتِحبابُ التَأَنّي في تِلاوَةِ القُرْآنِ وَفي تَعَلُّمِهِ وتَعْليمِهِ .

٢ـ اسْتِحبابُ أَنْ يُرافِقَ السُّجودَ للهِ تَعالى البُكاءُ مِنْ خَشْيَتِهِ .

٣ـ مَشْروعِيَّةُ دُعاءِ اللهِ تَعالى بِأَسْمائِهِ الحُسْنى وَمُناداتِهِ بِها .

٤ـ التَّوْجيهُ إلى عَدَمِ رَفْعِ الصَّوْتِ أَكْثَرَ مِنَ الحاجَةِ ، وَعَدَمُ خَفْضِهِ بِحَيْثُ يُسْمِعُ مَنْ حَوْلَهُ .

٥ـ وُجوبُ حَمْدِ اللهِ تَعالى والثّناءِ عَلَيْهِ وتَنْزيهِهِ عَنْ كُلِّ عَجْزٍ وَنَقْصٍ .

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير باب رقم ٢١٢ رقم الحديث ٢٤٤٥ ، ورواه مسلم في كتاب الصلاة باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية رقم الحديث ١٠٠٠ .



أجبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ نُزولِ القُرْآنِ الكَريمِ مُفرَّقاً ؟

٢ـ بماذا وَصفَتِ الآياتُ الَّذين أُوتوا العِلْمَ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ ؟

٣ـ زادتِ الآيةُ الكَريمَةُ في وَصْفِ السُّجودِ الثَّاني أُموراً ، ما هِيَ ؟

٤ـ ما سَبَبُ نُزولِ قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ولا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ ولا تُخافِتْ بِها وابْتَغِ بَيْنَ ذَلكَ سَبيلا﴾ ؟

٥ـ ما سَبَبُ عَدمِ اتِّخاذِ الله تَعالى وَلَداً ؟

٦ـ بَيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أ ـ لِتَقْرَأَهُ على النَّاسِ على مُكْثٍ .

ب ـ قُلْ آمِنوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنوا .

ج ـ يَخِرّونَ لِلأَذْقانِ سُجَّداً .

د ـ قُلِ ادْعو اللهَ أَوِ ادْعو الرَّحْمَنَ أَيّاً ما تَدْعو فَلَهُ الأَسْماءُ الحُسْنَى .

هـ ـ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ .

تَعَلَّمْ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « إنّ للهِ تِسعةً وَتِسْعينَ اسْماً ، مائةً إلاّ واحداً ، مَنْ أَحْصاها دَخَلَ الجَنَّةَ »[١] .

نَشاطٌ :

ـ اكتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً شَريفاً يُبَيِّنُ فَضْلَ السُّجودِ وَقُرْبَ السّاجِدِ مِنْ رَبِّهِ .

* * *

---

(١) رواه البخاري في كتاب الشروط باب رقم ١٨ رقم الحديث ٢٥٨٥ ، ورواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء باب في أسماء الله تعالى رقم الحديث ٢٦٧٧ .